القسم الأول

الفصل الأول

فن الحرب في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين

(إنْ تَنْصُروا الله يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أقْدامَكُم)

صدق الله العظيم

١ ـ ما هو فن الحرب ؟
٢ ـ تاريخ فن الحرب .
٣ ـ ضرورة دراسة تاريخ فن الحرب .
٤ ـ فن الحرب عند العرب المسلمين .
٥ ـ التعبئة وحشد القوات .
٦ ـ تحديد الهدف من الحرب .
٧ ـ اعطاء الافضلية لمسارح العمليات .

٨ ــ تحديد الافضليات على الجبهة .
٩ ــ تنسيق التعاون بين الجبهات.
١٠ ــ القوات الاحتياطية .
١١ ــ عزل ميدان المعركة .
١٢ ــ الانتقال من الهجوم الدفاعي .
الى الهجوم الوقائي .
١٣ ــ التطور في اسلوب القتال .
١٤ ــ التنظيم للمعركة :
أ ــ وضع نظام التسلسل العسكري .
ب ــ التنظيم للقتال .
ج ــ الحرب النفسية .
١٥ ــ مناطق الحشد والمعسكرات .
١٦ ــ جمع المعلومات :
أ ــ الجاسوسية .
ب ــ دراسة الارض .
جـ ــ المحافظة على السر .
د ــ المسالح وعملها .
هـ ــ الحرس .
١٧ ــ المسير .
أ ــ الطلائع . ب ــ المؤخرة . جـ ــ الاجناب .
١٨ ــ الجندي في الجيش العربي الاسلامي .
١٩ ــ قصة المعركة .
٢٠ ــ اقامة علاقات اجتماعية جديدة .

فن الحرب
في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين

١ – ما هو فن الحرب في المفهوم الحديث ؟

فن الحرب هو مجموعة المعارف المتعلقة بالصراع المسلح الهادف لتحقيق ما عجزت الوسائل السلمية عن تحقيقه ، وتقسم مجموعة هذه المعارف ، نظرياً ، الى ثلاثة فروع : ١ – الاستراتيجية . ٢ – فن العمليات . ٣ – التكتيك او التعبئة .

آ – الاستراتيجية – وهي التي تعالج انواع العمليات الحربية واساليبها . الوسائل الضرورية لانجاح هذه العمليات ، دراسة العدو وقواته وامكاناته ، تحديد اتجاه الضربة الرئيسية والضربات الثانوية ، محاور تحرك القوات ومناطق زجها في القتال ، اعداد القوات المسلحة واختيار الاساليب المتوافقة مع انواع العمليات الحربية واشكالها ، ثم تنسيق ذلك كله ووضع مخطط متكامل يحقق الهدف .

ب – فن الحرب – ويعالج : تحديد فكرة العملية او العمليات ، وضع المخططات اللازمة لاستخدام القوى وحشد الامكانات الضرورية لتنفيذ فكرة العملية ، وتحديد الاساليب الخاصة باستخدام التشكيلات المقاتلة الكبرى وقيادتها ثم تنظيم التعاون بين القوى المختلفة والاسلحة المتنوعة التي تشترك في العملية لتحقيق الهدف الاستراتيجي ، سواء كان تحقيق هذا الهدف يتم على جبهة واحدة او على عدد من الجبهات ، وعلى محور واحد من الجبهة او عدد من المحاور .

ج – التكتيك – وهو تحديد فكرة العملية واسلوب تنظيمها وطريقة تنفيذها وفق مخطط العمليات ، تنظيم التعاون بين الاسلحة والقوى المشتركة في المعركة ويقسم هذا الفرع بدوره إلى تكتيك عام وتكتيك خاص ويعالج الأول الاسس العامة لصنوف الاسلحة المختلفة بينما يعالج الثاني عمل كل سلاح من الاسلحة وكل قوة من القوى المشتركة في المعركة .

٢ – تاريخ فن الحرب :

ان فن الحرب المعاصر قد تطور عبر التاريخ منذ الأزمنة السحيقة ، وهو لم يصل الى ما انتهى اليه الا بعد تجارب كثيرة ومريرة خاضتها الشعوب وهي تتطور صعداً في سلم الرقي والحضارة .

– وان الادراك العميق لفن الحرب المعاصر يفرض بالضرورة دراسة قوانين تطور هذا الفن ، وتشمل هذه الدراسة تاريخ اساليب الصراع المسلح وتطورها مع الزمن .

– لقد تطور فن الحرب منذ القدم وفق خط بياني متصاعد ، كما تطور في الوقت ذاته في اتساعه وشموله من البسيط الى المعقد وتوافقت هذه التطورات مع تطور المجتمعات فكانت ذات ابعاد مزدوجة عمودية وأفقية وذلك بسبب تزايد الاسلحة من جهة وتزايد حجم القوات المسلحة وتضاعف اعدادها من جهة اخرى . وحملت كل مرحلة من مراحل التطور في اعماقها الرواسب الايجابية والاسس الثابتة التي انضجتها تجارب المرحلة السابقة لها .

٣ – ضرورة دراسة تاريخ فن الحرب :

– من الصعب ادراك الصورة المعاصرة لفن الحرب – ان لم يكن من المستحيل – دون الرجوع الى تاريخ تطور هذا الفن حتى وصل الى حالته الراهنة من الشمول والتعقيد .

– ولقد تطورت المجتمعات تطوراً كبيراً ، وكان فن الحرب سباقاً في هذه التطورات لا تابعاً لها . وكان له دور كبير في اغناء التطورات الحضارية ونشأ عن ذلك تلك التفاعلات العميقة التي انضجت عالمنا المعاصر .

وقد يكون من الخطأ الكبير الاكتفاء بما وصل اليه فن الحرب في عالمنا دون معرفة الجذور العميقة التي غذت هذا الفن ورفدته بالحياة حتى اصبح شجرة خالدة اصلها ثابت وفرعها في السماء .

– لقد تطور فن الحرب ، ولكن الانسان صانع هذا التطور هو الانسان ذاته ، باحاسيسه وانفعالاته ، بارادته وتصميمه ، بضعفه ووهنه ، بعقله الجبار الذي يصنع الاحداث ويطورها . ومن هنا تظهر اهمية دراسة تاريخ فن الحرب وتتعاظم يوماً بعد يوم .

٤ – فن الحرب عند العرب المسلمين :

– أسهم العرب المسلمون اسهاماً كبيراً في تطوير فن الحرب ، وقد يكون دورهم في تطوير هذا الفن أكثر اهمية مما أحدثوه من تطور في مختلف المجالات الاجتماعية من ادب وفن وعلم .

– بدأت الفتوحات الاسلامية في السنة الثالثة عشرة للهجرة (٦٣٤ ميلادية) وقبل مضي أقل من مائة سنة كانت الجيوش الاسلامية قد أزالت اكبر دولتين عرفهما العالم القديم « فارس وبيزنطة » وكانت قوات المسلمين تنتشر من حدود فرنسا واسبانيا غرباً الى الصين شرقاً مع فرض السيطرة على البحر الابيض المتوسط .

– لقد خاضت القوات العربية الاسلامية سلسلة من الحروب الصعبة في ظروف غير متكافئة ، ورغم ذلك استطاعت هذه القوات انتزاع النصر بعد النصر حتى امكن لها انجاز ما حققته .

وقد رافق هذه السلسلة من العمليات انتصارات ونجاحات كبيرة كما

تخللتها هزائم وانتكاسات وكان الثمن في ذلك كله سيولاً من الدماء ومجموعات ضخمة من الاضحيات والشهداء .

– ولم تكن هذه العمليات عشوائية ، بل كانت وفق مخططات محكمة دقيقة وضعها القادة ، وقام على تنفيذها مقاتلون لم يشهد التاريخ لهم نظيراً في صلابتهم وصمودهم وايمانهم بالهدف الذي يقاتلون من أجله .

– وكانت هذه التجارب التي خاضها العرب المسلمون وما احدثوه من تطور مصدراً هاماً من المصادر التي ساعدت الغرب في انطلاقته وتطوره كما كان لها دور حاسم في تطور الشرق ، رغم كل انكار لهذا الدور وما لقيه من جحود .

٥ – التعبئة وحشد القوات :

١ – طبق الرسول القائد مبدأ الحرب الشعبية في جميع حروبه وغزواته فكان يستنفر كافة القوى ويحشد كافة الامكانات للمعركة .

– وعندما تولى ابو بكر الصديق الخلافة وقامت حروب الردة ، عمل الخليفة ابو بكر على استنفار كل القوى التي امكن له حشدها حتى انتهت حروب الردة باسلام من أسلم وقتل من بقي على ارتداده واعتمد في ذلك بالدرجة الأولى على الانصار والمهاجرين .

– ثم بدأت عمليات الفتوح على الجبهتين الشمالية والشرقية . فارسل الخليفة ابو بكر رسالة الى اليمن وكافة الاقاليم يستنفرهم للحرب وجاء في هذه الرسالة :

(لقد استنفرنا المسلمين الى جهاد الروم بالشام وقد سارعوا الى ذلك فسارعوا عباد الله الى ما سارعوا اليه . فانكم الى احدى الحسنيين اما الشهادة واما الفتح) (١) .

– وهكذا كانت الدعوة « للناس ، كل الناس » وكل قادر على استخدام

(١) تهذيب ابن عساكر ١/١٢٩ .

السلاح او الاسهام بالمجهود الحربي من نساء ورجال صغاراً وكباراً . إلا ان عملية الاستنفار كانت طواعية وغير الزامية .

٢ – تطورت معارك الجبهة الشرقية ، ووجد قائدا الجبهة « خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيباني » ان الطاقة البشرية لديهما لا تستطيع تلبية متطلبات المعركة والقيام بالواجبات المحددة لها . فكتبا الى الخليفة ابي بكر يلتمسان دعمه فاجاب الخليفة :

(استنفرا من قاتل اهل الردة ومن ثبت على الاسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يغزونّ معكم احد ارتد حتى ارى رأيي) (١) .

وهكذا أذن الخليفة ابو بكر باستنفار كل القوى . وحشد كل الامكانات مستثنياً من ذلك اهل الردة . تأديباً لهم . واشعارهم بفداحة الجرم الذي ارتكبوه . وكانت هذه العقوبة رادعة في الواقع وتركت آثاراً كبيرة في نفوس المرتدين لا سيما عندما كانوا يشهدون الانتصارات الرائعة التي كان يحققها المسلمون يوماً بعد يوم وهم محرومون من شرف الاسهام بها .

٣ – وعندما انتهى الامر لعمر بن الخطاب . وبلغه عزم يزدجرد على حشد كل طاقاته ضد المسلمين . سمح للمرتدين بالقتال مع المسلمين ولكنه لم يسند اليهم ادواراً قيادية وكتب الى الاقاليم يستنفرها :

(لا تدعوا احداً له سلاح او فرس او نجدة او رأي الا انتخبتموه ثم وجهتموه الي – والعجل العجل) (٢) .

وهكذا اصبح الخليفة عمر . يستنفر جميع المقاتلين وبصورة خاصة منهم الفرسان والقادرين على ممارسة ادوار قيادية . ثم انتقل بعد ذلك من الاستنفار الطوعي الى التجنيد الالزامي . فكتب الى المثنى

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٨٤ .
(٢) تاريخ الطبري ٤/٨٢ .

(لا تدعوا في ربيعة ولا مضر ولا حلفائهم احداً من اهل النجدات ولا فارساً الا اجتلبتموه فان جاء طائعاً — والا حشرتموه) (١) .

٤ — وفي ايام الخليفة عمر توسع مجال الخدمة ، فبدأ بتسجيل المقاتلين . وابدال من يريد ذلك . وتطوع عدد كبير من المسلمين فشكل منهم جيش البدال للتعويض عن خسائر المقاتلين في اليرموك . ثم اصبح التطوع في الجيش والاحتراف فيه يسير جنباً الى جنب مع نظام التعبئة العامة

٥ — نتيجة لتوسع الفتوحات لا سيما ايام الأمويين ، لم يعد امر الحرب متروكاً للعرب وحدهم بل اصبح بامكان كل من يشهر اسلامه الاشتراك في الحرب الى جانب المسلمين دونما تمييز ، كما اصبح باستطاعة غير المسلمين ، ان يقاتلوا في صفوف المسلمين فتسقط عنهم الجزية . وقد جاء في وثيقة الصلح بين اهل اذربيجان مع عتبة بن فرقد وفي كثير من وثائق الصلح مع المسلمين الفقرة التالية :

(ومن حشر منهم في سنة — وضع عنه جزاء تلك السنة) — الطبري٤.

— وفي غزوة السوس — الجبهة الشرقية — انضمت قوات القائد الفارسي « سياه » الى المسلمين . ولاحظ ابو موسى الاشعري عدم حماسة سياه وجنده في القتال فاستدعاه وسأله عن سبب تلك الظاهرة ، فعلم منه ان السبب هو عدم معاملتهم كالمسلمين . فكتب الى الخليفة عمر الذي اجابه :

(الحقهم على قدر البلاء في افضل العطاء — واكثر شيء أخذه احد من العرب) (٢) .

٦ — على الرغم من دخول العناصر غير العربية في جيش المسلمين باعداد كبيرة ، وعلى الرغم من وصول بعض هذه العناصر الى مراكز قيادية مثل

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٨٢ .

(٢) تاريخ الطبري ٤/٢١٨ .

طارق بن زياد فقد استطاع الامويون الحفاظ على التوازن في الجيش . وجعل المراكز القيادية في يد العرب المسلمين . وبقي نظام التعبئة يعتمد بالدرجة الاولى على العنصر العربي المسلم لا سيما في المعارك الحاسمة وفي الاسلحة البحرية وتنظيم الصوائف والشواتي لغزو بلاد الروم .

في فن الحرب – الاستراتيجية :

٦ – تحديد الهدف من الحرب :

– كان الهدف السياسي هو نشر الاسلام . ولهذا كان يسبق كل معركة اتصالات الغرض منها تحقيق هذا الهدف . وكانت هذه الاتصالات تتكرر في اطار من الظروف السلمية ثم في مناخ من الحرب النفسية فاذا فشلت كل الوسائل كانت الحرب هي الوسيلة النهائية لتحقيق ما عجزت الوسائل السلمية عن تحقيقه .

– وكان القادة قبل المعركة يعرضون على خصومهم اختيار واحدة من ثلاث :

١ – الاسلام . ٢ – الجزية . ٣ – الحرب .

– ولم تكن الجزية في الواقع اكثر من وسيلة لخلق مجال للتماس والاحتكاك الدائم بهدف نشر الدين الاسلامي على المدى الطويل . ولا أدل على ذلك من الكلمة المأثورة :

(ان الله بعث محمداً هادياً لا جابياً) (١) .

٧ – اعطاء الافضلية لمسارح العمليات :

– عندما توفي الرسول الاعظم ، اضطربت الجزيرة العربية . وقام المرتدون اعتقاداً منهم بتوفر الفرصة للقضاء على الدين الاسلامي ، وتصدى الخليفة الأول لمجابهة هذا الموقف منذ ساعاته الأولى . فقاد بنفسه اولى العمليات ضد المرتدين .

---

(١) مراجعة بحث عدالة الحروب الاسلامية – في هذا الكتاب .

ولم يهمل بقية المسارح فوجه اسامة بن زيد الى الشام ووجه المثنى الى العراق .
وكرس السنة الأولى وهي السنة الحادية عشرة للهجرة من اجل القضاء على المرتدين وعندما تمت عملية اعادة توحيد الجزيرة واصبح بالامكان الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة وجه ثقل العمليات الى الجبهتين الشمالية والشرقية في وقت واحد . وعندما تعثرت العمليات ، ونظراً لعدم توفر الامكانات اللازمة لدعم الجبهتين في وقت واحد ، تم نقل محور ثقل الهجوم الى الجبهة الشمالية ووجهت اليها كافة قوى الدعم واعطيت الجبهة الشرقية اهمية ثانوية . وكان الحافز لذلك هو تقدير اهمية الموقع الاستراتيجي للمسرح الأول . وصدرت اوامر أبي بكر للتخفيف من الجبهة الشرقية لدعم الجبهة الشمالية ، وجاء امر أبي بكر الى خالد بن الوليد الذي كان قائداً للجبهة الشرقية :

(سر بنصف القوة التي معك لامداد اخوانك بالشام – والعجل . العجل . والله لقرية من قرى الشام يفتحها الله على المسلمين احب الي من رستاق عظيم من رساتيق العراق) (١) .

– استغرقت عملية الشام السنة الثالثة عشرة للهجرة – كانت الجبهة الشرقية خلالها في حالة جمود تقريباً – وعندما انتهت معركة اليرموك ، ثم توفي الخليفة ابو بكر الصديق وعرف الخليفة الثاني عمر بن الخطاب انه اصبح بالمستطاع تحويل محور ثقل الهجوم الى الجبهة الشرقية ، أمر بدعم الجبهة الشرقية وتوجيه القعقاع بن عمرو وهاشم بن عتبة وفي الوقت ذاته حول كافة القوى لدعم الجبهة الشرقية ، وكان في كتاب عمر الى أبي عبيده بن الجراح في الشام :

(اصرف جند العراق الى العراق) (٢) .

– وعندما انتهت معركة العراق ، وانطلقت القوات داخل اقاليم فارس تم العمل في الجبهة الشرقية على ثلاثة محاور : المحور الشمالي والمحور الأوسط

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١/١٤٧ – والرستاق : الريف دون المدينة .
(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١/١٥٥ .

والمحور الجنوبي -. وقد اعطي المحور الشمالي الافضلية الأولى بسبب اهميته الاستراتيجية كطريق إلى آسيا الوسطى والشمالية .

– وعندما انتهت معركة الشام ، تم تحويل مركز ثقل الهجوم الى الجبهة الغربية وارسلت اليها قوات الدعم من الجزيرة العربية والشام واعطيت الجبهة الغربية الافضلية الأولى في مخطط العمليات .

– عندما تولى عثمان بن عفان خلافة المسلمين . كانت القوات الاسلامية قد احاطت بالهضبة الايرانية ، وكانت الجبهة الشمالية قد استقرت وبقي خطر بيزنطة يتهددها . فتم تركيز الجهد على محور العمليات الغربية مع التركيز على بناء القوة البحرية بهدف تأمين الاتصال بين الدول الاسلامية الواقعة على البحر من جهة وبهدف السيطرة على البحر وحرمان بيزنطة من مجالها الحيوي وقدرتها القتالية .

– وانتهى الامر الى الأمويين ، وكانت عملياتهم باستمرار تسير وفق مخطط الافضلية لمسارح العمليات . فعندما اغارت بيزنطة على حدود الشام ولم يكن باستطاعة معاوية التفرغ لها . عقد صلحاً مع بيزنطة واعطى الافضلية للمقاومات التي هددت حكمه وعندما فرغ من ذلك تحول الى الجبهة الشمالية فقاد الصوائف والشواتي ونظمها حتى وصلت في بعض غزواتها القسطنطينية وحاصرتها فترة طويلة .

– وعندما تمردت فارس اعطيت الافضلية الأولى ، وتم التركيز ايام عبد الملك والحجاج حتى وصلت القوات حدود الصين واحتلت أجزاء كبيرة من شمال آسيا . وعندما استقرت الامور اعطيت الجبهة الغربية الافضلية فكانت عمليات فتح اسبانيا .

– لقد كان الخليفة هو القائد الاعلى للقوات المسلحة ، وكان هو الذي يحدد اهمية مسارح العمليات واعطاءها الافضليات يعاونه في ذلك مجلس الشورى . ولقد كان تحديد مسارح العمليات واعطاءها الافضليات وتحديد الامكانات

اللازمة لنجاح هذه العمليات وتنسيق التعاون بين مختلف المسارح من اول العوامل التي حققت للمسلمين انتصاراتهم في معاركهم الحاسمة .

٨ ـ تحديد الافضليات على الجبهة :

اذا انتقلنا في دراستنا من المخطط العام لمسارح العمليات ، وطالعنا مخططات كل جبهة تصبح الصورة اكثر وضوحاً وهذا هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بعد معركة اليرموك يكتب لقائده ابي عبيده بن الجراح في هذا الموضوع :

١ ـ أما بعد فابدأوا بدمشق فانهدوا لها فانها حصن الشام وبيت مملكتهم .

٢ ـ واشغلوا عنكم اهل فحل بخيل تكون بازائهم في نحورهم واهل فلسطين واهل حمص .

٣ ـ فان فتحها الله قبل دمشق فذاك الذي نحب .

٤ ـ وان تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق ، فلينزل بدمشق من يمسك بها ودعوها وانطلق انت وسائر الامراء حتى تغيروا على فحل .

٥ ـ فان فتحوها فانصرف انت وخالد الى حمص .

٦ ـ ودع شرحبيل وعمرو واخلهما بالاردن وفلسطين .

٧ ـ وأمير كل بلد عن الجند والناس حتى يخرجوا من امارته (١) .

ـ وهكذا حدد قائد الأمة الاهداف المتعاقبة واعطى لكل هدف الاولية التي يستحقها وفق تأثيره على المخطط العام ودوره فيها .

• • •

ـ ثم ان قائد الأمة يحدد خطورة المعركة بالنسبة لمسرح العمليات ، والنتائج التي تنجم عنها ، وما يجب عمله فيها .

ـ ارسل عمر بن الخطاب الى قائده في العراق سعد بن ابي وقاص رسالة

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٥٧٠ .

يرد فيها على رسالة سعد التي اعلمه فيها بتأخر قدوم الفرس الى القادسية ويسأله عما يجب عليه عمله ، فيقول ابن الخطاب :

١ ـ الزم مكانك لا تبرحه .

٢ ـ فاذا احسوك أنغضتهم ورموك بجمعهم فوحدهم وجدهم .

٣ ـ فاذا انتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ونويتم الامانة رجوت أن تنصروا عليهم .

٤ ـ ثم لا يجتمع لكم مثلهم ابداً ، إلا ان يجتمعوا وليست معهم قلوبهم(١).

ـ وقد جاءت مسيرة العمليات ووقعة القادسة وما اعقبها مصداقاً أكد اهمية هذه المعركة وصحة تقدير ابن الخطاب لها .

٩ ـ تنسيق التعاون بين الجبهات :

آ ـ بعد احتلال سوريا بقي أبو عبيده بن الجراح في حمص وخالد بن الوليد في قنسرين . واتصل اهل الجزيزة بهرقل وطلبوا دعمه فطلب منهم التوجه الى حمص . وارسل هرقل قوات من الروم الى حمص . وتوفرت المعلومات عند الخليفة عمر بن الخطاب . وكانت معركة القادسية قد انتهت واصبح بامكانه تقديم دعم للجبهة الشمالية فكتب الى سعد بن ابي وقاص :

١ ـ اندب الناس مع القعقاع بن عمرو ، وسرحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي الى حمص ـ فان ابا عبيده قد احيط به وتقدم اليهم في الجد والحث(٢) .

٢ ـ سرح سهيل بن عدي الى الجزيرة في الجند وليأت الرقة فان اهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على اهل حمص .

٣ ـ سرح عبدالله بن عتبان الى نصيبين فان اهل قرقيساء لهم سلف ثم لينغضا حران والرها « ليقاتل اهلها » .

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٩١ .

(٢) تاريخ الطبري ٤/١٩٥ .

٤ – سرح الوليد بن عقبه على عرب الجزيرة من ربيع وتنوخ .

٥ – سرح عياضاً فان كان قتال – فقد جعلت امرهم جميعاً الى عياض بن غنم .

وتحركت هذه المجموعات القتالية لاهدافها . ولما بلغ اهل الجزيرة تحرك القوات من الجبهة الشرقية . هربوا دونما قتال ولم يتمكنوا من ارسال مقاتليهم ضد ابي عبيده ، واستطاع أبو عبيده بذلك تحقيق نصر حاسم على جيش الروم .

١٠ – القوات الاحتياطية :

– عندما يضع القائد مخططه للعمليات . فانه يضع كافة الاحتمالات الممكنة . الا أنه قد تحدث في المعركة تطورات غير متوقعة . ولهذا كان قادة العرب المسلمين يحتفظون بقوة احتياطية لمجابهة المواقف الطارئة .

– قال خالد بن الوليد الى ابي عبيده بن الجراح اثناء التنظيم لمعركة اليرموك .

(رأيت ان يجلس سعيد بن زيد مجلسك هذا ويقف من ورائه وبحذائه مائتان او ثلاثمائة يكونون للناس ردءاً) (١)

– وتم تنفيذ اقتراح ابن الوليد وقامت هذه القوة بتنفيذ الواجبات التالية :

آ – سد الثغرة – استطاع الروم تحطيم الاجنحة في معركة اليرموك واندفعوا الى عمق ترتيب قتال جيش المسلمين فكانت أول قوة تتصدى لسد الثغرة هي قوة سعيد بن زيد :

(لما نظر سعيد بن زيد الى الروم ، وخافها ، اقتحم الى الأرض وجثى على ركبتيه حتى اذا دنوا منه طعن برايته اول رجل من القوم ثم ثار في وجوههم . واخد يقاتل ... وكان من اعظم الناس ثباتاً (٢) .

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١٦٤/١ .

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١٦٨/١ .

كان لصمود القوة الاحتياطية دور كبير في المعركة ، فقد ساعد صمودها على تحويل الموقف . ونجح الفرسان بقيادة خالد بن الوليد وقيس بن هبيرة على مجابهة القوات التي وصلت حتى معسكر النساء ثم بدأ الفرسان بالهجوم المضاد وهنا جاء مراسل من ابي عبيده يكلف القوة الاحتياطية بواجب ثان .

ب – الهجوم المضاد :

عندما تحطمت حدة هجوم العدو أمام سلسلة المقاومات المنسقة بالعمق بدأ خالد بن الوليد بهجومه المضاد . ووصل المراسل الى سعيد بن زيد يأمره بالقيام بالهجوم المضاد ، وكان الأمر كالتالي : **(شد عليهم)** . واندفعت القوة الاحتياطية تعمل مع الفرسان بتنسيق تام حتى امكن طرد الروم من مواقع المسلمين واستمرت المطاردة حتى أعيد الروم الى معسكرهم .

– حافظ القادة باستمرار على هذا المبدأ ، فكانوا يحتفظون بقوة احتياطية تحت تصرف القائد لمجابهة الطوارىء غير المتوقعة .

– وعندما توسعت ميادين القتال وفتحت الشام والعراق وتوغل المسلمون في فارس وبدأت الفتوحات في الجبهة الغربية مصر ، اصدر الخليفة عمر اوامره بتخصيص قوة احتياطية من الفرسان في كل اقليم ، واجبهم التحرك فوراً لدعم كل طارىء في الجبهة او دعم الجبهات الاخرى وذلك كمقدمة ريثما يتم ارسال قوات دعم اكبر .

(كان عمر اتخذ في كل مصر على قدره خيولاً من فضول أموال المسلمين عدة لكون ان كان فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فارس) (١) .

– وتابع القادة بعد ذلك والخلفاء تنفيذ هذا المبدأ حتى اصبح عاماً وشاملاً في كافة المعارك وفي كافة الاقاليم .

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٥١ .

١١ ـ عزل ميدان المعركة :

١ ـ عندما بدأ الخليفة ابو بكر الصديق باستنفار القوات لحرب الروم والفرس ارسل خالد بن سعيد الى تبوك بمهمة عزل مناطق الحشد ومحاور التقدم وأمره ان يكون (**ردءاً للمسلمين**) . وعندما فشل في هذا الواجب وتجاوزه قام عكرمة ابن ابي جهل بهذا الواجب .

ـ وعندما وجه الخليفة عمر قائده سعد بن ابي وقاص الى القادسية اوصاه بقوله :

(ابعث الى فرج الهند « الأيله ـ مكان البصرة حالياً » رجلاً ترضاه يكون بحياله ـ ويكون ردءاً لك من شيء ان اتاك من تلك التخوم) (١) .

فوجه سعد بن ابي وقاص خمسمائة فارس تحت قيادة المغيرة بن شعبة .

٢ ـ بعد فتح جلولاء وصلت رسالة الى سعد بن ابي وقاص من الخليفة جاء فيها :

(... سرح القعقاع بن عمرو في آثار القوم حتى ينزلوا بحلوان فيكونوا ردءاً للمسلمين ..) (٢)

٣ ـ وكان الخليفة عمر قد وجه خالد بن الوليد لفتح العراق من الجنوب وعياض بن غنم لفتحها من الشمال . وحدد لهما « الحيرة » نقطة التقاء واوصاهما

(اذا اجتمعتما بالحيرة وقد فضضتما مسالح فارس ، وامنتمـــا أن يؤتى المسلمون من خلفهم فليكن احدكما ردءاً للمسلمين ولصاحبه بالحيرة ، وليقتحم الآخر على عدو الله وعدوكم من اهل فارس دارهم ومستقر عزهم « المدائن » (٣) .

---

(١) تاريخ الطبري ٨٢/٤ .

(٢) تاريخ الطبري ١٨٥/٤ .

(٣) تاريخ الطبري ٤/٤ .

١٢ ـ الانتقال من الهجوم الدفاعي الى الهجوم الوقائي :

ـ تطورت الخطة العامة للعمليات في الجيوش الاسلامية تبعاً للموقف وبتأثير العوامل التالية :

١ ـ الحصول على قواعد متقدمة .

٢ ـ تزايد القدرة البشرية القتالية .

٣ ـ توفر الامكانات المادية التي تساعد على زج قوات كبرى وحشد جيوش عديدة .

٤ ـ اكتساب خبرات قتالية على مستوى المقاتلين وعلى مستوى « الكادرات القيادية » . وقد ارتبطت هذه التطورات بمراحل زمنية محددة .

ـ انطلقت الجيوش العربية الاسلامية من الجزيرة بقوات لا تتجاوز العشرة آلاف وكانت مهمة هذه القوات تنحصر في تشكيل ستارة وقائية والدخول مع الفرس والروم بمعارك هدفها :

١ ـ تحطيم هيبة الروم والفرس في نفوس العرب .

٢ ـ تحطيم الروح المعنوية لقوات العدو بمعارك قصيرة ومحدودة .

٣ ـ اكتساب خبرات قتالية .

٤ ـ التمهيد لتطوير العمليات واكتساب قواعد متقدمة .

وهكذا خرج خالد بن الوليد الى العراق ، وخالد بن سعيد الى الشام .

عندما تم تحقيق المرحلة الأولى بنجاح تم الانتقال الى المرحلة الثانية التي انتهت بمعركتي القادسية واليرموك .

ـ في المرحلة الثانية تم تطوير المعارك ، وزج قوات اكبر ؛ وقد وصلت قوات جيوش العرب المسلمين في المعركتين حتى حدود الثلاثين الفاً . وامكن خلال هذه المرحلة تحطيم كفة التوازن في القوى لصالح المسلمين على الرغم من ان نسبة التفوق كانت قبل المعركتين تعادل واحد الى عشرة تقريباً لصالح الروم والفرس .

– عندما امكن للعرب المسلمين تحطيم هذا التوازن . اصبح بامكانهم الانتقال الى مرحلة اكثر تطوراً . واتسعت امامهم ميادين القتال واصبح أفق المعركة رحباً يحتاج الى قوات كبيرة . ولهذا كانت القوات في هذه المرحلة تتجاوز المائة الف على مسرح العمليات الواحد في كل جبهة من الجبهات . وقد استمر هذا التطور في تصاعد حتى نهاية عهد الامويين .

– تبعاً لهذه التطورات – تطورات اساليب القتال – وتطور نظام حشد القوات وزجها في المعركة ، مع ما تبع ذلك من تطورات في انظمة الخدمة في الميدان وفي اسلوب عمل القوات وتحركها فوق ميدان المعركة . ولتصبح هذه الصورة اكثر وضوحاً من مطالعة اوامر القتال وتعليماته بالدرجة الأولى ثم من متابعة مسيرة العمليات بعد ذلك .

١٣ – التطور في اسلوب القتال :

كتب ابو بكر الصديق الى أبي عبيدة بن الجراح عندما بلغه تقدم جيوش الروم وانضمام اهل دمشق لهم ما يلي :

(بث خيولك في القرى والسواد . وضيق عليهم بقطع الميرة والمادة ، ولا تحاصرن المدائن حتى يأتيك امري) (١)

وعندما دعمه بقوات كافية كتب له :

(فان ناهضوك فانهد لهم واستعن بالله عليهم فانه ليس يأتيهم مدد الا امددناك بمثلهم او ضعفيهم .

وعندما عين الخليفة عمر ابن مسعود الثقفي لحرب العراق بعد تسيير خالد الى الشام كتب له :

(اسمع واطع من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم – وأشركهم في الأمر

---

(١) الواقدي – فتوح الشام ٤٢/١ .

ولا تجبين مسرعاً ـ فانها الحرب ، ولا يصلح لها الا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف) (١) .

ـ من الواضح ان اسلوب الحذر ، وعدم الدخول في معارك حاسمة كبرى كان الطابع المميز للمرحلة الأولى . ولهذا تميزت حروبهم ومعاركهم بالقصر والحسم ومحاولة تدمير اكبر كتلة من قوات العدو باتباع اسلوب المباغتة والضرب بعنف وقسوة وابادة اكبر قوة للخصم .

ـ اما في المراحل المتقدمة فقد اصبح الطابع الهجومي هو الواضح . فنطالع في رسالة الخليفة عمر بعد فتح المدائن سنة ١٦ هـ. بعدما بلغه بتجمع الفرس في جلولاء بقيادة مهران وتجمع اهل الموصل بتكريت تحت قيادة « الانطاق » الأمر التالي :

(سرح هاشم بن عتبة الى جلولاء في اثني عشر الفاً واجعل على مقدمتـــة القعقاع بن عمرو وعلى ميمنته سعد بن مالك وعلى ميسرتـــه عمرو بن مالك ابن عتبة واجعل على ساقته عمرو بن مرة الجهني) (٢) .

وسار هاشم بن عتبه وفتح جلولاء. ثم اتبع الخليفة عمر رسالته السابقة بالرسالة التالية :

(ان فتح الله عليكم جلولاء ـ فسرح القعقاع بن عمرو في آثار القوم حتى ينزلوا بحلوان فيكون ردءاً للمسلمين ويحرز الله لكم سواركم) (٣) .

وتوجه القعقاع فطارد قوات العدو حتى خانقين ، وهزم التجمع الذي كان يقوده مهران ، وقتل مهران وفتحت حلوان سنة ١٦ هـ.

ـ ورجع هاشم بن عتبه من جلولاء الى المدائن بعد فتحها ، وبلغ عمر أن

---

(١) مقدمة ابن خلدون ١٣٥ .

(٢) تاريخ الطبري ٤/١٧٩ .

(٣) تاريخ الطبري ٤/١٨٥ .

ابن الهرمزان يقود تجمعاً للهجوم على جيش المسلمين فكتب الخليفة عمر الى قائده سعد بن ابي وقاص بتوجيه جيش الى ماسبذان لتدمير التجمع وجاء في الرسالة :

(... ابعث اليهم ضرار بن الخطاب في جند واجعل على مقدمته ابن الهذيل الاسدي وعلى مجنبتيه عبد الله بن وهب الراسبي والمضارب العجلي) (١)

– وانطلق ضرار بجيشه ، فدمر تجمع الفرس وقتل الهرمزان ، وفتح ماسبذان .

– وتستمر بعد ذلك اعمال المطاردة وتصفية المقاومات حتى تنتهي عمليات فتح الشام والعراق وتنتقل العمليات الى فارس ومصر ، وخلال هذه المرحلة كانت قيسارية آخر موقع استمر في المقاومة ، وقد ازعج بقاءها الخليفة عمر فكتب الى يزيد بن أبي سفيان :

(اما بعد – فقد وليتك اجناد الشام كله ، اخرج فعسكر بالمسلمين ثم سر الى قيسارية فانزل عليها ثم لا تفارقها حتى يفتحها الله عليك فانه لا ينبغي افتتاح ما اقتحم من ارض الشام على مقام اهل قيسارية فيها وهم عدوكم والى جانبكم ، وانه لا يزال قيصر طامعاً في الشام ما بقي فيها احد من اهل طاعته منيعاً) (٢) .

– وهنا تبرز ايضاً وبشكل واضح ارادة تحطيم جميع الروابط التي كانت تصل دولة الروم مع الشام ودولة فارس مع العراق . وعندما انتهت هذه العملية بدأت مرحلة تصفية دولتي الروم وفارس ذاتهما .

---

(١) تاريخ الطبري ١٨٧/٤ .

(٢) فتوح الشام – الواقدي ٢٥٠ – وفي رواية الطبري ان عمر كتب الى يزيد بن ابي سفيان أن يسرح اخاه معاوية على قيسارية وانه فتحها سنة ١٥ هـ. وهو الرواية الأكثر صحة . وذكر الطبري ان يزيد بن ابي سفيان توفي في طاعون عمواس فلما انتهى مصابه الى عمر ، عين اخاه معاوية بن ابي سفيان على جند الشام وخراجها .

ان هذا المخطط الذي يوافق بين الهدف والامكانات ويطبق السياسة المرحلية لتحقيق التوازن بين معادلة الهدف – الامكانات . هو من الميزات الكبرى للعقل الاستراتيجي والفكر الاستراتيجي ايام الفتوحات الاسلامية . وهو عامل اساسي فيما حققه العرب المسلمون من انتصارات – .

١٤ – التنظيم للمعركة :

– كان العرب قبل الاسلام يجيدون – بطبيعة حياتهم – قتال الاغارة ، والهجوم المباغت ، والانسحاب بسرعة ، وتنفيذ اعمالهم القتالية بهجمات حاسمة . وقد كان هذا الاسلوب يتوافق مع اعدادهم القتالية المحدودة ومع طبيعة مسارح عملياتهم . وكان العرب في دولتي الغساسنة والمناذرة يجيدون اساليب الهجوم المتطورة واعمال الدفاع واستخدام الاسلحة الاجماعية كالمنجنيق والمدرعة – وكذلك كان عرب اليمن ايضاً – وعندما جاء الاسلام وبدأت الفتوحات الاسلامية ظهرت ضرورة لاجراء تطورات في فنون القتال .

– لقد تطور مسرح العمليات ، فلم يعد أفق المعركة محصوراً بحدود قطعة أرض من الجزيرة .

– وتطور حجم القوات المقاتلة فلم يعد يقتصر على أفراد قبيلة أو مقاتلي مجموعة قبائل متحالفة ، وأصبح الجيش يضم مقاتلين من جميع الأقطار وكل القبائل .

– وتطورت طبيعة الخصم ، فلم يعد العرب يجابهون بعضهم بعضاً بل اصبحوا بعد الاسلام في مجابهة تحدي اكبر دولتين عرفهما العالم القديم .

– وكانت أول ظاهرة عبرت عن هذا التطور هي تنظيم مناطق تجمع ومناطق حشد القوات وتنظيم الجيش في هذه المناطق ضمن تنظيمات قتالية « كراديس » . وكانت ثاني الظواهر تحرك القوات العربية الإسلامية على عدد من المحاور ثم جاءت الظاهرة الثالثة في تطوير فن القتال ذاته .

أ ـ وضع نظام التسلسل العسكري :

يعلل ابن خلدون ظاهرة تنظيم التسلسل العسكري في الجيوش العربية الاسلامية بما يلي :

(لما كثرت الجنود الكثرة البالغة ، وحشروا من قاصية النواحي استدعى ذلك ان يجهل بعضهم بعضاً اذ اختلطوا في مجال الحرب واعتوروا مع عدوهم الطعن والضرب فيخشى من تدافعهم فيما بينهم لاجل النكراء وجهل بعضهم لبعض فلذلك كانوا يقسمون العساكر جموعاً ، ويضمون المتعارفين بعضهم لبعض وكانوا يقسمون الجيوش والعساكر اقساماً يسمونها كراديس ويسوون في كل كردوس صفوفه) (١) .

وهكذا يقصر ابن خلدون اهداف التنظيم على ضرورة تعارف جند المسلمين وعدم اصطدام بعضهم ببعض . لكن هناك اسباب اخرى تظهر لتكمل هذه الاسباب .

ـ كانت بداية ظهور الكراديس في معركة اليرموك ، ثم في معركة القادسية.

ـ وكانت بداية التقسيم العشري ووضع نظام التسلسل في منطقة الحشد « في شراف » قبل التوجه الى القادسية .

وتظهر ضرورة التنظيم من زاوية اخرى في كلمات خالد بن الوليد عندما عقد مؤتمر القادة فقال لهم :

(لا يجوز ان نقابل القوم على تعبية ونحن على تساند) .

ولهذا فان ضرورة مجابهة تنظيم العدو بتنظيم مماثل هي سبب ثان من اسباب ظهور التنظيم في الجيوش العربية الاسلامية .

واما السبب الثالث فهو ضرورة احكام القيادة وتمكين القائد عن السيطرة

---

(١) الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لمؤلفه عبدالرحمن ابن خلدون المغربي– مقدمة ابن خلدون ص ١٣٣ .

على جنوده . وتظهر هذه الضرورة في كلمات الخليفة ابن الخطاب عندما اوصى سعد بن ابي وقاص فقال له وصيته الشهيرة :

(عشر الناس وعرف بهم ... الخ) (١) .

وهكذا فان عوامل ضرورة التنظيم كانت كالتالي :

١ – ضرورة احكام القيادة وتحقيق مبدأ السيطرة على المقاتلين مما يساعد على سهولة الاتصال بهم ومراقبتهم وتوجيههم .

٢ – ضرورة مجابهة تنظيم العدو بتنظيم مماثل .

٣ – ضرورة تعارف الجند في الوحدات ولا سيما انهم اصبحوا من اقطار مختلفة واقاليم متباعدة .

ب – التنظيم للقتال :

(ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص)

– صدق الله العظيم –

– كانت هذه الآية هي بداية التنظيم العسكري في الاسلام واستخدام نظام التنسيق في الهجوم . وكان العرب قبل الاسلام يعرفون الكر والفر ثم تطور نظام النسق الى نظام الكراديس . وأصبح الجيش يقسم الى قلب وجناحين او اربعة اجنحة ومؤخرة . وكان الفرسان يتخذون تنظيمهم القتالي على الاجنحة او امام الانساق الأولى او خلفها تبعاً للموقف . ويذكر ابن خلدون هذا التطور بايجاز :

(كانت الحرب أول الاسلام كله زحفاً وكان العرب انما يعرفون الكر والفر لكن حملهم على ذلك أول الاسلام أمران – احدهما ان أعداءهم كانوا يقاتلونهم زحفاً فيضطرون الى مقاتلهتم بمثل قتالهم – الثاني انهم كانوا مستميتين في جهادهم لما رغبوا فيه من الصبر ولما رسخ فيهم من الايمان ، والزحف الى الاستماتة اقرب) (٢) .

---

(١) طالع تفاصيل التنظيم والتوصيات في معركة القادسية .

(٢) مقدمة ابن خلدون ١٣٣ .

- واقتصرت اعمال الكر والفر او الالقضاض الحاسم والانسحاب بسرعة على اعمال : ١ - الاستطلاع . ٢ - الهجمات المضادة . ٣ - المطاردة واستثمار النصر .

- بعد تنظيم الكراديس ، اصبح التنظيم للقتال يتمثل بالصورة التالية :

أ - الطليعة أو المقدمة « وهي من الفرسان الذين يندفعون حتى مسافة النظر امام كتلة الجيش الضاربة » .

ب - الكتلة الرئيسية وهي تقسم الى قلب وجناحين او اكثر ، وتبتعد الاجنحة عن القلب احياناً حتى مسافة الرؤيا ، ويتقدم حملة الرايات صفوف الكتلة الرئيسية ويكون حملة الاعلام والرايات من اقوى الفرسان واشجعهم .

قال الخليفة علي بن ابي طالب يوصي المقاتلين قبل معركة صفين :

(اقيموا راياتكم ولا تُميلوها ولا تجعلوها الا بايدي شجعانكم)

وقال ايضاً :

(قدموا الدارع وأخروا الحاسر ، والتووا على اطراف الرماح فانه اصون للاسنة) .

وفي معركة اليرموك اوصى ابو عبيدة جنده بقوله :

(لا تتركوا مصافكم - ولا تخطوا اليهم خطوة ولا تبدأوهم بالقتال ، وأشرعوا الرماح واستتروا بالدرق والزموا الصمت) (١) .

وقال معاذ بن جبل في المعركة ذاتها :

(اشرعوا الرماح - فاذا حملوا عليكم فامهلوهم حتى اذا ركبوا اطراف الاسنة - فثبوا في وجوههم وثبة الأسد) (٢) .

---

(١) تهذيب ابن عساكر ١٦٢/١ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ١٦٤/١ .

ج – الحرب النفسية :

– قال الرسول صلى الله عليه وسلم : **(نصرت بالرعب) .**

وانتقل الأمر الى الخلفاء الراشدين وبدأت اعمال الفتوح وكان ذلك سبباً في التوسع بتطبيق هذا المبدأ ، وذلك للتعويض عن عدد قلة المسلمين بالمقارنة مع خصومهم . وقد اتبعت لذلك وسائل مختلفة :

١ – الصدق في القول والتصميم على تحقيق الهدف – كان صدق القادة المسلمين في انذارهم لخصومهم بالمصير الذي سينتهي اليه امرهم اذا حاربوا المسلمين وتنفيذهم لوعيدهم بدقة من الاسباب التي احبطت ارادة القتال لدى خصوم المسلمين وذلك لمجرد وصولهم نذير او وعيد . وكان التصميم على تحقيق الهدف من الاسباب التي وضعت المسلمين في موقف الذي « لا يُغلب » .

٢ – الشجاعة في الحرب – وكانت ارادة المسلمين للقتال وعدم انحرافهم عن هدفهم والاندفاع الى الموت دونما تردد لتحقيق هذا الهدف من الاسباب التي كانت تحبط ارادة القتال لدى خصوم المسلمين .

ذكر الطرطوسي حول هذا الموضوع :

(ان من اسباب التغلب في الحروب ان تفضل عدة الفرسان المشاهير من الشجعان في احد الجانبين على عدتهم في الجانب الآخر – مثل ان يكون احد الجانبين فيه عشرة او عشرون من الشجعان المشاهير وفي الجانب الآخر ثمانية او ستة عشر – فالجانب الزائد ولو بواحد يكون له الغلب) [1] .

ولا حاجة للتنويه بما كان يحدثه ظهور نابليون ، ومونتغومري ، ورومل ، وايزنهاور من أثر معنوي في الاصدقاء والاعداء على حد سواء .

٣ – ابادة القادة منذ اللحظات الاولى للقتال – كان العرب المسلمون في فتوحاتهم يستهدفون قتل قادة الخصم منذ اللحظات الأولى للقتال . وكان لذلك

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٣٥ – ويلحق بمعنى الغلب في الحروب – الشهرة والصيت .

انعكاسات نفسية سيئة في مسيرة المعركة التي يقتل فيها القائد وفي مسيرة العمليات التالية بحيث اصبح القادة يعرفون ان مصيرهم الحتمي هو القتل عند اصطدامهم بالمسلمين وكان خوف القادة ينعكس بدوره على المقاتلين .

٤ ـ **قتل الاسرى والقائهم في مواجهة العدو** ـ وكان خالد بن الوليد اول من استخدم هذا الاسلوب على نطاق واسع . وكان يستهدف الحصول على القادة بالدرجة الأولى او من لهم مكانة مرموقة وسمعة قتالية جيدة في صفوف اعدائه . وقد اوصى الخليفة عمر قائده سعد بن ابي وقاص بقوله :

(ولا تؤتي باسير ليس له عقـد ، الا ضربت عنقه لترهب به عـدو الله وعدوك) (١) .

٥ ـ **المطاردة الحاسمة في القتال** :ـ كانت المعارك الاسلامية التي تنتهي بانتصار المسلمين لا تترك الفرصة لهروب الاعداد الكبيرة حتى لا يشكلوا مقاومات جديدة . ولهذا كانت مجموعات الفرسان تنطاق مع تحول الموقف وظهور بواكير النصر الى تطويق ميدان المعركة وابادة مجموعات العدو . ونلاحظ وقوع الاعداد الضخمة من القتلى والتي تزيد اضعافاً وبمعدل مرتين او ثلاثة او اكثر عن عدد جيش المسلمين .

ان اسلوب الابادة هذا كان عاملاً من العوامل النفسية لاحباط ارادة القتال عند الخصم . وهو من ناحية اخرى ضرورة لتحطيم توازن القوى الذي لم يكن ابداً لصالح المسلمين في جميع معاركهم .

وهناك فارق كبير بين هذا الاسلوب ، وبين اسلوب التتار في التدمير .

١ ـ فالمسلمون لم يكونوا يستهدفون في اعمال الأبادة سوى المقاتلين الذين يحملون السلاح ضدهم .

٢ ـ وهم ايضاً لم يكونوا يقتحمون الحرب الا بعد استنزاف كافة الوسائل

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ١/٤٠ .

السلمية . وعندما تصبح الحرب هي الوسيلة الحاسمة الوحيدة فان مظهر الحرب عند المسلمين يصل حتى اقصى ابعاده اتساعاً وشمولاً .

٣ ـ ان شواهد الحرب الحديثة ـ ولا سيما الحرب العالمية الثانية وما تبعها ـ قد اتبعت هذا الاسلوب ذاته على الرغم من اختلاف الوسائل واختلاف العامل الزمني .

٦ ـ مطاردة الخصوم واعداء المسلمين حيثما ذهبوا ـ اثناء فتح الجزيرة ارتحلت قبيلة اياد بن نزار الى بلاد الروم ، وعلم الوليد بن عقبه بذلك فارسل الى الخليفة عمر كتاباً يشرح له الموقف . وعند ذلك كتب الخليفة عمر الى هرقل ملك الروم الذي اضطر مرغماً على التخلي عن اياد وتوجيهها الى الشام وكان نص الرسالة :

(انه بلغني ان حياً من احياء العرب ترك دارنا واتى دارك فوالله لتخرجنه أو لننبذن الى النصارى ثم لنخرجنهم اليك) (١)

ان هذا الاسلوب قد حمل اعداء المسلمين على الشعور انه لا قبل لهم بلقاء المسلمين . وانه لا مفر لهم من التسليم لارادتهم والاذعان لنظامهم السياسي والاجتماعي . وكان هذا الاسلوب من الوسائل النفسية التي احبطت ارادة القتال لدى اعداء المسلمين .

١٥ ـ مناطق الحشد ـ والمعسكرات :

(اذا انتهيت الى زرود ـ فانزل بها ـ وتفرقوا فيما حولها) (٢) .

قالها عمر بن الخطاب الى قائده سعد بن ابي وقاص عندما وجهه الى العراق . وكانت زرود منطقة الحشد الأولى .

---

(١) تاريخ الطبري ١٩٨/٤ .

(٢) تاريخ الطبري ٤٨٥/٣ .

– الترتيبات التي كان يتخذها العرب المسلمون في مناطق الحشد :

١ – استطلاع منطقة الحشد « من قبل الرائدة – مفرزة الاستطلاع » .

٢ – التحرك اليها مع اتخاذ ترتيبات أمن المسير .

٣ – الانتشار في منطقة الحشد .

٤ – حفر خندق حول المعسكر .

٥ – ارسال عناصر الأمن وعناصر الحراسة وتوزيعها على اطراف المعسكر .

٦ – ارسال مفارز استطلاع حتى مسافات كافية ولا سيما على المحاور الخطرة.

٧ – اجراء التنظيم للقتال ، وتقسيم القوات الى تشكيلات مقاتلة(١) .

٨ – تنظيم الشؤون الادارية .

– وكانت هذه الاجراءات تطبق ايضاً في كل مرة يتم فيها توقف الجيش ، اما استعداداً للمعركة ، او للراحة ، او في انتظار تعليمات جديدة ، او الانتقال لمرحلة جديدة من مراحل القتال .

(كان من مذاهب الأول في حروبهم حفر الخنادق حول معسكرهم عندما يتقاربون للزحف حذراً من معرة البيات والهجوم على العسكر بالليل ووحشته – فكانوا يحفرون الخنادق على معسكرهم – اذا نزلوا وضربوا أبنيتهم « خيامهم » ويديرون الحفائر نطاقاً عليهم من جميع جهاتهم حرصاً ان يخالطهم العدو بالبيات) (٢) .

– وقال ابو بكر الصيرفي شاعر الاندلس في دروس الحرب :

خندق عليك اذا ضربت محلة : سيان تتبع ظافراً أو تتبع

والواد لا تعبره وانزل عنده : بين العدو وبين جيشك يقطع(٣)

---

(١) مخطط تنظيم القوات – ورسالة الخليفة عمر « ان عشر الناس ، وعرف عليهم » الخ . في معركة القادسية .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ١٣٤ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ١٣٤ .

– وقد جاء في رسالة عبد الحميد الكاتب من الخليفة الاموي مروان بن محمد الى ابنه عبدالله ما يلي :

(اياك ان يكون منزلك الا في خندق – وحصن تامن به بيات عدوك وتستقيم فيه الى الحزم من مكيدتك اذا وُضِعَتْ الاثقال وحطت أبنية اهل المعسكر لم يمدد طنب ولم يرفع خباء ولم ينصب بناء حتى تقطع لكل قائد ذرعاً معلوماً من الأرض بقدر اصحابه فيحتفروا عليهم خندقاً يطيفونه « أي يحيطونه » بعد ذلك بخنادق الحسك . « وهو نبات له شوك صلب » طارحين لها دون اشتجار الرماح ونصب الترسة .

– وهكذا يكون اول واجب لدى وصول الجند الى المعسكر هو خفر الخنادق واحاطتها بالمحطومات والاغصان الغليظة والنباتات الشائكة التي تعيق الاقتراب من المعسكر . ونظراً لأن هذه المرحلة من المراحل الخطرة بسبب انصراف الجند الى اعمال الحفر ، ووضع الاسلحة وتأمين الشؤون الادارية فقد نظمت الحراسة ودفعت مفارز المراقبة حتى مسافة بعيدة لحماية الجند اثناء عملية النزول :

(فاذا اردت نزولاً ، أمرت صاحب الخيل التي وكلت بالناس فوقفت خيله منتحية عن معسكرك عدة لأمر ان غالك ومفزعاً لبديهة ان راعتك فقد أمنت بحمد الله وقوته فجأة عدوك . وعرفت موقعها من حرزك حتى يأخذ الناس منازلهم وتوضع الأثقال في مواضعها ويأتيك خبر طلائعك ، وتخرج دبابتك « بمعنى دوريات » من معسكرك محيطين بعسكرك وعدة لك إن احتجت اليهم) (١)

– من المحتمل جداً قيام العدو بالاغارة ليلاً على معسكر الجند بهدف تحطيم روحهم المعنوية وايقاع الخسائر الكبيرة في وقت يكون فيه الجند مستسلمين

---

(١) رسالة مروان بن محمد الى ابنه عبدالله على لسان عبدالحميد الكاتب .

للراحة والنوم ، ومن اجل مجابهة مثل هذا الموقف ، كانت تخصص قـــوة احتياطية مكونة من مائة مقاتل ، تقف عند كل مدخل واجبها الاول هـــو مجابهة الطوارىء ومقابلة العدو واعطاء فرصة للمقاتلين من اجل الاستعداد وخوض المعركة . فاذا كان هجوم العدو كبيراً فان واجب المقاتلين هو التوقف عند حدود الخندق والتصدي لقوات العدو بالرماح والسهام وعدم استخدام السيوف وترك تصفية قوات العدو على عاتق قوة الطوارىء .

(فان ابتليت ببيات عدوك ... كنت له مستعداً ... وألا يتكلم أحد من جندك صوته بالتكبير مفرقاً في الاجلاب معلناً بالارهاب لاهـــل الناحية التي يقع بها العدو طارقاً ...

(مر جندك بالصمت – وقلة التلفت عند المصاولة ... وإلا يظهروا تكبيراً الا في الكرات والحملات وعند كل زلفة يزدلفونها ... فأما وهم وقوف فان ذلك من الفشل والجبن) ... (١)

– ونظراً للاثر النفسي الذي يحدثه الهجوم المباغت فانه يجب التزام الصمت وقمع محاولات الشغب وعدم الاستماع الى مثيري الفزع . وبما ان الجند في مثل هذه الحالات يتطلعون بابصارهم الى قائدهم فقد وجب على القائد الالتزام باقصى درجات الحزم وضبط النفس ، وعدم تغيير كل ما هو طبيعي مثل ايقاد الاضواء والانارة :

(واياك ان تخمد نار رواقك واذا وقع العدو في معسكرك فأججها ساعراً لها – وأوقدها حطباً جزلاً يعرف به أهل العسكر مكانك وموضع رفاقك فيسكن نافر قلوبهم ، ويقوى واهن قوتهم ، ويشتد منخذل ظهورهم ولا يرجمون بك الظنون) (٢)

ونتيجة لاحتمال قيام العدو بهجوم مباغت فقد وجب ان يكون المعسكر

---

(١) و (٢) رسالة عبد الحميد الكاتب .

محدود الانتشار ذا شكل دائري قدر المستطاع مما يسهل اعمال الحراسة والمراقبة :

(وليكن موضع انزاله اياهم ـ ضاماً لجماعتهم مستديراً بهم جامعاً لهم ولا يكون منبسطاً منتشراً متبدداً ينشق ذلك على اصحاب الاحراس وتكون فيه النهزة « الفرصة » للعدو والبعد عن المادة ـ ان طرق طـارق في فجآت الليل) (١) .

ـ فاذا سارت الأمور مسيرة طبيعية ، ولم يتدخل العدو ، فانه يجب على القائد تحديد ساعة الرحيل للجميع بدقة حتى يستفيد الجند اقصى مدة ممكنة من فترة الراحة .

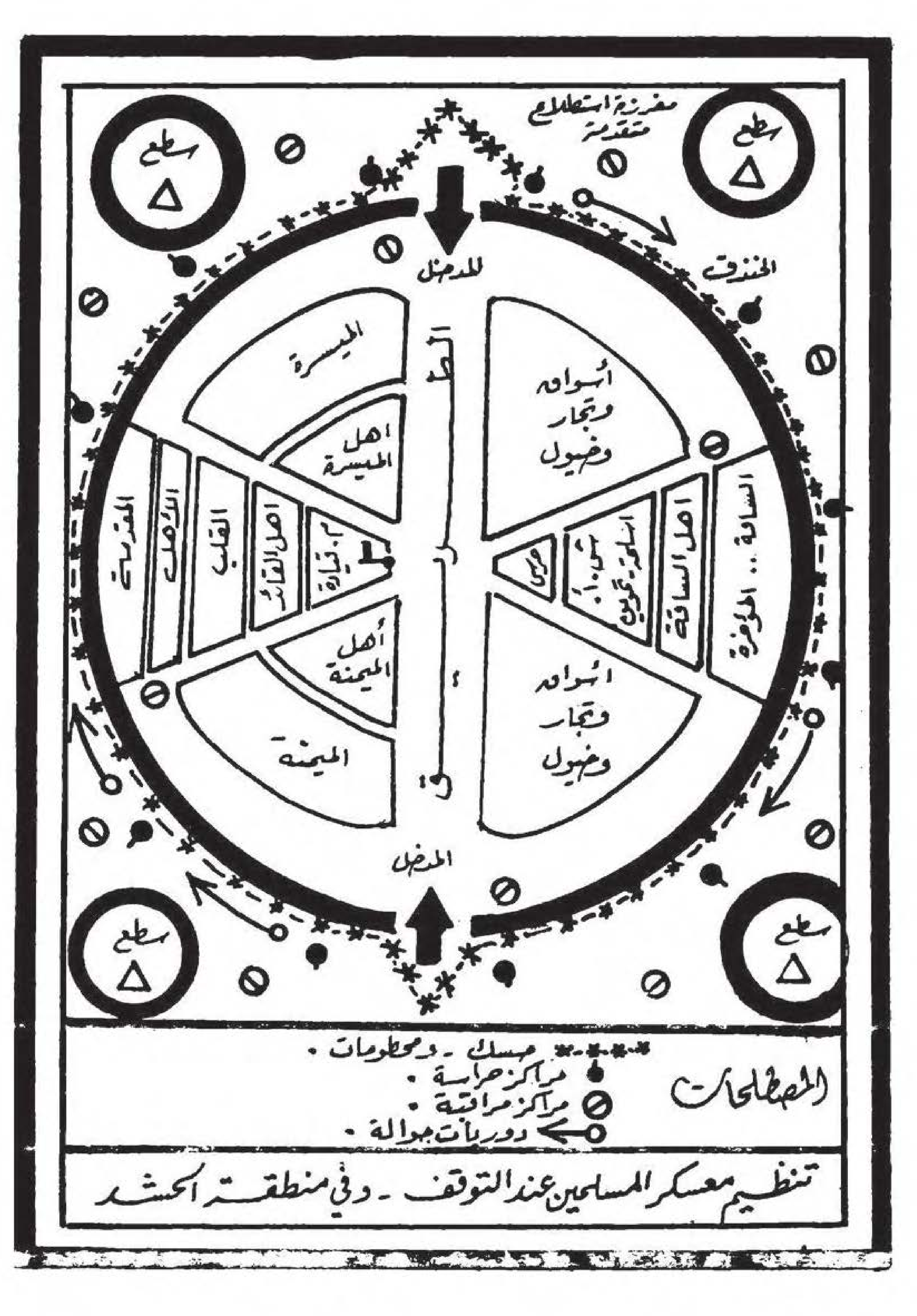
(ليكن رحيلك اباناً واحداً ووقتاً معلوماً لتخف المؤونة بذلك على جندك ـ ويعلموا أوان رحيلهم فيقوموا فيما يريدون من معالجة اطعمتهم واعلاف دوابهم وتسكن أفئدتهم الى الوقت الذي وقفوا عليه) (٢)

ـ ان ساعة الرحيل وساعة النزول هما من اخطر الأوقات التي يستهدفها العدو لتحقيق مباغتة بسبب انصراف الجند الى شؤونهم والاستعداد للمسير ولانصراف القادة لتعبئة قواتهم . ولهذا وجب اتخاذ الاحتياطات عند الرحيل بتخصيص وحدة معينة يقع عليها واجبات الحماية المباشرة :

(اياك ان تنادي برحيل مـن منزل تكون فيه حتى تأمر صاحب تعبئتك بالوقوف باصحابه على معسكرك ، آخذاً بفوهة جنبتيه ، باسلحتهم « لحراسة المداخل والمحاور الرئيسية » وذلك عدة لأمر ان حضر او مفاجأة من طليعة العدو ان رأت منكم نهزة اولمحت عندكم غرة ... ثم مر الناس بالرحيل وخيلك واقفة وأهبتك معدة وجنبتك واقية ، حتى اذا استقللتم من معسكركم وتوجهتم من منزلكم سرتم على تعبيتكم بسكون ريـح وحملة وحسن دعة) (٣) .

---

(١) و (٢) و (٣) رسالة عبدالحميد الكاتب من الخليفة الأموي مروان بن محمد الى ابنه عبد الله



مفرزة استطلاع متقدمة
مطلع
مطلع
مطلع
مطلع
المدخل
الخندق
الميسرة
أهل الميسرة
أهل الميمنة
الميمنة
أسواق وتجار وخيول
أسواق وتجار وخيول
القلب
أهل القائد
م. قيادة
أهل الساقة
الساقة .. المؤخرة
المدخل
المصطلحات
حسك - ومحطومات .
مراكز حراسة .
مراكز مراقبة .
دوريات جوالة .
تنظيم معسكر المسلمين عند التوقف - وفي منطقة الحشد

١٦ – جمع المعلومات :

أ – الجاسوسية :-

كان العرب المسلمون يعتمدون في جميع معلوماتهم عن العدو على اربعة عناصر :

١ – عناصر الاستطلاع ومفارز الاستطلاع .

٢ – الجواسيس « وكانوا يطلقون عليهم اسم العيون ، أو عيون القائد » .

٣ – الانصار .

٤ – الأسرى .

– وكان القادة على اختلاف مراتبهم يبذلون اهتماماً كبيراً في جمع المعلومات عن العدو والأرض ووحداتهم الخاصة . وكان قائد المسالح هو المسؤول الأول عن جمع المعلومات . وكثيراً ما كان القائد ذاته يباشر اعمال جمع المعلومات او استجواب الاسرى واجراء عملية التقاطع بين المعلومات . والتأكد من صحتها . ثم توزع هذه المعلومات باسرع ما يمكن . وكان القادة بدورهم يتبادلون المعلومات فيما بينهم . ويرسل موجز عن هذه المعلومات الى الخليفة ونتيجة لتجمع المعلومات من مصادر مختلفة عند الخليفة يصبح باستطاعته اتخاذ القرار المناسب فيرسله على شكل اوامر الى قادته . وعندما تكون المعلومات المتوفرة عند الخليفة او القائد منقوصة او غير كاملة فانه كان يبعث الى قادته لاستكمالها ، اويرسل الى قادة آخرين من جبهة ثانية – اذا كان مصدر المعلومات يتعلق بجبهاتهم – فتصله المعلومات وتتوضح صورة الموقف بشكل كامل .

– اوصى عمر الخليفة قائده سعد بن ابي وقاص :

« اذا وطئت ارض العدو – فاذك العيون بينك وبينهم ، ولا يخف عليك امرهم وليكن عندك من العرب او من اهل الأرض من تطمئن الى نصحه

وصدقه . فان الكذوب لا ينفعك خبره وان صدقك في بعضه ـ والغاش عين عليك وليس عيناً لك) (١)

ـ وعندما وجه مروان بن محمد ابنه عبدالله لحرب الضحاك بن قيس الشيباني ارسل اليه رسالة بواسطة عبد الحميد الكاتب جاء فيها :

(اذك عيونك على عدوك متطلعاً لعلم احوالهم التي يتقلبون فيها ومنازلهم التي هم بها ومطامعهم التي قد مدوا اعناقهم نحوها وأي الأمور أدعى لهم إلى الصلح وأقودها لرضاهم الى العافية) (٢) .

ـ وأوصى مروان ابنه بشأن علاقة الجواسيس بعضهم ببعض :

(واحذر ان يعرف بعض عيونك بعضاً ، فانك لا تأمن تواطؤهم عليك وممالأتهم عدوك واجتماعهم عـــلى غشك وتطابقهم على كذبك ... وان يورط بعضهم بعضاً عند عدوك فاحكم امرهم فانهم رأس مكيدتك وقوام تدبيرك وعليهم مدار حربك) .

ـ اما بشأن علاقة الجواسيس ، واسلوب عملهم فاننا نطالع :

(احذر ان يُعرف الجواسيس في عسكرك ، او يشار اليهم بالاصابع ـ وليكن منزلهم على كاتب رسائلك وأمين سرك ويكون هو الموجه لهم والمدخل عليك من أردت مشافهته منهم) ...

(... واعلم أن لعدوك في عسكرك عيوناً راصدة وجواسيس كامنة وأنه لن يقع رأيه عن مكيدتك بمثل ما تكايده به . وسيحتال لك كاحتيالك له فاحذر أن يشهر رجل من جواسيسك في عسكرك فيبلغ ذلك عدوك ويعرف موضعه فيعد له المراصد فان ظفر به فأظهر عقوبته ، كسر ذلك ثقات عيونك وخذلهم عن تطلب الأخبار من معادنها واستقصائها من عيونها حتى يصيروا

---

(١) العقد الفريد ١/٤٠ .

(٢) رسالة مروان بن محمد لابنه عبدالله وضعها عبدالحميد الكاتب .

الى اخذها مما عرض من غير الثقة ولا المعاينة لقطاً لها بالاخبار الكاذبة والاحاديث المرجفة) (١) .

– وللجواسيس معاملة خاصة ، فيجب ان تؤخذ معلوماتهم بعين الحذر ؛ كما يجب ان يعاملوا هم ايضاً بالحذر ، وذلك لخطورة النتائج المترتبة على المعلومات التي يحصلون عليها او التي يقدمونها وما يتبع ذلك من قرارات – واجراءات :

(اعلم ان جواسيسك وعيونك ربما صدقوك وربما غشوك وربما كانوا لك وعليك فنصحوا لك وغشوا عدوك أو غشوك ونصحوا عدوك وكثيراً ما يصدقونك ويصدقونه – فلا تبدرن منك فرطة عقوبة الى احد منهم ، واستنزل نصائحهم بالمياحة والمناله – « أي بالعطاء والانفاق » وابسط من آمالهم فيك من غير أن ترى احداً منهم انك اخذت من قوله أخذ العامل به والمتبع له) .

(احفظ من عيونك وجواسيسك ما يأتونك به من اخبار) (٢) .

– وقد يحمل الجاسوس معلومات خاطئة اما نتيجة لتقادم الزمن عليها وحدوث احداث مستجدة ، واما لتغيير يحدثه العدو – وهنا يجب ان يدرك القائد الحافز لذلك والسبب – وألا ينحي باللائمة على جاسوسه .

(اياك ومعاقبة احد منهم على خبر ان اتاك به فاتهمته فيه أو سوأت به ظناً وأتاك غيره بخلافه أو أن تكذبه فيه فترده عليه ولعله أن يكون قد محضك النصيحة وصدقك الخبر وكذلك أو ل « فسر – وفهم » أو خرج جاسوسك الأول متقدماً قبل وصول هذا من عند عدوك وقد أبرموا لك امراً وحاولوا لك مكيدة وأرادوا منك غرة فازدلفوا اليك في الاهبة ثم انتقض بهم رأيهم ... واجعلهم « اي جواسيسك » أوثق من تقدر عليه وآمن من تكن

---

(١) و (٢) رسالة مروان بن محمد الى ابنه عبدالله .

الى ناحيته ، ليكون ما يبرم عدوك في كل يوم وليلة عندك ان استطعت ذلك. فتنقض عليهم برأيك وتدبيرك ما أبرموا – وتأتيهم من حيث أمنوا – وتأخذ لهم أهبة ما عليه أقدموا وتستعد لهم بمثل ما حذروا) .

ب – دراسة الأرض :

(قَتَلَتْ ارضٌ جاهلها وقَتَلَ ارضاً عالمها) .

قالها خالد بن الوليد وهو يتحدث الى عمروبن عبد المسيح بعد معركة بادقي فاجابه عمرو :

(النملة اعلم ما في بيتها من الجمل بما في بيت النملة) (١) .

وكتب الخليفة عمر بن الخطاب الى سعد بن ابي وقاص عندما نزل في القادسية :

(صف لي منازل المسلمين والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كأني أنظر اليها – واجعلني من امركم على الجلية) (٢) .

كما أوصاه ايضاً عدم زج قواته بالقتال قبل دراسة الارض دراسة دقيقة فقال له :

(لا تعاجلهم المناجزة ما لم يستكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله– وتعرف الارض كلها كمعرفة اهلها فتصنع بعدوك كصنعه بك) (٣) .

ج – المحافظة على السر :

(انظر كيف تكون – واضبط لسانك ولا تفشين سرك فان صاحب السر

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٦٣ .
(٢) تاريخ الطبري ٤/٨٩ .
(٣) العقد الفريد ١/٤٠ .

ما ضبطه متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه واذا ضيعه كان بمضيعة) (١) .

من وصية الخليفة عمر الى أبي عبيد الثقفي عندما وجهه الى العراق :

(اذا قدم عليك رسل عدوك – فاكرمهم – واقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ولا تبقيهم فيروا حالك ويعلموا علمك وانزلهم في ثروة عسكرك . وامنع من قبلك بمحادثتهم – وكن انت المتولي لكلامهم). (لا تجعل سرك كعلانيتك فيخلط امرك) (٢) .

من وصية الخليفة أبي بكر الى يزيد بن ابي سفيان .

د – « المسالح » وعملها(٣) :

– المسالح هي نقاط المراقبة المتقدمة من حيث دورها وواجبات افرادها . وكان يتم توزيع هذه النقاط في حالات التوقف او عند حدود العدو .

وكانت مهمة المسالح : مراقبة العدو ، الانذار ، الانسحاب في الوقت المناسب والانضمام الى الكتلة الرئيسية او الى الجيش .

(بعد تحرك خالد للشام قام الفرس بتنظيم هجوم لطرد المسلمين فشعرجند المسالح واعلموا المثنى بن حارثة – فخرج المثنى من الحيرة نحوهم – وضم اليه المسالح (٤) **.**

– وكان يتم انتقاء افضل العناصر واشجع المقاتلين وخيرة القادة لتنفيذ واجبات المراقبة .

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٥٤ .

(٢) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٢٧٦ .

(٣) المسلحة : القوم الذين يحفظون الثغور من العدو وسموا مسلحة لانهم يكونون ذوو سلاح او لانهم يسكنون المسلحة ، والمرقب فيه اقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة فاذا رأوه اعلموا اصحابهم ليتأهبوا للقتال . تهذيب ابن عساكر ١/١٤٧ .

(٤) تاريخ الطبري ٣ / ٤٠٩ .

ـ عندما ذهب خالد الى الشام ، خرج المثنى لوداعه حتى قراقر ثم عاد فنظم المسالح ووضع بها افضل القادة واشجعهم . « المرجع ذاته »

ـ وكانت نقاط المراقبة هذه ترتبط بقيادة واحدة . وكان عليها قائد يماثل عمله عمل رئيس الاستخبارات او قائد الاستطلاع وهو من اركان القيادة .

ـ عندما توجه المثنى بن حارثة الى المدينة بهدف مقابلة الخليفة عمر وشرح الموقف له خلف على المسلمين بشير بن الخصاصية ووضع مكانه في المسالح سعيد بن مرة العجلي(١) ويكون بذلك قائد الاستطلاع في المرتبة الثالثة من تسلسل القيادة في الجيش .

ـ ونتيجة للاهمية الكبرى التي تقوم بها مراكز المراقبة في امداد الجيش بالمعلومات وانذاره في الوقت المناسب فانها كانت الهدف الأول من اهداف القتال :

(فاذا اجتمعتما بالحيرة وقد فضضتما مسالح فارس وأمنتما ان يؤتى المسلمون من خلفهم فليكن احدكما ردءاً للمسلمين ولصاحبه بالحيرة وليقتحم الآخر على عدو الله وعدوكم من اهل فارس دارهم المدائن) (٢) .

ـ من توصيات الخليفة عمر الى خالد بن الوليد وعياض بن غنم عندما وجههما لفتح العراق :

واوصى الخليفة عمر سعد بن ابي وقاص التوقف في القادسية وعدم تجاوزها ودفع المسالح الى الامام :

(.. فاذا انتهيت الى القادسية ـ فتكون مسالحك على انقابها ـ ويكون الناس بين الحجر والمدر ـ على حافات الحجر ـ وحافات المدر) .

بمعنى يكون معسكر المسلمين على اطراف العراق وسهوله وتكون المسالح في نقاط المراقبة المتقدمة .

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤١٣ والتاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٢٧٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٢/٥٤ .

هـ- الحرس :

(أذك أحراسك على عسكرك - وتيقظ من البيات جهدك) (١)

(اسهر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار وتكشف عنك الأستار - أكثر حرسك وبددهم في عسكرك - وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك - فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه - وعاقبه في غير إراط . واعقب بينهم بالليل - واجعل النوبة الأولى اطول من الأخيرة - فانها أيسرها لقربها من النهار ولا تخف من عقوبة المستحق ولا تلجن فيها ولا تسرع اليها) (٢) .

- تلك هي بعض التوصيات التي كانت بداية تنظيم الحرس في معسكر المسلمين . وقد كان للحرس دور هام نظراً لما يقوم به من حماية مباشرة للجند خلال فترة راحتهم وهي الراحة التي كانوا بحاجة شديدة لها خلال ايامهم التي اتصلت فيها الحروب والمعارك .

- كانت تنظم الحراسة في معسكر المسلمين عند التوقف او اثناء القتال على النحو التالي :

١ - تقوم الرائدة باستطلاع المعسكر ، وتعمل على احتلاله حتى تصل القوة الرئيسية .

٢ - تنطلق الرائدة عند وصول القوات الى نقاط مراقبة متقدمة بهدف حماية المعسكر اثناء النزول ، وتحقيق أمن القوات ضد كل هجوم مباغت .

٣ - تقوم كل كتيبة كردوس بتعيين قوة « طوارىء » تدفعها الى مسافة متوسطة لتحقيق الأمن « وتكون هذه القوة بالتناوب بين الكراديس » .

٤ - تقوم كل كتيبة بتعيين الحرس الخاص بها ، وتضعه تحت تصرف قائد

---

(١) العقد الفريد ٤/١ من وصية عمر الخليفة الى قائده سعد بن ابي وقاص .

(٢) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٢٧٦/٢ من وصية الخليفة ابو بكر الصديق الى قائده يزيد بن ابي سفيان عندما وجهه إلى الشام .

الحرس الذي يقوم بتنظيم المحارس والارتباط فيما بينها وتكون هذه المحارس متصلة بالنظر ، وتمر عليها دوريات للتفقد .

٥ ـ توضع امام مداخل المعسكر قوة احتياطية مكونة من مائة مقاتل مهمتها حماية مداخل المعسكر من كل تدخل مباغت ، ويقع عليها واجب مجابهة العدو اذا تسلل الى المعسكر او قام بهجوم مباغت .

وتتضح هذه الصورة من خلال رسالة مروان بن محمد الى ابنه عبدالله عندما وجهه للقتال :

(ليخرج في كل ليلة قائداً في أصحابه او عدة منهم ان كانوا كثيراً على غلوة أو غلوتين من عسكرك[1] منتبذاً عنك محيطاً بمنزلك ذاكية أحراسه ، قلقة التردد مفرطة الحذر معدة للروع متأهبة للقتال آخذة على اطراف العسكر ونواحيه متفرقبين في اختلافهم كردوساً كردوساً)[2]

(واجعل ذلك بين قوادك وأهل عسكرك نوباً معروفة وحصصاً مفروضة ، لا تُعر « بمعنى لا تستثني » منها مزدلفاً منك بمودة ولا تتحامل فيه على احد بموجدة) .

أي لا تجعل هذا الواجب بمثابة عقوبة ولا تستثنى منه احد من المقربين اليك . اما بشأن حماية مداخل المعسكر فكانت تنظم كالتالي :

(اجعل لمعسكرك بابين » ـ قد وكلت بحفظ كل باب منهما رجلاً من قوادك في مائة رجل من اصحابه فاذا فرغ من الخندق كان ذانك القائدان بمن معهما من اصحابهما أهل ذلك المركز وموضع تلك الخيول ـ وكانوا هم البوابين والأحراس لذينك الموضعين قد كفوهما وضبطوهما ، وأعفوا من اعمال المعسكر ومكروهه غيرهما)[3] .

---

(١) الغلوة : ابعد مرمى السهم وتعادل ثلاثمائة ذراع .

(٢) و (٣) رسالة عبدالحميد الكاتب ـ في جمهرة رسائل العرب ٢/٥٠٨ و ٢/٥١٤ و ٢/٥٢٢.

أما بشأن الحرس المباشر واهميته في معسكر المسلمين فنطالع الفقرة التالية :

(اعلم ان مواضع الاحراس من معسكرك ، ومكانه من جندك بحيث الغناء عنهم والرد عليهم والحفظ لهم والكلاءة لمن بغتهم طارقاً أو أرادهم مخاتلاً ، ومراصدها – المنسل منها والآبق من أرقائهم وأعبدهم – وحفظها من العيون والجواسيس من عدوهم) .

وفي هذه الفقرات حددت مهمة الحرس كالتالي :

١ – وضع الحرس في اماكن محددة يستطيعون ممارسة المراقبة وتؤمن لهم الحماية .

٢ – تكون هذه المحارس على اتصال فيما بينها ومع قائد الحرس .

٣ – الحذر من تسلل العدو او خداعه .

٤ – عدم السماح لاحد بمغادرة المعسكر او الدخول اليه .

٥ – الحذر من جواسيس العدو .

– ونظراً لأ همية الواجب الذي يضطلع به الحرس ، فقد وضعت شروط معينة لانتقاء قائد الحرس :

(« مر قائد الجيش » فليول على حرسه رجلاً ركيناً مجرباً جريء الاقدام ذاكي الصرامة – جلد الجوارح بصيراً بمواضع أحراسه .

١٧ – المسير :

(ترفق بالمسلمين في مسيرهم – ولا تجشمهم مسيراً يتعبهم ، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم ، والسفر لم ينقص من قوتهم فانهم سائرون الى عدو مقيم حامي الأنفس والكراع).

(أقم بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها انفسهم ويرمون اسلحتهم وامتعتهم [١]).

---

(١) العقد الفريد ١/٤٠ .

- من وصية الخليفة عمر الى سعد بن ابي وقاص . وتظهر من خلال الكلمات القليلة المعطيات التالية :

آ - ان المسير هو مرحلة للتقرب من العدو ، والدخول في المعركة ، ولهذا يجب الا يستنزف المسير قوة المقاتلين بحيث يلقاهم العدو وهم في جهد لا يمكنهم من القتال بقوة وعناد لا سيما وان العدو مقيم في ارضه لم ينله من التعب شيئاً وهو الى ذلك يختار ميدان القتال ويعرف الارض التي سيقاتل فوقها .

ب - تحديد فترة راحة اسبوعية بهدف توفير الراحة الجسمية والنفسية للمقاتلين ، فيزول عنهم خلال هذه الراحة توتر القتال ، فيضعون اسلحتهم وينصرفون الى شؤونهم الشخصية .

- ونظراً لان المسير الى القتال هو مرحلة من مراحل الحرب يحتمل الالتقاء خلالها مع قوات العدو في كل وقت فانه من الضروري ان تكون القوات على استعداد دائم للقتال وان يكون تشكيلها للمسير مساعداً على الانتشار والانتقال الى تنظيم القتال بأسرع ما يمكن مع توفر شروط الحيطة المطلقة حتى لا تباغت القوات بهجوم غادر . وقد نظم رتل المسير في القوات العربية الاسلامية الى مقدمة « طلائع » ، واجناب ، ومؤخرة « ساقة » . وكانت القوات الرئيسية والشؤون الادارية توضع في وسط هذا الترتيب بحيث تحيط بها قوات الحماية من كل اطرافها . وقد أوصى الخليفة الاموي مروان بن محمد ابنه عبد الله بتنظيم المسير فكتب له :

(اذا كنت من عدوك على مسافة دانية . فتأهب أهبة المناجز - وكتب خيولك « كتائب » وإياك والمسير الا في مقدمة وميمنة وميسرة وساقة - قد شهروا الأسلحة ونشروا البنود والاعلام - ... عرف جندك مراكزهم ، سائرين تحت ألويتهم ، قد أخذوا اهبة القتال - واستعدوا للقاء ، ملتجئين إلى مواقفهم ، عارفين بمواضعهم في مسيرهم ومعسكرهم ، وليكن ترحلهم

وتنزلهم على راياتهم واعلامهم ومراكزهم ، قد عرف كل قائد منهم اصحابه مواقفهم من الميمنة والميسرة والقلب والساقة والطليعة ، لازمين لها ، حتى تكون عساكرك في كل منها تصل اليه ، ومسافة تجتازها كأنها عسكر واحد في اجتماعاتها على العدو واخذها بالحزم) (١) .

آ ـ الطلائع (٢) « كتيبة الاستطلاع المتقدمة » :

ـ كان الجيش اثناء التحرك يقسم الى طلائع ، ومقدمات ، واجناب ، ومؤخرة . وتتحرك الكتلة الرئيسية في وسط هذه التشكيلات . اما الشؤون الادارية فكانت تسير قبل المؤخرة وتقوم على حراستها المؤخرة ، الساقة .

ـ اسلوب عمل مفرزة الاستطلاع :

كانت مفرزة الاستطلاع تتقدم مسافة كافية عن الرتل المتحرك ، بمهمة :

١ ـ تأمين الرتل ضد مباغتات العدو .

٢ ـ ازالة المقاومات الصغرى .

٣ ـ اعطاء القوة الرئيسية الفرصة المناسبة للتدخل اذا كان هجوم العدو بقوات كبيرة .

ـ اوصى الخليفة عمر قائده أبا عبيده بن الجراح عندما وجهه الى الشام ، وكان مما قاله له :

(لا تنزل جندك منزلاً قبل أن تستريده لهم وتعلم كيف مأتاه) (٣) .

ـ كما اوصى سعد بن ابي وقاص قبل القادسية :

(وليكن منك عند دنوك من ارض العدو ان تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا امدادهم ومرافقهم ـ وتتبع الطلائع عوراتهم (٤)

---

(١) رسالة مروان بن محمد الى ابنه عبدالله ارسلها عبدالحميد الكاتب .

(٢) مخطط تحرك القوات ـ طالع وقعة القادسية .

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١/١٥١ ـ وفتوح الشام للواقدي ٨٦ .

(٤) العقد الفريد لابن عبد ربه ١/٤٠ .

– وكانت عناصر الاستطلاع تنتقـــل من نقطة مراقبة الى نقطة مراقبـــة ويصف مقاتل عمل مفرزة الاستطلاع عند تقدم المسلمين الى عذيب الهيجانات قبل القادسية :

(وصلنا عذيب الهيجانات في وجه الصبح – وخرج زهرة بن الحوية لازالة مسالح الفرس – وكانت العذيب مسلحاً من مسالحهم ازاله الحوية قبل وصول القوات) .

وكانت المفرزة تتوقف حتى تلحق بها القوة الرئيسية عند مشاهدة قوة كبرى للعدو :

(كنا في سرعان الخيل – وشاهدنا اناساً بين الابراج والشرفات فتوقفنا حتى تلاحق بنا كثف الجماعة) (١)

– ونظراً لأهمية الدور الذي تضطلع به مفارز الاستطلاع فقد كان يتم انتقاء المقاتلين امهرهم والقادة أذكاهم وأقدرهم على تقدير المواقف ومعالجتها كما كانوا يجهزون بافضل الاسلحة والخيول .

– أوصى الخليفة عمر قائده سعد :

(اختر للطلائع اهل الرأي والبأس من اصحابك ، وتخير لهم سوابق الخيل فان لقوا عدواً كان اول ما تلقاهم القوة من رأيك) (٢) .

– وقال ابو بكر الصيرفي حول اختيار عناصر الطليعة :

(واجعل من الطلاع أهل شهامة : للصدق فيهم شيمة لا تخدع) (٣)

ان الطلائع هي القوة التي تجابه العدو ، وتتلقى الصدمة المباشرة ولهذا كانت باستمرار موضع عناية القائد ، فكان يتدخل لاختيار عناصرها ويقوم بتفتيشهم شخصياً وكثيراً ما كان يسير معهم . وكان القائد يحرص على تجريد المقدمة من

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤١٤ .
(٢) العقد الفريد ١/٤٠ .
(٣) مقدمة ابن خلدون ١٣٤ .

كل ما يثقلها من عتاد ومتاع . ويظهر ذلك واضحاً من وصية مروان بن محمد الخليفة الاموي عندما وجه ابنه عبدالله للقتال فارسل له رسالة كتبها له عبد الحميد الكاتب وجاء فيها :

(واياك ان تدخل فيهم احداً بشفاعة او تحمله على هوادة أو تقدمه لأثرة ... أو أن يكون مع أحد منهم بغل نفلٌ « زيادة لا حاجة له » او فضل من ظهر أو ثقل فادح – فتشتد عليهم مؤونة انفسهم ويدخلهم كلال السآمة فيما يعالجون من اثقالهم ويشتغلون به عن عدوهم ان دهمهم منه رائع أو فجأهم منه طليعة) (١) .

– وأوصاه ايضاً :

(تقدم في طلائعك فانها أول مكيدتك ورأس حربك ودعامة أمرك ، فانتخب لها من كل قادة وصحابة رجالاً ذوي نجدة وبأس وصرامة وخبرة ، حماة كفاة ، قد صلوا بالحرب وتذاوقوا سجالها وشربوا مراراً كؤوسها ... ثم انتقهم على عينك ... واعرض كراعهم « خيولهم » بنفسك واياك أن تقبل من دوابهم الا إناث الخيول ... فانها اسرع طلباً وانجى مهرباً ، وألين معطفاً وأبعد في اللحوق غاية وأصبر في معترك الابطال اقداماً) .

– أما اذا اراد القائد عدم السير في المقدمة ووجد أن وجوده مع الاجناب او القوة الرئيسية هو الافضل فان عليه الحذر في انتقاء قائد الطلائع :

(اعلم ان الطلائع حصون المسلمين وعيونهم وهم أول مكيدتك – ... فانتخب للولاية عليهم رجلاً بعيد الصوت – مشهور الاسم ... ظاهر الفضل ... نبيه الذكر .. له في العدو وقعات معروفات وايام طوال وصولات متقدمات .. قد عرفت نكايته وحذرت شوكته وهيب صوته) (٢) .

---

(١) – و – (٢) رسالة مروان على لسان عبد الحميد الكاتب

ب – المؤخرة « الساقة » :

لا تقل الساقة في اهميتها عن الطليعة ودور الساقة والطليعة متشابه كما أن دورهما الوظيفي متماثل ، فالواجب الملقى عليهما هو حماية القوات الرئيسية . وتزداد اهمية الساقة عند التوغل في بلاد العدو أو اثناء الانسحاب من موقع الى موقع أو اثناء التراجع بعد هجوم فاشل ، ففي مثل هذه المواقف يحاول العدو مباغتة القوات وضربها من الخلف وتحطيم ذيلها الاداري الذي يتبعها عادة . ومن اجل ذلك كانت عناية العرب المسلمين بالساقة كبيراً .

– تولى ابو عبيده بن الجراح قيادة الساقة عندما بدأ الانسحاب في اتجاه اليرموك . وحدثت معركة كبيرة عند ما خرج اهل دمشق لمطاردة القوات المنسحبة ، ولولا تدخل خالد بن الوليد وضرار بن الازور مع قوة الفرسان في الوقت المناسب لأصيبت قوة المسلمين بكارثة أكيدة(١) .

عند الانسحاب من الجولان الى اليرموك ، عقد مؤتمر حضره سفيان بن حرب واقترح فيه التحرك الى اليرموك ، ووضع خالد على المؤخرة « الساقة » :

(اجعلوا خالداً بن الوليد أمير الخيل ، ومروه بالوقوف فيما بين المعسكرين فانه سيكون لرحيل العسكر وقت السحر اصوات عالية تحدث لعدوّكم فيكم طمعاً ، فان أقبلوا يريدون ذلك ، لقيتهم الخيول فكفتها ، وإن كانت للخيول جولة – دافعت عنها الرماة) (٢) .

واصى مروان بن محمد ابنه عبدالله في رسالة عبدالحميد الكاتب بما يلي :

(اجعل على ساقتك أوثق اهل عسكرك في نفسك صرامة ونفاذاً ورضاً في العامة ... ثم اكثف معه الجمع وايده بالقوة . وقوة بالظهر ، ومره بالعطف على ذوي الضعف من جندك ومن أزحفت به دابّته ، وأصابته نكبة من مرض

---

(١) فتوح الشام – الواقدي ١/٥٠ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ١/١٦٣ .

..أو رجلة أو آفة من غير ان يأذن لاحد منهم في التنحي عن عسكره او التخلف بعد ترحله الا لمجهود سقماً او لمطروق بآفة جائحة) .

ــ ان الساقة تسير في مؤخرة الجيش ، والجند خلال المسيرة المضنية واثناء المعارك المتصلة ، يصابون بالامراض والجراح التي تعيقهم عن متابعة المسير بالسرعة التي يسير فيها الرتل ومن واجب قائد الساقة اعطاء تعليماته لمساعدة مثل هؤلاء من اجل اللحاق بقواتهم ، إلا ان هناك احتمال ان يتسلل الى القوات جواسيس العــدو وعناصر استطلاعه ويغتنمون فرصة المسير للتظاهر بالمرض والتخلف عن الرتل والالتحاق بقياداتهم لاعلامها عن تحركات المسلمين واخبارهم ولهذا كانت الأوامر صارمة في عدم السماح لاحد بالتخلف عن المؤخرة ، عدم ترك احد وراء المؤخرة . فاذا كان مريضاً حقاً تم الحاقه بقطعته واذا كان دخيلاً على المعسكر لم يتمكن من مغادرته . ونظراً لهذه الاهمية ، فقد كان يتم تنظيم قوة احتياطية صغيرة تتبع المؤخرة ، واجبها الاول هو جمع المتخلفين والحاقهم بقطعاتهم وتقديم المساعدة لهم مع البقاء على اتصال مع المؤخرة حتى لا تؤخذ هذه القوة بالمباغتة فيقضى عليها .

(اجعل خلف ساقتك رجلاً من وجوه قوادك ــ جليداً ــــ ماضياً عفيفاً صارماً ــ شهم الرأي شديد الحذر شكيم القوة ... في خمسين فارساً من خيلك ، يحشر اليك جندك ــ ويلحق بك من يتخلف عنك) (١) .

٧ ــ قوة الاجناب :

قوة الاجناب ، من عناصر أمن رتل المسير ايضاً ، وواجباتها مماثلة لواجبات المقدمة والمؤخرة ، وتكون من القوات الخفيفة المستعدة لمجابهة الطوارىء .

ــ تبقى قوة الاجناب في مواقعها لحماية الرتل عند ظهور قوة خفيفة تستطيع

---

(١) وصية مروان بن محمد الخليفة الاموي الى ابنه عبدالله في رسالة عبدالحميد الكاتب .

المقدمة ازالتها وحدها . اما اذا اصطدمت المقدمة والمؤخرة بقوات كبيرة وتبين ان هذه القوات هي كتلة العدو الرئيسية وليست طلائعاً له تحولت هذه الاجناب من تنظيم الرتل الى تنظيم النسق واصبحت اجنحة للمقدمة والمؤخرة وتتدخل القوات الرئيسية للمعركة وتتابع الاجنحة عملية التطويق حتى تتمكن من الاحاطة بالعدو وتدميره .

– نتيجة لاجراءات الامن المتخذة يصبح أمر مباغتة قوات المسلمين صعباً ، ويكون لديهم وقت كاف لدخول معاركهم بروح معنوية عالية وتنظيم جيد واستعداد للقتال . ويصف مروان بن محمد هذا الموقف بالكلمات التالية :

فاذا اتخذت هذه الاجراءات كنت :

(« متشزناً في حربك » « أي مستعداً لها » آخذاً بالحزم في سوء الظن معداً للحذر ، محترساً من الغرة ، كأنك في سيرك كله ونزولك اجمع مواقف لعدوك رأي عين تنتظر حملاتهم وتتخوف كراتهم معداً أقوى مكايدك وأرهب عتادك) .

١٨ – الجندي في الجيش العربي الاسلامي :

كان للجندي العربي في الجيش مكانة سامية وذلك نظراً للواجب الثقيل الملقى عليه في حمل رسالة الامة الى كل مكان فوق سطح الكرة الارضية ، ونظراً لقلة عدد العرب المسلمين بالنسبة لمجموع القوى التي كان عليهم مجابهتها فقد كان الجندي عنصراً عزيزاً على قيادته وجيشه ، تحرص القادة على مختلف المستويات من اجل حمايته والحفاظ عليه . وها هو الخليفة عمر يوصي قادته في اكثر رسائله :

(لا ترسل طليعة ولا سرية في وجه تتخوف فيه غلبة او ضيعة أو نكاية) (١)

– بمعنى لا ترسل سرية او قوة في اتجاه يحتمل ان تقابل فيه قوة اكبر او

---

(١) العقد الفريد ١/٤٠ .

تقع في كمين او تتيه في شعاب الارض . ثم يشدد الخليفة عمر في تعلمياته بشأن توجيه القوات والحفاظ عليها فيقول لابي عبيده بن الجراح :

(لاتقدم المسلمين الى هلكة رجاء غنيمة – واياك والقاء المسلمين في الهلكة... ولا تبعث سرية الا في كثف من الناس) (١)

– وعندما علم الخليفة عمر بخروج العلاء الحضرمي على غير ارادة منه لغزو فارس . وعرف انهم سيجابهون الفناء المحتّم كتب الى عتبه بن غزوان :

(ان العلاء الحضرمي قد حمل جنداً من المسلمين فأقطعهم اهل فارس وعصاني وأظنه لم يرد الله بذلك – فخشيت عليهم الا ينصروا وان يغلبوا او ينشبوا « يؤسروا » فاندب اليهم الناس ، واضممهم اليهم قبل ان يجتاحوا) (٢) .

– واسرع عتبه بن غزوان بجيشه ، فأنقذ جند العلاء الحضرمي بعد ان كان الفرس قد احاطوا بهم ولم يبق لهم من مصير سوى الفناء المحتّم .

– وكان السبب في منع ركوب البحر ايام الخليفة عمر هو خوفه على جند المسلمين من الغرق والتهلكة .

– لكن هذا الحرص على حياة المسلمين لم يكن يتجاوز حدود الأبوة . ولم يكن الا في حدود تنفيذ الواجب . فكتب الخليفة عمر الى ابي موسى الاشعري وقد عينه لولاية البصرة :

(عُدْ مرضى المسلمين – واشهد جنائزهم – افتح بابك لهم وباشر أمرهم بنفسك) (٣) .

(لا تغفل عن اهل عسكرك فتفسده – ولا تجسس عليهم فتفضحهم – ولا تكشف الناس عن اسرارهم – واكتف منهم بعلانيتهم) (٤) .

---

(١) تاريخ الطبري ٥٤/٤ .

(٢) تاريخ الطبري ٢١٣/٤ .

(٣) العقد الفريد ٢٨/١ والبيان والتبيين ١٥٥/٢ .

(٤) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢٧٦/٢ .

ان هذه المعاملة الابوية وهذا الحرص يقف عند عدم انتهاك الحدود . فاذا انتهكت حدود الله فان اقامة الحد هو الجزاء الحتمي والعادل الذي يطبق على الجميع ، لا فرق بين جندي وقائد ، وأسوتهم في ذلك رسول الله عندما قال :

(والله لو ان فاطمة بنت رسول الله سرقت لأقمت الحد) «قطعت يدها » .

وبما ان الجندي هو الذي يحمل رسالة الامة ، **وهو الذي** يمثلها في وجه العدو فقد كتب الخليفة عمر الى سعد بن ابي وقاص :

(ان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم) (١)

وكتب في رسالة أخرى :

(أخف الفساق واجعلهم يداً يداً ورجلاً رجلاً) (٢) .

بمعنى كبل ايديهم وارجلهم بالاغلال والقيود عقوبة لهم .

– والانضباط في الجيش العربي الاسلامي قاس ، لا هوادة فيه فالخليفة يتمتع بسلطة دينية دنيوية تفرض طاعته فرضاً . « أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم » . وهذا الانضباط الطوعي المتلاحم مع العقيدة التي يقاتل الجيش من اجلها عامة شاملة لا تستثني احداً صغيراً أو كبيراً رئيساً او مرؤوساً .

– يشعر الخليفة عمر أن بقاء خالد بن الوليد في قيادة الجند اصبح غير مرغوب فيه ، فيرسل أمراً بعزله ، فيتقبل ابن الوليد الأمر بالطاعة والرضى وهو الذي دانت له الامصار وخضعت له الجيوش فيقاتل تحت راية ابي عبيده جندياً مخلصاً لرسالة أمته .

– ويعلم الخليفة عمر أن خالد بن الوليد أهدى الاشعث بن قيس عشرة

---

(١) العقد الفريد ٤٠/١ .

(٢) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢٧٦/٢ .

آلاف درهم فيرسل من يحقق معه على مشهد من المسلمين ويعقله بعمامته .

– ويعلم الخليفة عمر أن حذيفة اليمان قد تزوج بامرأة اجنبية من اهـــل فارس بعد فتح المدائن فارسل له :

(بلغني انك تزوجت امرأة من اهل المدائن من اهل الكتاب فطلقها) .

فكتب الى الخليفة :

– ألا افعل حتى تخبرني أحلال ام حرام ، وما اردت من ذلك ، فاجابه الخليفة :

(لا بل حلال ولكن في نساء الاعاجم خلابة ، بمعنى الخدعة والغدر ، فان اقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم) (١) .

– ويتشدد الخليفة الأموي مروان بن محمد بشأن الانضباط فيوصي ابنه :

(فوض الى امراء اجنادك وقواد خيلك أمور اصحابهم والأخذ على قافية ايديهم رياضة منك لهم على السمع والطاعة لامرائهم والاتباع لامرهـــم والوقوف عند نهيهم – واعلم ان في استخفافهم بقوادهم وتضييعهم أمر رؤسائهم دخولاً للضياع على اعمالك واستخفافاً بأمرك الذي يأتمرون به (٢)

١٩ – قصة المعركة :

– اصبح بالامكان بعدما سبق ذكره تصوير قصة المعركة :

– يحاول الخليفة تجنب الحرب وتحقيق الهدف بالوسائل السلمية فيرسل الوفود ويبعث الكتب من أجل نشر رسالة الاسلام . متبعاً في ذلك قوله تعال :

(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)

وعندما تصبح الحرب امراً حتمياً ، يستنفر القوات ويوجهها الى مناطق الحشد .

---

(١) تاريخ الطبري ١٤٧/٤ .

(٢) رسالة مروان بن محمد لابنه عبدالله .

- تتخذ في مناطق الحشد اعمال التنظيم مع اتخاذ اجراءات الامن .

- تنطلق الجيوش على محاور مختلفة محققة الاتصال فيما بينها بواسطة المراسلين

- يبقى سيل المعلومات مستمراً في الوصول الى القائد ، من اعلى عن طريق الخليفة او من الجوار بواسطة قادة الجيوش وحكام الاقاليم وعن طريق الجواسيس وعناصر الاستطلاع والانصار . وفي الوقت ذاته يحاول القائد الحصول على المعلومات بواسطة الاستطلاع الشخصي .

- نتيجة لتوفر المعلومات يقدر القائد موقفه ويحدد أفضل المواقع لمجابهة العدو وافضل تنظيم يقاتله به وهو في الوقت ذاته لا يتخلى عن سلاح الحرب النفسية ومحاولة تحقيق الهدف بالوسائل السلمية :

(اعلم أن أحسن مكيدتك ... ما نلت الظفر فيه بحزم الروية لا بالقتل واخطار التلف ..) (١) .

- فاذا كان العدو متفوقاً يحاول القائد عزل ميدان المعركة ، وتحطيم ارادة القتال عند الخصم بقطع الامداد عنه وحرمانه من الشؤون الادارية والتموين . ويكتب الى الخليفة الذي يرسل له الدعم ، ويعمل على فتح جبهة ثانية يشاغل العدو بها كما فعل الخليفة عمر عندما ارسل قوات من العراق الى الجزيرة لفتح جبهة في بـلاد الروم واشغالهم بانفسهم عن حرب ابي عبيده في حمص وحرمانهم من دعم السكان الموالين لهم .

- ويتابع القائد استطلاعه للارض وجمع المعلومات عن العدو متمثلا بقول الرسول الاعظم واقوال العرب القدماء :

(الحرب خدعة ...) (ورب حيلة انفع من قبيلة) .

- والقائد خلال ذلك يتابع مراقبة جنده محافظة منه على روحهم المعنوية وارادتهم القتالية ، ويعين القادة الاكفاء لقيادتهم :

---

(١) من وصية مروان بن محمد لابنه عبدالله في رسالة عبد الحميد الكاتب .

– اوصى الخليفة عمر قائده سعد بن ابي وقاص :

(اجعل امر السرايا الى اهل الجهاد والصبر على الجلاد – ولا تخص بها احداً بهوى فتضيع رأيك وأمرك اكثر مما حابيت به اهل خاصتك) .

– واوصى الخليفة الاموي مروان بن محمد ابنه عبدالله في رسالة عبد الحميد الكاتب :

(ول شرطتك وأهل عسكرك اوثق قوادك عندك واظهرهم نصيحة وانفذهم بصيرة في طاعتك واقواهم شكيمة في امرك وامضاهم صريمة واصوفهم عفافاً . واجزأهم غناء وأصحهم ضميراً وأرضاهم في العامة ديناً وأحمدهم عند الجماعة خلقاً واعطفهم على كافتهم رأفة واحسنهم لهم نظراً وأشدهم في دين الله وحقه صلابة ... وليكن عالماً بمراكز الجنود ، بصيراً بتقدم المنازل ، مجرباً ذا رأي وتجربة وحزم في المكيدة ، له نباهة في الذكر وصيت في الولاية ، معروف البيت مشهور الحسب ، وتقدم اليه في ضبط معسكره واذكاء أحراسه في أثناء ليله ونهاره ثم حذره ان يكون منه اذن لجنده في الانتشار والاضطراب والتقدم لطلائعك فتصاب لهم غرة يجترىء بها عدوك عليك ويسرع اقداماً اليك ويكسر من أياد جندك ويوهن من قوتهم ، فان اصابة عدوك الرجل الواحد من جندك وعبيدك مطمع لهم فيك مقوهم على شحذ اتباعهم وتصغيرهم امرك . (١)

(ولا يكونن فيه افراط في التضييق عليهم والحصر لهم فيمنعهم أزله ويشملهم ضنكه ويسوء عليه حالهم وتشتد به المؤونة عليهم وتخبث له ظنونهم ...) .

– وتنتهي عمليات الاستطلاع ويتحدد ميزان المعركة وينزل جيش المسلمين

---

(١) العقد الفريد ١/٤٠ .

ضمن اجراءات أمن مشددة ويحتل مواقعه الهجومية ولا يسمح للعدو ان يجتذبه الى ميدان يختاره هو ، بل يفرض عليه ميدان القتال فرضاً مع الاخذ بعاملين :

١ ـ امكان تحطيم توازن القوى وجعله لصالح المسلمين .

٢ ـ الا يكون ميدان القتال معزولاً عن القواعد الخلفية وقواعد الامداد :

(اقم مكانك حتى ينغض الله لك عدوك واعلم ان لها ما بعدها فان منحك الله ادبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم عاصمتهم ومستقر عزهم (المدائن) .. (١)

(فاذا لقيتم العدو او احداً منهم .. فابدؤوهم بالشد والضرب واياكم والمناظرة لجموعهم) (٢) .

ـ ويحاول العدو خداع المسلمين مستخدماً كافة الوسائل ويحبط قادة المسلمين محاولات الخداع بفضل اساليب الحذر التي يطبقونها بشدة وبفضل سيل المعلومات الذي يبقى مستمراً .

(إنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبرية ، تقدم على قوم قد جرؤوا على الشر فعلموه وتناسوا الخير فجهلوه) (٣) .

(إعلم فيما لديك أنك تقدم على أمة عددهم كثير وعدتهم فاضلة وبأسهم شديد) (٤) .

ـ وعندما يفشل العدو ، في تحطيم إرادة قتال المسلمين يتقدم اليهم ، فتستقبله سهام ـ مهرة الرماة ـ لتحطيم حدة هجوم العدو .

---

(١) انغض رأسه : حركه اسفاً وذلة . نزع : كف وتوقف ، الطبري ٤/٩٠ .

(٢) المناظرة : الامهال والتريث ومنه قول عمرو بن كلثوم :

ابا هند فلا تعجل علينا   وانظر نخبرك اليقينا .

تاريخ الطبري ٣/٤٩٠ .

(٣) من وصية الخليفة عمر الى قائده ابا عبيد الثقفي عندما وجهه الى العراق ، تاريخ الطبري ٣/٤٥٤ .

(٤) تاريخ الطبري ٣ / ٤٩١ .

ـ ثم تستقبله رماح الجند وقد اجادوا استخدام الارض واستندوا اليها . وتبدأ المعركة ويصمد المسلمون لخصومهم ، ويتابع القادة استطلاع نقاط الضعف حتى يصروا بها ، ويهاجموا العدو من مقتله . ويبدأ الموقف بالتحول لصالح المسلمين ، فتندفع مجموعات من الفرسان لقطع طريق الانسحاب على العدو وتدميره بحيث لا يستطيع النجاة الا القليل .

ويندفع الجيش لمتابعة تحقيق الهدف الذي حدد له ، سواء كان هذا الهدف احتلال مدينة او الوصول الى خط معين .

ـ واذا اعتصم العدو بقلعة ، يعمل القائد على عزله وحرمانه من موارده الحياتية ، حتى تحين اللحظة التي يراها القائد مناسبة للانقضاض على العدو وتدميره داخل تحصيناته .

ـ واذا حاول انصار العدو دعمه . وجه القائد قوة لتدمير هؤلاء الانصار وحرمان العدو من دعمهم له .

ـ ثم يعيد القائد تنظيم قواته استعداداً لمتابعة المرحلة التالية . ويقسم الغنائم فيرسل أربعة اخماسها الى المقاتلين ويوجه الخمس الى بيت الله .

ـ ويطوف القائد لتفقد قواته ومعرفة روحهم المعنوية فيراهم كما يحب :

(كانوا يدوون بالقرآن اذا جن الليل دوي النحل وهم آساد الناس لايشبههم الأسود ولم يفضل من مضى منهم من بقي إلا بفضل الشهادة اذا لم يكتب لهم) (١) .

ـ لكن هناك بعض من ارتكب اخطاء . ولا بد من حدوث اخطاء صغيرة او كبيرة والا كان ذلك مخالفاً لمسيرة الحياة الطبيعية فيعمل القادة على فرض العقوبات وفق الحدود وضمن الصلاحيات المحددة لهم :

---

(١) من رسالة سعد بن ابي وقاص الى الخليفة عمر بعد معركة القادسية ، الطبري ٤/١٤٤ .

(اوعز الى القواد ان لا يقدم احد منهم على عقوبة احد من اصحابه ــ الا عقوبة تأديب وتقويم ميل وتثقيف أود ... أما عقوبة تبلغ تلف المهج او اقامة حد في قطع او افراط في ضرب او أخذ مال فلا يلين ذلك من جندك غيرك أو صاحب شرطتك وبأمرك وعن رأيك وأذنك ...)

ــ من وصية مروان بن محمد الخليفة الاموي الى ابنه عبد الله في رسالة عبد الحميد الكاتب .

ــ وينتقل القائد من نصر إلى نصر ، في الوقت الذي يكون فيه أقرانه على المحاور الاخرى يحققون انتصارات مماثلة ويعمل الخليفة على تنسيق التعاون فيما بينها ، وتحويل مركز ثقل العمليات من جبهة الى جبهة اخرى ، ومن محور الى محور في الجبهة ذاتها حتى يحقق المسلمون نصرهم .

ــ وينصرف القادة لمتابعة البناء الإجتماعي وتغيير البنية الطبقية في سلم وهدوء بعيداً عن الاحقاد المدمرة ، عملاً بوصية عمر الخليفة بن الخطاب في وصيته الى أبي موسى الاشعري :

(انه لم يزل للناس وجوه ، يرفعون حوائجهم فاكرم من قبلك من وجوه الناس ، وحسب المسلم الضعيف من العدل انه ينصف في الحكم وفي القسم) (١) .

٢٠ ــ اقامة علاقات اجتماعية جديدة :

ــ لقد اندلعت نيران الحرب بين المسلمين وخصومهم بسبب فشل الوسائل السلمية ، وبقي تحقيق السلم هو الهدف الاساسي الذي تستهدفه الحرب في كل مرحلة من مراحلها ، سلم دائم يقوم بنيانه على أسس ثابتة وقواعد واضحة .

ان اول هذه الاسس هي تحقيق العدالة بين القوة الحاكمة والقوة المحكومة ،

---

(١) تاريخ الطبري ٥/١٨ .

بين قوة الفتح وقوة الشعوب التي فتحت بلادها . وقد رسم الخليفة أبـــو بكر الصديق المعالم الأولى لهذه العلاقة عندما اوصى :

(اوصيكم بعشر فاحفظوها عني – لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخـــاً كبيراً ولا تتلفوا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً الا لأكله . وسوف تمرون باقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له) [1] .

– ويسير الخليفة عمر على النهج ذاته فيوصي قائده سعد بن ابي وقاص :

(نخ منازلهم « منازل الجند » عن قرى أهل الصلح والذمة ، فلا يدخلها من أصحابك الا من تثق بدينه ولا يرزأ احد من اهلها شيئاً ... فان لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها فما صبروا لكم فتولوهم صبراً ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم اهل الصلح ..) [2]

– البلواء واحدة المسلمون ابتلوا بالوفاء لعهدهم واهل البلاد ابتلوا بالصبر على ما اتفق عليه .

– ولا تستنصروا على اهل الحرب .. بظلم اهل الصلح ..

ويحدد الخليفة عمر واجب ولاة المسلمين في الاقاليم التي فتحها المسلمـون عندما كتب الى اهل البصرة بتعيين ابو موسى الاشعري :

(... لقد بعثت ابا موسى اميراً عليكم – ليأخذ لضعيفكم من قويكـــم وليقاتل بكم عدوكم وليدفع عن ذمتكم وليحصي لكم فيأكم ثم ليقسمه بينكم ولينقي لكم طرقكم) [3]

---

(١) تهذيب ابن عساكر ١/١١٧ .

(٢) العقد الفريد ١/٤٠ .

(٣) تأريخ الطبري ٤/٢٠٧ .

ثم يكتب الخليفة عمر الى معاوية بن ابي سفيان عندما كان قاضياً في الشام اثناء ولاية اخيه يزيد :

(اذا تقدم اليك الخصمان – فعليك بالبينة العادلة او اليمين القاطعة :

١ – أدن الضعيف حتى يشتد قلبه وينبسط لسانه .

٢ – تعهد الغريب فانك ان لم تتعهده ترك حقه ورجع الى اهله وانما ضيع حقه من لم يرْفق به .

٣ – آس بين الناس في لحظك وطرفك .

٤ – وعليك بالصلح بين الناس ما لم يستبن لك فضل العطاء » (١)

– ثم تتوضح الرؤيا وتظهر معالم المجتمع وما به من علاقات متشابكة فيرسل الخليفة عمر رسالة الى ابي موسى الاشعري يتضمنها توصياته من اجل تحقيق العدالة في المجتمع الجديد (٢) وقد اصبحت هذه الرسالة مرجعاً ودستوراً لعدالة القضاء .

– عندما اجتاحت الجيوش الاسلامية بلاد الشام والعراق ، هرب كثير من اصحاب الاراضي وزراعها . واستولى المسلمون عليها . وقامت هناك مشكلة من يمتلك الارض . ومن يزرعها . وأراد المسلمون استملاك الاراضي المفتوحة بالحرب ، واستشير الخليفة عمر في ذلك فكانت اجابته :

(... أجعل الجزية عليهم قدر طاقتهم فقسمها بين المسلمين « أي الجزية » ويكونون عمار الارض ، فهم اعلم بها واقوى عليها ولا سبيل لك عليهم (٣)

وفي رسالة اخرى :

(أقر اهلها على ان يؤدوا الجزية الى المسلمين ويكونوا عمار الارض) (٤).

---

(١) البيان والتبيين ٧٥/٢ – العقد الفريد ٢٧/١ – الخراج لابي يوسف ص ١٤٠ .

(٢) يمكن مطالعة نص هذه الرسالة في الكامل للمبرد ٩/١ والبيان والتبيين ٢٤/٢ والعقد الفريد ٢٧/١ وكتاب الخراج لابي موسى ص ١٤٠ .

(٣) كتاب الخراج لابي يوسف ١١٧ .

(٤) فتوح الشام – الواقدي ص ١٢٤ .

- لقد تميزت نصوص المعاهدات التي عقدت بين قادة جند المسلمين وبين اصحاب البلاد المفتوحة بوضوحها وتحديد العلاقة بين الطرفين على اسس ثابتة ، واستهداف الحق والعدالة في بنيان المجتمع الجديد وكان ذلك سبباً رئيسياً في استقرار الامر بيد المسلمين .

- اما علاقة المسلمين فيما بينهم فقد عالجها الحكم الاسلامي بازالة الفوارق بين المسلمين : « لا فضل لعربي على اعجمي ولا ابيض على اسود الا بالتقوى ». وقد حاول بعض الناس اثارة العصبية الجاهلية فكتب الخليفة عمر الى ابي موسى الاشعري :

(بلغ امير المؤمنين أن ضبة تدعو لضبة - وأني والله ما أعلم ان ضبة ساق الله بها خيراً قط ولا منع بها من سوء قط فاذا جاءك كتابي فانتهكهم عقوبة حتى يتفرقوا ان لم يفقهوا ..) .

وكتب ايضاً :

(اذا كانت بين القبائل نائرة (١) - وتداعوا يا لفلان ، فانما تلك نجوى الشيطان - فاضربهم بالسيف حتى يفيؤوا الى أمر الله وتكون دعوتهم الى الى الله والاسلام) (٢) .

- وهكذا كانت دعامة المجتمع الجديد تستند الى قواعد ثلاث : وحدة بين العرب المسلمين ، ومساواة بين المسلمين من العرب وغير العرب ، وعدالة بين الحكم الاسلامي ومن شملهم حكم الاسلام .

---

(١) نائره : عداوة وبغضاء .

(٢) البيان والتبيين ٢/١٥٥ والعقد الفريد ١/٢٨ .



القسم الأول

الفصل الثاني
عمليات الجبهة الشمالية

(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) ..

صدق الله العظيم

سورة القصص – « الآية ٥ »

١ – الشام قبل الاسلام .
٢ – الموقف عشية فتح المسلمين للشام
٣ – الاغارات الاستطلاعية .
٤ – المرحلة الأولى من الهجوم .
٥ – بواكير النصر .
٦ – الخليفة يوجه ابن الوليد الى الشام .
٧ – معركة بيت لهيا .

٨ ـ معركة مرج الصفر .
٩ ـ موقعة اجنادين (٢٨ جماد اول سنة ١٣ هـ)
١٠ ـ معركة اليرموك (١٢ رجب سنة ١٣ هـ)
١١ ـ فتح دمشق (ـ رجب سنة ١٤ هـ)
١٢ ـ يوم فحل .
١٣ ـ يوم مرج الروم .
١٤ ـ الدروس المستفادة .

١ ــ الشام ــ قبل الاسلام

المقصود هنا ببلاد الشام ــ سوريا في حدودها الراهنة ــ اما العراق فكانت تعرف باسم ديار بكر او بلاد الرافدين او ما بين النهرين .

ــ كانت بلاد الشام مهد حضارات متعاقبة ، والحضارة هي رقي وتطور لما فيه خير الانسان والمجتمع . وبما ان تاريخ الحضارة هو لبنات شيدت بعضها فوق بعض فانه يستحيل ادراك الابعاد الحضارية في سموها واتساعها ومعرفة دور كل امة من الامم في بنائها دون الرجوع الى تاريخها السحيق ودراسة جذورها العميقة .

ــ كانت حضارات العالم القديم حضارات عسكرية ، الا ان الفتوحات العسكرية بدورها فتحت المجال رحباً أمام الفكر المبدع للانطلاق ومهدت السبل التي توفر للانسان المستقبل الافضل ، والتطور الأمثل نحو بناء مجتمعات يسودها التنظيم ويخطط لها العقل .

ــ وكانت الشام ملتقى الحضارات القديمة ، فوق ارضها انتشرت الثقافة اليونانية . وفي قواعدها ومدنها تمركزت الحضارة الرومانية ، وفي فكرها ووجدانها عاشت الحضارة الفرعونية .

ــ وكانت الشام ، في حدودها الطبيعية مهد الديانات السماوية التي نظمت للانسان امور دنياه وحفزته الى تقديم ذاته لبناء صرح الانسانية .

ــ كان العنصر العربي ، عنصراً اساسياً ، في تاريخ الحضارة القديم ، تمثل في اعماق نفسه حضارة الامم التي سبقته في مضمار التقدم ، وقام بدور الزيادة في حمل التراث الفكري ، وتطويره ونقله الى الامم .

ــ لقد كانت الجزيرة العربية في تاريخها الطويل ، قلباً نابضاً يقذف الدم النقي موجة بعد موجة فيغذي بها اطراف الجزيرة . وهكذا نزحت اقوام وقبائل حاولت تشييد ممالك مستقلة بعد نزوحها من الجزيرة الى الشام وبلاد الرافدين فكانت تصطدم بقوى اكبر منها فتصارعها وتصطرع معها فتكبر وتشيخ وعندئذ يقذف القلب موجة جديدة تحمل دم الشباب فتحاول من جديد ، ومن خلال هذا الصراع ، كانت التفاعلات الفكرية والاجتماعية تتعاظم ، فتزدهر حضارة اكثر تطوراً مما سبقها .

ــ ان الجدول التالي يظهر الهجرات السامية التي نزحت من الجزيرة قبل الاسلام . كما ان الجدول رقم ٢ ، يظهر الشعوب الشرقية والغربية التي نزحت الى الوطن العربي واقامت حكماً لها فيه قبل الاسلام .

جدول رقم ١

القبائل العربية التي نزحت من الجزيرة العربية

دول داخلية اقامها العرب

	اسم الدولة	مدتها	مكانها وعاصمتها	موجز عنها
١	الاكاديون	٣٥٠٠-٢٢٥ ق.م	عاصمتها « آكاد » سهل شنعار ثم توسعت وشملت سوريا والعراق في حدودها	– انهارت على ايدي قبائل بربرية هبطت من الشمال . – اشهر ملوكهم صارغون الأول (٢٤٥٠ ق . م) .
٢	الدولة البابلية الأولى « العموريون »	٣٥٠٠-١٥٣١ ق.م	اطراف سهل شنعار عاصمتهم بابل	– اشهر ملوكهم حمورابي (١٧٢٨ – ١٦٨٦ ق . م) وحد سوريا والعراق . واشتهرت الدولة بقوانينها ونهضتها العمرانية . – دمرت بيد الكاشيين الذي هبط من ايران .
٣	الأشوريون	حوالي نهاية القرن الرابع ق . م – ٦١٢ ق . م	شيدوا مدينة آشور وكانت عاصمتهم نينوى في الشمال الشرقي للعراق	– اشهر ملوكهم « تغلات فلاصر الأول – ثم الثالث » . سيطروا على الأرامين والفينيقيين والعبرانيين ومصر . – دمرها تحالف الكلدانيين والميديين .
٤	الدولة البابلية الثانية « الكلدانيون »	٦١٢-٥٣٩ ق.م	عاصمتها بابل وراء الفرات بين النهرين	– اشهر ملوكهم بختنصر « نبوخذ نصر » الذي دمر دولة يهوذا وسبى اليهود . – دمرت الدولة على يد « قورش » مؤسس الدولة الساسانية الفارسية .
٥	المنــاذرة « اللخميون »	حوالي منتصف القرن الثاني –٦٣٢ للميلاد	الحيرة – قريباً من نهر الفرات	– ملكها ٢٥ ملكاً اكثرهم يحمل اسم المنذر . اشهر ملوكها المنذر الثالث اللحمي . والنعمان بن المنذر . – فتحها العرب المسلمون .

الدول العربية – في الشام

٦	« العموريون »	٢٥٠٠–١٧٠٠ ق.م تقريباً	ماري – عند التقاء الخابور بالفرات	– توسعت هذه المملكة حتى الخليج العربي على امتداد الفرات . – دمرها حمورابي « البابليون » .
٧	« الكنعانيون »	٢٥٠٠–١١٠٠ ق.م	يبوس «القدس» بيت شان« بيسان » عكو « عكا » جبرون «الخليل»	– كانت كل مدينة وما يحيط بها دولة مستقلة . فكانت هناك ايضاً ممالك مؤاب وعمون في شرق الاردن . – دمرها واحرقها العبرانيون .
٨	« الفينيقيون » وهم قدم من الكنعانيين	٢٥٠٠–٣٣٢ ق.م	اوغاريت «رأس شمرة» جبيل ، صيدا ، صور ، قرطاجة	– ازدهرت الدولة حضارياً وكان لها اسطولها . واصبحت قوة تهدد روما . – دمرها الاسكندر المقدوني ٣٣٢ م.
٩	الآراميون	١٥٠٠–٧٣٢ ق.م	مملكة حماه مملكة دمشق مملكة ارام حتى الخابور مملكة ارباض	– كانت مجموعة ممالك ، الا انها كانت تتحد عند الخطر – دمرها الأشوريون .
١٠	الأنباط	٥٠٠ ق.م – ١٠٦ م.	البتراء : في منتصف المسافة بين ايلات والبحر الميت	– استوطنت في منطقة الاردن . اشهر ملوكها الحارث الثالث الذي دمر الجيش اليهودي قرب الله . ضمت دمشق وحوران حتى البحر الاحمر . – دمرها الرومان .
١١	التدمريون	الألف الثاني قبل – ٢٧٠ م الميلاد	تدمر ، في قلب الصحراء من بادية الشام	– اشهر ملوكها « اذينة الثاني » ثم الملكة « زنوبيا » . – دمرها الرومان واخذوا ملكتها اسيرة الى روما .
١٢	الغساسنة «آل جفنة»	منتصف القرن الثاني – ٦٣٢ م. للميلاد .	بصرى ودمشق	– اشهر ملوكها الحارث بن جبله . امتدت سلطته من الرصافة حتى خليج العقبة . وآخر زعمائهم جبله بن الايهم . – فتحها العرب المسلمون .

جدول رقم ٢

شعوب شرقية نزحت الى الوطن العربي

١	السومريون و الأكاديون	قبائل آسيوية ، غير سامية وغير آرية ، نزحت في الألف الرابع ق .م. استوطنت سهل شنمار ما بين بغداد حالياً والبصرة ، وبين دجله والفرات وعلى اطرافهما . اشتهروا بزراعة واستصلاح الاراضي ، وشيدوا مدناً منها – اور – رورك – ولاكاش – وقيبور . ثم نافسهم الأكاديون واستولوا على مدنهم ، وانصهروا في بوتقة سكان البلاد من الساميين .
٢	الحوريون و الميثانيون	قبائل آسيوية ، غير سامية وغير آرية ، نزحت في الألف الثالث ق .م. اسس الحوريون مملكة امتدت بين جبال زاغروس ونهر الخابور . عاصمتهم حوري « أورفه حالياً » . اسس المتانيون مملكتهم بين الخابور والفرات – ضعفت دولتهم بسبب وقوعها بين ثلاث دول قوية : الآشوريون شرقاً ، والحثيون شمالا ، والمصريون جنوباً . سيطر عليهم الآشوريون وذابوا في محيط الآراميين .
٣	الحثيون	قبائل آرية ، يرجح نزوحهم في الألف الثاني ق .م. سيطروا على غرب تركيا ، ومنطقة لواء اسكندرون ثم اخذوا يوسعون سيطرتهم فاصطدموا مع المصريين في موقعة قادش عام ١٢٩٤ ق .م. انتهت بعقد صلح بين رعمسيس الثاني زملك الحثيين « ختوسيل » عام ١٢٨٠ ق .م. وحددت « قادش » على خط عرض مدينة حمص تقريباً فاصلا لا يتجاوزه الحثيون . استولى الآشوريون على مدنهم وانصهر الحثيون بالسكان .
٤	الفرس	استولى قورش ، مؤسس الدولة الفارسية الأولى – الاخمينية ، على بابل عام ٥٣٩ ق .م. ووصلت قواته ساحل البحر الابيض المتوسط . وقام ابنه قمبيز باحتلال مصر عام ٥٢٥ ق .م. وانتهت هذه الاسرة باستيلاء الاسكندر على سوريا ومصر وايران حتى حدود الصين عام ٣٢٣ ق .م. ثم قامت الاسرة الفارسية الثانية « الفرثيون » حتى ٢٢٢٦ م . وجاءت الدولة الفارسية الثالثة الساسانية التي جعلت من دجله والفرات حدوداً لها مع الروم .

شعوب غربية اقامت حكماً لها في الوطن العربي

٥	اليونان ٣٢٣ ق .م ٦٤ ق .م	هاجم الاسكندر المقدوني ، آسيا الصغرى وانتزعها من يد الفرس بعد معركة ايسوس قرب اسكندرون ، وتابع تقدمه حتى انهى احتلال سوريا ولبنان ومصر ، ثم زحف شرقاً فاستولى على ايران ووصل افغانستان وتركستان الحالية ، ثم عاد الى بابل وتوفي بها . وقامت الدولة السلوقية التي كانت عاصمتها انطاكية ، والتي حكمها سلوقس ، وبقيت الدولة السلوقية حتى جاء الرومان .
٦	الرومان ٦٤ ق .م ٦٣٢ م	احتل بومبيوس سوريا سنة ٦٤ ق . م. واما مصر فقد احتلها اوكتانيوس عام ٣١ ق .م. وعندما جاء الامبراطور قسطنطين ٣٠٦ – ٣٣٧ م قسم المملكة الى قسمين شرقي عاصمته البوسفور « القسطنطينية » وترك حكمها لابنه الأكبر اركاديوس في عام ٣٩٥ م. وعرف هذا القسم باسم الامبراطورية الرومانية الشرقية ، البيزنطية ، واطلق عليها العرب اسم « الروم » .

• لم يذكر في هذا الجدول العبرانيين الذين اخذوا هذا الاسم بعد نزوحهم من مصر – وبقائهم في سيناء فترة اربعين عاماً ثم عبورهم الاردن . ولم يعرف التاريخ لهم دور حضاري سوى ما قاموا به من تدمير وتخريب لمدن الكنعانيين – ولم يعرف لهم دولة باستثناء فترة حكم الملك داوود ١٠٠٤ – ٩٦٣ ق .م وسليمان ٩٦٣ –٩٢٣ – ثم سقطت الدولة بعد ذلك في يد البابليين الذين قاموا بسبي اليهود الى بابل .

– ان مطالعة الجداول السابقة تظهر ان قلب الجزيرة العربية كان يدفع موجة جديدة كل الف عام تقريباً .

– ان هذه الموجات البدوية تمكث فترة حتى تكتسب الحضارة ممن سبقها ثم لا تلبث ان تبدأ في اقامة دولة جديدة لها ميزات الدولة التي سبقتها الا انها اكثر طموحاً منها .

– اذا درست اسباب انهيار هذه الدول السامية ، يظهر بوضوح ان الانقسام الداخلي والتمزق والفردية هي العوامل الاساسية في انهيارها .

– لقد كانت الدول السامية تحاول باستمرار ان تحكم نفسها بتأثير نزعاتها الاستقلالية ، وعندما كانت تجد ذاتها مرغمة على الخضوع ، فان هذا الخضوع يأخذ الطابع المرحلي ، ثم لا تلبث هذه الدول ان تغتنم اول فرصة لاثبات وجودها وانتزاع استقلالها .

– افادت الدول السامية من احتكاكها بالحضارات المتطورة ، فظهر لون جديد من الحضارة يحمل صفات اهل البلاد الاصلية .

– نقل اليونان معهم حضارتهم الهيلينية ، وامتزج اليونان بالسكان فتحولت الاسكندرية وانطاكية الى مراكز اشعاعية للعلوم والآداب والفنون وعرفت هذه الحضارة باسم الحضارة الهيلينبسية ، وقد رافق ذلك نهضة عمرانية ضخمة لا زالت آثارها شواهد على اسهام العنصر العربي السامي بسموه وتفوقه . كما ان الفلسفة اليونانية ، تركت رواسب عميقة في الفكر العربي ، مما جعل هذا هذا الفكر قادراً على التطوير والابداع عندما تتاح له الفرصة المناسبة وجاءت هذه الفرصة بظهور الاسلام .

– ان قدرة العرب الساميين على صهر الهجرات النازحة اليها في بوتقتها ، وارغام الكتل الاقوى منها على احترام ارادتها ما هو الا دليل على اصالتها وقدرتها على الصمود في وجه التيارات القوية :

– عندما جاء الاسلام كانت القوى المسيطرة على بلاد الشام ممثلة باتجاهين :

– اتجاه غربي ويمثله الروم – البيزنطيون .

– اتجاه شرقي يمثله الفرس – الساسانيون .

– دولة عربية الى جانب الروم – الغساسنة .

– دولة عربية الى جانب الفرس – المناذرة .

– كانت القوى الكبرى كالروم والفرس في حالة حرب مستمرة . وكان كل طرف يستهدف القضاء على الطرف الآخر . وحاولت هذه الكتل الكبرى الافادة من العرب ، وهم المقاتلون الاشداء ، للدفاع عن مصالحها ، فكون ذلك شرخاً عميقاً في صفوف العرب ، ونظراً للعلاقة الطويلة بين هذه الاطراف . فانه من الضروري شرح الموقف بين الروم والغساسنة ، وايضاح نوع العلاقة التي كانت قائمة بينهما .

الرومان – وفتوحاتهم :

– انطلقت قبائل بدوية من مواطنها في آسيا الوسطى وتجاوزت جبال الالب ، وانتشرت في جميع انحاء ايطاليا ، ثم استقرت منها قبيلة في اواسط ايطاليا ، وعرفت باسم الرومان نسبة الى المدينة التي شيدوها – روما – او اللاتين بالنسبة لمنطقة « لاتيوم » التي استقروا فيها . وقد صنف علماء الاجناس الرومان في مجموعة العرق « الهندي – الاوربي » او « الآري » .

– بدأت هذه القبائل في الاخذ باسباب الحضارة ، فاخذت تمارس الزراعة الى جانب تربية المواشي ، وشيدت الاكواخ المستديرة مقراً لسكناها ، ثم وجدت ان هذه الاكواخ لا توفر لها الحماية اللازمة ، فبدأت تشيد القلاع والحصون تحتمي بها عند الخطر ، ونظراً لوقوع روما بين سبعة تلال فقد افاد منها هؤلاء البدو وشيدوا الحصون التي هي نواة روما وكان ذلك في عام ٧٥٣ ق. م . وكان موقع السهل الجميل – سهل التيبر حيث شيدت روما فوقه – هو التربة التي ترعرعت فيها الحضارة الرومانية .

– تأثر الرومان منذ بداية حياتهم بالفينيقيين ، الا ان التأثير الأكبر جاء من اليونان الذين كانوا يحتلون الاقسام الجنوبية من ايطاليا ، والأتروساك الذين كانوا يقطنون شمال ايطاليا .

– اعتبر الرومان بناء روما ، بداية لتاريخهم . ويقسم هذا التاريخ الى ثلاثة اقسام :

– العهد الملكي : من ٧٥٣ – ٥٠٩ ق. م. ولم تكن حدود المملكة تتجاوز روما .

– العهد الجمهوري : من ٥٠٩ – ٣٢ ق. م . تم خلاله توحيد جزيرة ايطاليا .

– العهد الامبراطوري : من ٣٢ ق. م. – ٤٧٦ م. وخلاله تمت الفتوحات التالية :

١ – احتلال قرطاجة « بعد الحروب البونية التي استمرت اكثر من قرن (٢٦٤ – ١٤٦ ق. م) » نجح الرومان في قهر القائد الشهير « هانيبال ، او هانيبعل » ، والاستيلاء على اليونان وممتلكاتها .

٢ – احتلال مقدونيا واليونان – ١٤٨ ق. م – ووصلت القوات الرومانية حتى جبال طوروس .

٣ – احتلال سوريا – ٦٤ ق. م – على يد القائد « بومبيوس » الذي ازال الدولة السلوقية .

٤ – احتلال فرنسا وجنوب بريطانيا بقيادة « يوليوس قيصر » ٥٥ ق.م .

٥ – احتلال مصر سنة ٣١ ق.م. وبذلك اصبح البحر الابيض المتوسط بحيرة رومانية وخضعت شواطىء البحر بكاملها للرومان .

– في عام ٣٣٠ م نقل الامبراطور قسطنطين (٣٠٦ – ٣٣٧ م) عاصمته الى القسطنطينية بعد ان شيدها على البوسفور ، وذلك حتى يكون في مركز متوسط من الامبراطورية ، وبحيث يستطيع مجابهة خطر الفرس .

- في عام ٣٩٥ م قسم الامبراطور تيودوسيوس الامبراطورية الرومانية الشاسعة الى قسمين :

١ - القسم الشرقي وعاصمته القسطنطينية ، وعين ابنه الأكبر اركاديوس امبراطوراً عليها .

٢ - القسم الغربي وعاصمته روما ، وعين ابنه الثاني هونويوس امبراطوراً عليها .

- في عام ٤٧٦م تعرضت روما الغربية لهجوم القبائل الجرمانية البربرية ، وسقطت دولة روما ، وقامت على انقاضها دويلات بربرية . وقد اعتبر تاريخ سقوط روما نهاية العصور القديمة ، وبداية العصور الوسطى .

دولة الغساسنة :

- في منتصف القرن الثاني للميلاد ، قذفت الجزيرة العربية موجة جديدة من ابنائها الى الشام فتوجه قسم منهم الى أطراف الفرات واسسوا دولة الغساسنة . وتوجه القسم الثاني الى سوريا فاقاموا دولة المناذرة .

- ينتمي المناذرة الى قبيلة الأزد ، وقد استوطنوا في البداية جنوب سوريا ، ثم هاجموا بعد ان قويت إمارتهم قبائل الضجاعمة ، وقام اول ملك لهم - جفنة ابن عمر - فاسس دولتهم مستفيداً من ضعف الروم .

- وجد الروم ان من مصلحتهم دعم دولة الغساسنة للافادة من قوة محاربيها في قتالهم المستمر مع الفرس وحتى تكون هذه الدولة بمثابة مراكز دفاعية متقدمة تحتمي وراءها القوات الرومية .

- افاد الفرس من المناذرة - مثلما افاد الروم من الغساسنة - وكان لا بد من وقوع صدام بين ابناء العمومة من مناذرة وغساسنة بسبب انحياز كل طرف من العرب الى المعسكرين المتضادين . ووقعت معارك كان اشهرها تلك التي انتصر فيها الحارث بن جبله الغساني على المنذر الثالث وقتله ، واعتبر الروم

نصر الحارث نصراً لهم . فذهب بدعوة لزيارة القسطنطينية ، واستقبل فيها استقبال الفاتحين . وعاد الحارث بن جبله فوسع حدود مملكته حتى شملت بادية الشام من الرصافة شمالاً حتى خليج العقبة جنوباً .

العلاقة بين الروم – والعرب :

– كان الروم – قوة احتلال غريبة عن المنطقة – ولهذا كان لها اسلوبها المماثل لاسلوب كل قوة استعمارية .

١ – تحالف الروم في البداية مع الانباط ، وعندما انتهى دورهم تخلى الرومان عنهم واصبح دور الانباط ثانوياً .

٢ – دعم الرومان مملكة تدمر ، وكان أذينة الثاني وفياً لما لقيه من دعم فقاتل الى جانب الروم وعندما استطاع الفرس أسر الامبراطور الروماني « فاليريان » جمع أذينه جيشاً كبيراً وهاجم الفرس وانتصر عليهم . مما دفع الامبراطور الروماني الى تعيين اذينه قائداً عاماً للجيوش الرومانية في الشرق. الا ان الروم كانوا يخشون في الوقت ذاته تزايد القوة العربية ، فنظموا هجوماً دمروا بـه عاصمة تدمر ، واخذوا ملكتها زنوبيا اسيرة لروما عام ٢٧٠ م.

٣ – دعم الرومان الغساسنة . وكان هؤلاء اوفياء للدعم الذي تلقوه من الروم ، لكن تزايد قوة الغساسنة أدخل الخوف الى نفوس الروم فما كان منهم الا ان قبضوا على المنذر بن الحارث ونفوه الى صقليا .

الموقف عشية فتح المسلمين للشام :

– كانت الحرب بين الفرس والروم مستمرة ، وفي الفترة الاخيرة من حكم الدولتين ، انطلق كسرى على رأس جيش كبير واستطاع تدمير انطاكية واحتلال مدن الساحل في عام ٥٤٠ م ثم اعلنت الهدنة بين الطرفين في عام ٥٤٥ م .

– حاول الروم الانتقام لهزيمتهم فارسلوا جيشاً لاحتلال اليمن التي كانت تابعة للفرس ونجحوا في ذلك عام ٥٧٠ .

– قتل الامبراطور الروماني موريس على يد فوكاس . وخشي كسرى الثاني « بروز » قيام الامبراطور الجديد بهجوم جديد على فارس فوجه عدداً من قادته استطاعوا احتلال الرها وانطاكيه ودمشق والقدس سنة ٦١٤ م وحملوا الصليب ونقلوه الى المدائن ، وتابعت القوات الفارسية زحفها حتى وصلت الاسكندرية ومصر .

– عندما استتب الامر لهرقل بعد ذلك تصدى للفرس وزحف على رأس جيش فانتزع من الفرس ما كانوا قد فرضوا سيطرتهم عليه، ثم تابع الروم زحفهم حتى دجله حيث احتلوا دستكرد التي كان بها قصر الملك كسرى ثم تابعوا زحفهم في عام ٦٢٨ م في اتجاه عاصمة الفرس – المدائن – الا ان كسرى كان قد هرب منها .

– استنزفت هذه المعارك المستمرة قوة الروم ، واضعفت مكانتهم المعنوية في نفوس العرب ولم يعد الروم ، في انظارهم ، تلك القوة التي « لا تقهر » . واخذ التململ والتذمر يسود في اوساط جماهير البلاد التي يحكمها الروم .

– انهارت روما الغربية عام ٤٧٦م.على ايدي القبائل الجرمانية ، وكان لهذا الحدث دور حاسم في ضعف الامبراطورية الرومانية ، وعلى الرغم من مطالبة روما الشرقية بحقها في ارث روما الغربية ومحاولتها اعادة مجد الامبراطورية القديمة . الا ان هذه المحاولات كانت عقيمة غير مجدية . وقد انعكس ذلك دونما ريب على قدرة « بيزنطة » في الصمود امام زحف القبائل العربية .

– ترك اسلوب الغدر المستمر الذي اتبعه الروم مع زعماء العرب رواسب عميقة . وقد خلق ذلك شرخاً عميقاً وهوة سحيقة بين الروم والعرب وفقد الروم دعامة قوية من القبائل العربية المستوطنة في بلاد الشام .

ـ افاد العرب حضارياً من احتكاكهم بالروم والفرس ، وظهر ذلك بشكل واضح في المظاهر السياسية والتطورات الاقتصادية والبنية الاجتماعية والتطلعات الفكرية ، والمهارة الفنية ، مما جعل العرب على استعداد لاقامة دولة عربية متطورة .

التواقت بين بدر ـ وبين هزيمة الروم :

ـ انصرف الرسول الاعظم بعد الهجرة الى ترسيخ دعائم الدين ، وتعزيز مكانة المسلمين ، وتوحيد كلمة المؤمنين واعدادهم لحمل راية الاسلام . وفي السنة الثانية للهجرة وقعت غزوة بدر الكبرى ، وحقق المسلمون بنتيجتها اول نصر حاسم على المشركين . وفي هذا الوقت ذاته وقعت الحرب بين الفرس والروم ـ بين الوثنية والمسيحية ـ وانتصرت الوثنية وهزمت المسيحية ، واعتبر المشركون نصر الوثنية نصراً لهم ، فانطلقوا يهللون ويستبشرون ، في حين كان لذلك اصداء سيئة على المسلمين لأنهم يعتبرون الروم « أهل الكتاب ». ونزلت الآية :

(الـم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيَغْلبُون في بضع سنين ـ لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) (الآيات ١ ـ ٥ من سورة الروم) .

ـ وفرح المؤمنون بهذه البشرى ، ولم تمض سوى سنوات سبع حتى عقد صلح الحديبية في الجزيرة ، ذلك الصلح الذي استهدف جمع شمل القبائل العربية وتوحيدها . وفي الوقت ذاته كان الروم يحققون نصرهم على الفرس الذين شغلتهم هجمات ملك الهند واحتلاله قطاعات من بلادهم . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فقد كان العامل الثاني في هزيمة الفرس هو انضمام قائد

جيوشهم (شهربراز) الى هرقل ملك الروم (١) .

وهكذا كانت القوى العربية تتحد وتتعاظم فوق رمال الجزيرة في حين كان التمزق والانحلال يفتك في كيان دولتي الاكاسرة والروم .

النبوءة :

اللهم لا عيش الا عيش الآخرة — فاغفر للانصار والمهاجره

قالها الرسول الاعظم وهو يشهد المسلمين يحفرون الخندق ، وكلهم مرهق الا ان الارهاق لم يضعف من العزيمة ، فاجابه المسلمون :

نحن الذين بايعوا محمداً — على الجهاد ما بقينا ابداً .

ويتابع الرسول اعمال الحفر وحمل التراب ، مثله مثل كل واحد من المسلمين ، ويشهد محمد بن عبدالله « ص » حماسة المؤمنين فيرتجز شعر ابن رواحه ويردد مع المسلمين محمساً :

اللهم لولا انت ما اهتدينا	**ولا تصدقنا ولا صلينا**
فانزلن سكينة علينا	**وثبت القلوب ان لاقينا**
ان الالى قد بغوا علينا	**وان ارادوا فتنة ابينا**

— اعترضت صخرة كبيرة اعمال الحفر ، وتحدت معاول المسلمين ،

---

(١) جاء في التاريخ الكبير لابن عساكر ص ٨٣ — ج ١ . ان سبب انضمام (شهر براز) الى الروم هو ضيق كسرى من قائده بسبب الابطاء في معدل سرعة الهجوم وعدم تحقيق نصر سريع وحاسم على خصومه . لقد اتبع الروم في هذه الحرب اسلوب القتال التراجعي فكانوا ينسحبون من معقل الى معقل ومن حصن الى حصن ومن قلعة الى قلعة مما كان يعيق تقدم جيش شهربراز . ولم يدرك كسرى السبب — وظنه تهاوناً من قائد جيوشه فاوعز الى عظيم من قادته بقتل شهربراز وتولي القيادة مكانه . الا ان هذا « العظيم » كان على اطلاع تام بالموقف ، فكتب الى كسرى ممتدحاً شهربراز ، ملتمساً اعطاءه الفرصة لمتابعة هجومه ، شارحاً اسباب عدم سرعة الهجوم وكرر كسرى اوامره ثانية وثالثة . ولما ضاق ذرعاً ، اوعز الى شهربراز بقتل صاحبه « العظيم » . وعندما اراد شهربراز قتل صاحبه اطلعه هذا على الرسائل المتبادلة بينه وبين كسرى فما كان من شهربراز وصاحبه الا ان اتصلا بهرقل ملك الروم وانضما اليه ، ووقعت الهزيمة بقوات كسرى .

وامتنعت عليهم ، فاستنجد المسلمون بالرسول القائد ، وتقدم الرسول ، ورفع معوله وهوى به ، فانشطر ثلث الصخرة ، وانطلقت شرارة وضاءة ، هلل لها الرسول الاعظم وقال :

الله اكبر – اعطيت مفاتيح الشام – والله اني لابصر قصورها الحمر الساعة .

– وهوى المعول مرة ثانية ، وانشطر الثلث الثاني ، وهوت الصخرة وتطاير الشرر وارتفع صوت النبي العربي من جديد :

الله اكبر ، اعطيت مفاتيح فارس – واني والله لابصر قصر المدائن الابيض الآن .

– ثم جاءت الضربة الثالثة لتزيل كل اثر للصخرة ، ومع تطاير الشرر ارتفع صوت النبي :

الله اكبر – والله اني لأبصر ابواب صنعاء من مكاني الساعة (١) .

– ويصمت اصحاب النبي اجلالاً لهذه النبوءة ، انهم ما عرفوا في صاحبهم سوى الصدق في القول والعمل ، لكن اين موقفهم الآن من فارس والروم واليمن ، والمشركون يحيطون بهم من كل جانب ، وجيوش المشركين تزحف لإبادة هذه القوة المسلمة .

– وتنتهي معركة الخندق ، وينتقل المسلمون من نصر الى نصر حتى وحدوا الجزيرة في قيادة واحدة تحت راية الاسلام ، واصبح العرب في جزيرتهم : اعزاء بدينهم ، اقوياء بوحدتهم ، احراراً في مجتمعهم .

– انتقل الرسول الأعظم الى جوار ربه ، وتولى الخلافة الصديق . بعدما استتب الامر للمسلمين في الجزيرة ايام الرسول . وبقيت نبوءته في يوم الخندق ماثلة امام المسلمين ، كبذرة نبتة عاشت في كيان كل مسلم ووجدانه .

---

(١) الرسول العربي وفن الحرب – اللواء الركن مصطفى طلاس ص ١٩٩ – عن تاريخ الطبري ج ٢ – ص ٥٦٨ .

– وعندما توفي الرسول اصبح تحقيق النبوءة من واجب الصديق بهدف نشر الدعوة وحمل الرسالة الى الانسانية جمعاء .

٣ – الاغارات الاستطلاعية :

شعر الروم منذ بداية ظهور الدعوة الخطر الذي يتهددهم من وراء اجتماع العرب على كلمة الاسلام ، فاخذوا يحيكون المؤامرات ، ويحركون عملاءهم ، ويخططون للقضاء على جذوة الثورة الاسلامية ، الا ان لهيب الثورة كان في تأجج متصاعد ، فكان الرسول يقابل التحديات بتحديات اكبر وأخذ ينتقل من مواقع الدفاع الى مواقع الهجوم ، فارسل أربعة غزوات حتى حدود الشام ثم قاد بنفسه الغزوة الخامسة التي عرفت باسم غزوة تبوك (انظر الجدول المرفق)

– وعرف ابو بكر الصديق الذي رافق هذه الاحداث جميعاً ، النتائج التي انتهت اليها والتي كان من اهمها :

١ – رفع الروح المعنوية للمسلمين مقابل احباط القوة المعنوية للروم خاصة والمشركين عامة .

٢ – نقل المسلمين من مواقع الدفاع الى مواقع الهجوم ، وترسيخ مبـدأ (الهجوم اقوى وسائل الدفاع) .

٣ – جمع المعلومات عن الروم والأكاسرة وتوفر حصالة دقيقة عن الاوضاع في بلاد الشام .

٤ – تكوين خبرات قتالية ، واكساب المقاتلين الصلابة اللازمة للحرب .

٥ – تنظيم مواقع متقدمة عند حدود بلاد الشام تصلح كقاعدة للانطلاق بهجمات اكبر .

٦ – دراسة الارض ومعرفة ميزاتها للتقدم والحشد والهجوم .

٧ – الاتصال بالقبائل العربية المتواجدة منذ زمن طويل فوق أرض الشام ، ودعوتها للاسلام وتنظيمها كقوة احتياطية تساعد المسلمين وتناصرهم وتوفر لهم المعلومات الضرورية .

الغزوات الاستطلاعية – قبل فتح الشام

	اسم الغزوة	تاريخها	قادتها	ميزان القوى	ملاحظات
١	دومة الجندل	السنة الرابعة للهجرة وهي اول غزوات ديار الشام	عبدالرحمن بن عوف	٧٠٠ رجل من المسلمين لم يقابلهم احد من المشركين	وجه عبد الرحمن بن عوف الدعوة الى اهل دومة الجندل للدخول في الاسلام ومكث فيها ثلاثة ايام بعد ان فر المشركون من لقاء قوة المسلمين
٢	ذات اطلاح		كعب بن عمير الغفاري	قوة المسلمين ١٥ رجلا فقط مقابل اعداد ضخمة من المشركين	ابيدت قوة الاغارة باستثناء رجل واحد حمل جراحه حتى وصل المدينة واخبر النبي الذي رغب تجريد حملة كبيرة للانتقام . الا ان الاخبار وصلته بفرار المشركين فعدل عن خطته .
٣	غزوة مؤته	السنة الثامنة للهجرة	على التسلسل القيادي ١ – زيد بن حارثه ٢ – جعفر بن ابي طالب ٣ – عبدالله بن رواحة ٤ – ترك للمسلمين اختيار الخلف فيما اذا قتل الثلاثة فتم انتخاب خالد بن الوليد	ثلاثة آلاف مقاتل مسلم مقابل عشرين الفاً نصفهم من الروم ونصفهم من لخم وجذام وبلقين وبلي ونسبة تفوق الروم سبعة مقابل واحد .	اشتبك المسلمون بمعركة ضارية قتل فيها القادة ، وعندما تولى خالد بن الوليد القيادة اعاد تنظيم قوته ونظم المؤخرة للقيام باعمال الاعاقة وسحب قوته . قتل من المسلمين اثني عشرة . مقابل اعداد اكبر من المشركين .

٤	غزوة ذات السلاسل		عمرو بن العاص	ثلاثمائة مقاتل من المسلمين – قوة دعم لحقت بعمرو مكونة من الفي مقاتل وفيهم أبو بكر وعمر وجميعهم بقيادة أبي عبيدة بن الجراح	طارد المسلمون قوات المشركين المتفرقة بعد ان وصلهم الدعم ولم تحاول قوات المشركين التجمع للاشتباك بقوة المسلمين ، وفرضت الجزية على المجوس .
٥	غزوة تبوك او « غزوة العسرة »	السنة التاسعة للهجرة	الرسول الأعظم	جميع المسلمين وتقدرهم بعض المصادر بثلاثين الفاً ومعهم عشرة آلاف راحلة	كان الروم قد حشدوا قواتهم في تبوك ولما بلغهم قدوم جيش الرسول تفرقوا وانسحبوا دون قتال وانتهت الغزوة بالصلح مع حاكم ايله «ايلات» ومع اهالي اذرح .
٦	غزوة يبنى وابل الزيت	السنة الحادية عشرة للهجرة	اسامة بن زيد	سبعمائة مقاتل من المسلمين	كان الرسول الأعظم قد عقدالراية لاسامة بن زيد قبل وفاته بايام ثلاثة وعندما توفي الرسول ، امر الصديق بتوجيه الغزوة التي انتهت باحراق يبنى وهرب اهل ابل الزيت علماً ان بعض الصحابة كان قد عارض بتوجيهها قبل الانتهاء من حروب الردة .

المراجع : ١ – التاريخ الكبير لابن عساكر .
٢ – فتوح الشام – الواقدى .

– ونتيجة لذلك فقد صمم الصديق على توجيه اسامة بن زيد للقيام بغزوة يبنى وابل الزيت بعد وفاة الرسول الاعظم مباشرة ، وذلك على الرغم من اعتراض بعض الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب . وكان جواب الصديق على ابن الخطاب قوله :

(ثكلتك امك وعدمتك يا ابن الخطاب – استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني ان انزعه – والذي لا اله الا هو ما رددت جيشاً وجهه رسول الله ولا حللت لواء عقده رسول الله (١) .

– بهذا التصميم ، وبهذا الايمان ، وبهذه المعرفة ، بدأ الصديق خلافته .

المرحلة الأولى من الهجوم :

– مؤتمر التعبئة –

– لم يكن الصديق يقرر امراً يتعلق بالمسلمين ومستقبلهم دون اخذ رأيهم وهو الذي شهد الرسول القائد ينزل عند رأي الصحابة اذا لم يكن في ذلك تشريع إلـهي ، ولهذا قرر توجيه الدعوة الى كبار الصحابة من انصار ومهاجرين لعقد مؤتمر يناقش فكرة غزو الشام التزاماً بالآية الكريمة « وأمرهم شورى بينهم » . وحضر المؤتمر علي بن ابي طالب ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن ابي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وابو عبيده ابن الجراح ، وعمرو بن سعيد ، وخالد بن الوليد ، وطلحة والزبير وغيرهم . واستهل الصديق المؤتمر بقوله :

« حمداً لله ان جمع كلمتكم واصلح ذات بينكم وهداكم الى الاسلام ونفى عنكم الشيطان فليس يطمع ان تشركوا به ولا تتخذوا الهاً غيره ، فالعرب اليوم بنو أب وأم ، وقد رأيت ان استنفر المسلمين الى جهاد الروم بالشام

---

(١) ص ١٢٦ – ١٢٧ التاريخ الكبير لابن عساكر .

ليؤيد الله المسلمين ويجعل الله كلمته العليا مع ان للمسلمين في ذلك الحظ الاوفر لانه من هلك منهم هلك شهيداً وما عند الله خير للابرار ومن عاش عاش مدافعاً عن الدين مستوجباً على الله الثواب » .

— ووقف ابن الخطاب اول من وقف مؤيداً ومشجعاً ، وتابع بقية الصحابة تأييدهم ومبايعتهم الصديق على مخططه ، وجاء دور عبد الرحمن بن عوف فوقف يقول :

« يا خليفة رسول الله — انها الروم وبنو الاصفر — حدٌ حديدٌ وركن شديد ما أرى ان نقتحم عليهم اقتحاماً ، ولكن نبعث الخيل فتغير في قواصي ارضهم ثم ترجع اليك ، واذا فعلوا ذلك مراراً وأضروا بهم وغنموا من أداني ارضهم فقعدوا بذلك عن عدوهم ، ثم تبعث الى أراضي اليمن واقاصي ربيعة ومضر ، ثم تجمعهم جميعاً اليك ، ثم ان شئت بعد ذلك غزوتهم بنفسك وان شئت أغزيتهم » (١) .

— لقد تضمن حديث عبد الرحمن بن عوف اسساً ثابتة من اسس القتال :

١ — عدم الاستهانة بقوات الخصم وتقديرها بقوتها الحقيقية بعيداً عن العاطفة والارتجال .

٢ — ارسال الاغارات الاستطلاعية باستمرار لتأمين قاعدة انطلاق للهجوم واحباط روح القتال لدى العدو واضعاف روحه المعنوية ، علاوة على دراسة الارض وطبيعة السكان وقوة الخصم .

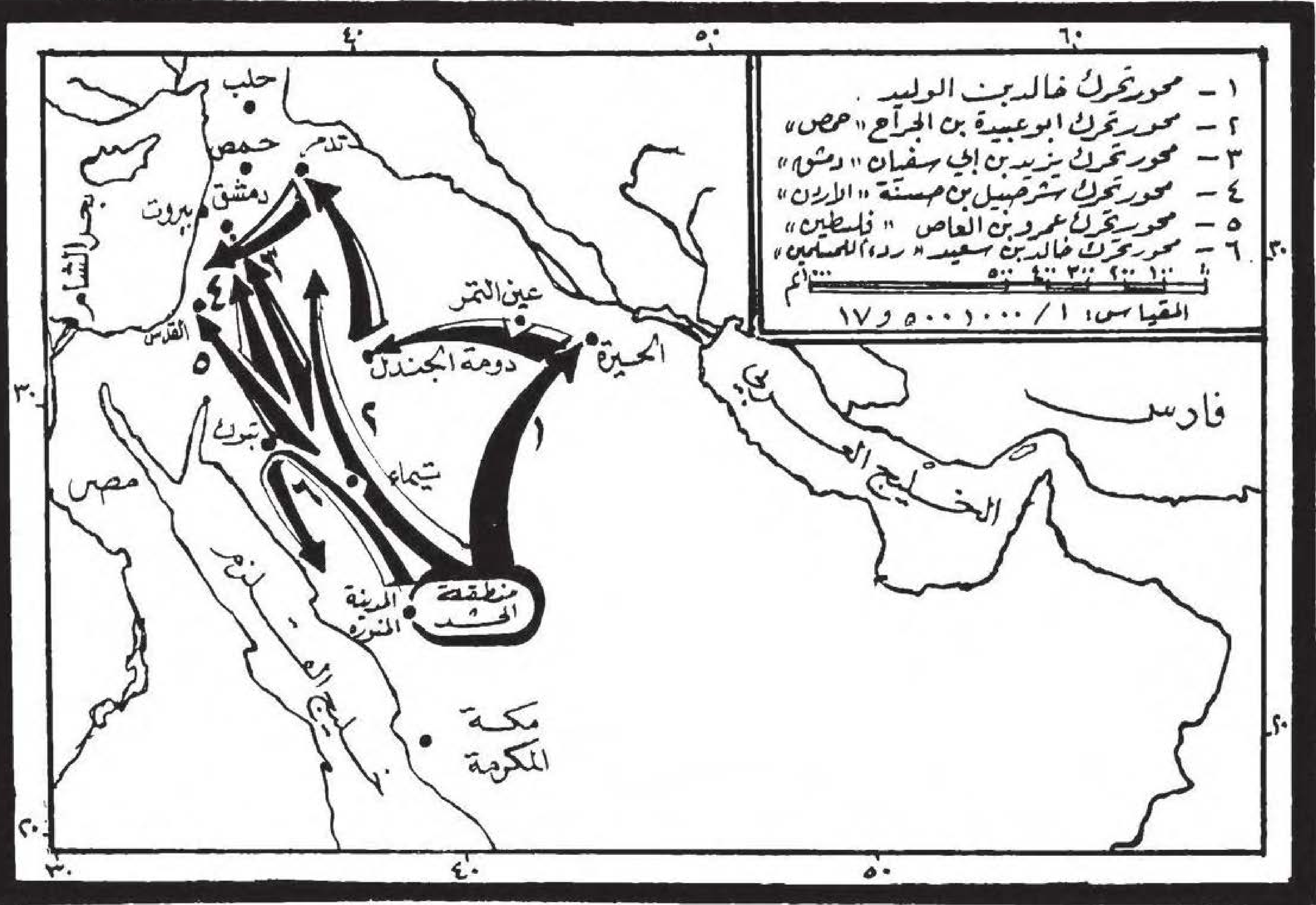
٣ — حشد القوات لتحقيق توازن في القوى واستنفار قبائل عرب الجزيرة واليمن جميعاً .

٤ — القيام بعد ذلك بالهجوم العام وقد توفرت له جميع اسباب النجاح .

نتيجة لاقرار فكرة غزو الروم والفرس ، والموافقة على التعبئة ، كتب ابو بكر

---

(١) تهذيب ابن عساكر ١ / ١٢٦ — ١٢٧



مخطط تحركات قوات المسلمين لفتح الشام ١٣هـ - ٦٣٤م

الصديق رسالة الى أهل اليمن يستنفرهم للجهاد ، وأوفد اليهم الصحابي أنس بن مالك ، كما أرسل مبعوثين عنه الى القبائل يعلمهم تصميمه ويطلب اليهم حشد طاقاتهم في المعركة .

عزل الجزيرة العربية :

– كان الصديق قد عقد راية لخالد بن الوليد وامره بالتوجه لقتال المرتدين بقوة ستة آلاف مقاتل ، وعندما انتهى خالد من واجبه المحدد له واخضع اهل اليمامة كلفه الصديق بالتوجه الى العراق لدعم المثنى بن حارثة الشيباني فيهـا واستلام قيادة العمليات في العراق . وفي الوقت ذاته ، تجمع المقاتلون في المدينة فعقد الراية لخالد بن سعيد بمهمة التوجه الى الشام .

– كان خالد بن سعيد بن العاص قد تمهل في البيعة لابي بكر الصديق ، والتقى بعد البيعة بكل من علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان فبادأهما بقوله :

(يا ابا الحسن – يا بني عبد مناف – غلبتم عليها ؟ – واجابه علي : أمغالبة ام خلافة ؟)

وهكذا لم يبايع خالد بن سعيد الا بعد مضي شهرين ، وعندما عقد الخليفة ابو بكر الراية لخالد بن سعيد ، ثارت ثائرة ابن الخطاب واسرع اليه فقال له :

(أتؤمره وقد صنع ما صنع وقال ما قال ...)

وبعد فترة من التفكير اصدر ابو بكر اوامره بعزل خالد بن سعيد عن القيادة ووجهه الى تيماء حتى يكون ردءاً للمسلمين . وبذلك يكون

(اطاع عمر في بعض الامر وعصاه في بعض) (١)

– نزل خالد بن سعيد تيماء فتجمعت ضده قبائل بهراء وسليح وتنوخ وغسان وكلب وجذام ، فكتب خالد بن سعيد الى ابي بكر بذلك ، فكتب اليه ابو بكر :

---

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٢٧٥ .

(أقدم ولا تقتحمن واستنصر بالله ..)

فسار اليهم فلما دنا منهم تفرقوا . فنزل منزلهم وكتب الى أبي بكر فاجابه :

(اقدم – بحيث لا تؤتى من خلفك) (١)

تابع خالد بن سعيد تقدمه ، ونزل بين آبل وزيزاء والقسطل . فسار اليه بطريق يدعى « باهان » ووضع باهان مخططاً لعزل قوة المسلمين بفرض سيطرته على محاور التراجع ثم هاجمه ، وقتل عدد من المسلمين فيهم احد ابناء خالد بن سعيد . وهرب خالد مع من بقي معه من الجيش حتى وصل ذي المروة قرب المدينة . وخشي الخليفة الصديق ان تؤثر هذه الهزيمة على الروح المعنوية للمسلمين فاصدر اوامره الى خالد بن سعيد بالبقاء في « ذي المروة » وعدم مغادرتها ، وبقيت مع عكرمة بن ابي جهل قوة صغيرة قامت بحماية الانسحاب ، والتصدي للروم وحماية الجزيرة من تقدمهم .

التحدي :

– اغتر الروم بما احرزوه من نصر على خالد بن سعيد بن العاص ، واخذوا يفكرون بمتابعة الهجوم حتى يتم لهم تصفية الدين الاسلامي من الجزيرة العربية .

– عندما بلغت انباء الهزيمة الخليفة الصديق ، غضب لذلك ، وكانت طلائع القوات المستنفرة قد أخذت في الوصول الى المدينة ، وكان في قوات اليمن :

– قوات قبائل حمير وفي مقدمتها ذو الكلاع الحميري .
– قوات مذحج وفي مقدمتها قيس بن هبيره المرادي .
– قوات طيء وفي مقدمتها حارث بن سعيد الطائي .
– قبائل الازد وفي مقدمتها جندب بن عمرو الدوسي .
– قوات بني عبس وفي مقدمتها ميسرة بن مسروق العبسي .
– قوات بني كنانة وفي مقدمتها غيثم بن اسلم الكناني .

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٨٩ .

- كان ابو بكر قد رد عمرو بن العاص الى عمله الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاه اياه من صدقات سعد هذيم وعذره وغيرهم قبل ذهابه الى عمان ، فلما عزم على توجيه الجيوش للشام ، كتب اليه يستشيره في تعيينه لقيادة جيش من جيوش الشام واجابه عمرو :

(اني سهم من سهام الاسلام وانت بعد الله الرامي بها والجامع لها ، فانظر اشدها واقساها) (١)

فاستدعاه الخليفة الصديق وامره بالحضور الى المدينة .

- وكان شرحبيل بن حسنة في جيش خالد بن الوليد الذي ذهب الى العراق . وحضر شرحبيل الى المدينة يحمل رسالة ابن الوليد ليعلمه بما حققه من انتصارات فاستبقاه عنده لتعيينه قائداً لجيش من الجيوش التي سيوجهها الى الشام .

- نظم ابو بكر الصديق القوات التي وصلت المدينة ووجهها على محاور مختلفة وبفواصل زمنية بحيث ينطلق كل جيش في اليوم التالي للجيش الذي سبقه .

- نظم الخليفة ابو بكر جيشاً من تسعة آلاف مقاتل ضم فيه اهل مكة والمدينة واسند قيادته الى يزيد بن ابي سفيان واوصاه ثم وجهه الى دمشق وكان معه ربيعة بن عامر كقائد ثان لهذا الجيش . وحدد الخليفة محور التحرك : تبوك ، البلقاء ، دمشق .

- نظم الخليفة جيشاً بقيادة عمرو بن العاص بمهمة فتح فلسطين ، واوصاه بقوله :

(اذا سرت بجيشك فلا تسر في الطريق التي سار فيها يزيد ... بل اسلك طريق ايلياء « القدس » حتى تنتهي الى فلسطين - وابعث عيونك يأتونك باخبار ابي عبيدة - فان كان ظافراً بعدوه فكن انت لقتال من في فلسطين .

---

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٢٧٨ .

وان كان يريد عسكراً فانفذ اليه جيشاً في اثر جيش - وقدم سهل بن عمرو وعكرمة بن ابي جهل والحارث بن هشام وسعيد بن خالد ..) (١)

- ودفع الخليفة جيشاً بقيادة شرحبيل بن حسنة بمهمة احتلال الاردن حتى بصرى ، والبقاء فيها بمهمة حماية قاعدة انطلاق جيوش المسلمين .

- وضم جيش ابو عبيدة بن الجراح افضل مقاتلي المسلمين من انصار ومهاجرين وحدد الخليفة له هدفه باحتلال مدينة حمص .

- تابع الخليفة الصديق حشد القوات ، وتجمعت لديه قوة فكلف معاوية ابن ابي سفيان بقيادتها لدعم اخيه يزيد واخذ من بقي مع خالد بن سعيد بعدأن كان شرحبيل قد اخذ قسماً كبيراً منها . وأذن الخليفة لخالد بن سعيد بدخول المدينة . وتقدم خالد بن سعيد راجياً الحاقه بجيش ابي عبيدة مقاتلاً في جيش المسلمين فأذن له .

٥ - بواكير النصر :

١ - جيش يزيد بن ابي سفيان - وصل جيش يزيد بن ابي سفيان الى تبوك واقام بها ثلاثة ايام ، وعندما اراد التحرك في اليوم الرابع وصلت طلائع جيش الروم ، ووضع يزيد مخططه لتدمير هذه الطلائع المكونة من عشرة آلاف مقاتل . فأخذ ربيعة بن عامر الف فارس وابتعد بهم وتابعت طلائع جيش الروم تقدمها ، وبدأت معركة ضارية مع جيش يزيد ، ثم انقضت قوة الكمين على المؤخرة ، وامكن بذلك ابادة قسم من هذه القوة التي كان يقودها البطاليق . وانتهت المعركة بسقوط ١٢٠٠ قتيل من الروم مقابل ١٢٠ قتيل من جيش يزيد(٢) .

- بدأت معركة القوات الرئيسية في اليوم التالي وصمد جيش يزيد وقاتل

---

(١) فتوح الشام - الواقدي ١/١٧ .
(٢) الواقدي /١/ .

المسلمون بعناد ، واستطاعوا مجابهة تحدي جيش الروم وكان لذلك دور حاسم في انتزاع النصر ، ثم وصلت قوات جيش شرحبيل بن حسنة وبذلك امكن تحويل الموقف لصالح المسلمين وامكن تمزيق جيش الروم وارغامه على الفرار .

– علم يزيد ان هناك تجمعاً للروم في « العربة » من ارض فلسطين فوجه اليهم أمامة الباهلي فهزمهم ، ثم تابع جيش يزيد تقدمه حتى « الداثن » (١) .

– كانت هذه المعارك هي اول معارك كبيرة يخوضها المسلمون ضد الروم بعد اغارة اسامة بن زيد .

– جمع يزيد الغنائم وارسلها مع شداد بن أوس الى المدينة وحمله رسالة الى الخليفة الصديق تشرح الموقف .

٢ – جيش ابو عبيدة بن الجراح – سار ابو عبيدة حتى وصل البلقاء ، وقاتله اهلها ، ونجح ابو عبيده في احباط المقاومة ، وطلب اهل البلقاء الصلح فعقد ابو عبيده معهم اتفاقية كانت اول عقد للصلح مع المسلمين (٢) .

٣ – جيش عمرو بن العاص – عندما وصل عمرو بن العاص الى فلسطين تقدم اليه عدي بن عامر من المسلمين وكان قد قدم الى الشام بتجارة له واعلم ابن العاص عن تقدم جيش كبير للروم يزيد على مائة الف فارس .

– نظم عمرو بن العاص قوة استطلاع من الف مقاتل ودفعها في اتجاه محور تقدم الروم ووضع على قيادتها عبدالله بن عمر بن الخطاب . وتقدمت هذه القوة واصطدمت بطليعة جيش الروم وحدثت معركة طاحنة اظهر فيها عبدالله بن عمر وعكرمة بن ابي جهل صموداً كبيراً وقيادة حازمة وامكن قتل قائد هذه القوة (٣) .

---

(١) الداثن : ناحية قرب غزة باعمال فلسطين /– هـ – معجم البلدان – ياقوت الحموي .

(٢) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٢٨٠ .

(٣) لم يذكر الطبري هذا الجزء من المعركة ، ولعله كان اكثر حيطة من الواقدي فتجاهلها .

واستطاع عبدالله انتزاع النصر وتمزيق قوة العدو . وانتهت المعركة بسقوط ٦٠٠ قتيل من جيش الروم مقابل ٧ من المسلمين « الواقدي » .

– عادت قوة الاستطلاع ومعها بعض الاسرى فاستجوبهم عمرو ، وعلم منهم ان جيش العدو بقيادة روبيس وان قوته تقارب المائة الف .

– عرف عمرو ان خصمه روبيس سيحاول مباغتته بالهجوم فنظم قواته كالتالي :

– الميمنة بقيادة الضحاك بن قيس .

– الميسرة بقيادة سعيد بن خالد بن العاص .

– الساقة بقيادة أبي الدرداء .

– القلب بقيادته – عمرو بن العاص –

– ونظم عمرو بن العاص جيشه :

(لا يخرج سنان عن سنان ولا عنان عن عنان ولا ركاب عن ركاب – وهم كأنهم بنيان مرصوص وهم يقرؤون القرآن) (١) .

– قام جيش الروم بهجومه بعد ان كان عمرو بن العاص قد انهى استعداده للقتال . وصمد المسلمون ، ونجحوا في تحطيم حدة هجوم خصمهم ، وتصاعد الموقف ، واشتد القتال . وعندما شعر المسلمون بتمزق قوة جيش روبيس ، قاموا بهجومهم المضاد ونجحوا في تدمير العدو وارغامه على الفرار وترك ميدان المعركة وتابع الفرسان اعمال مطاردة القوات المنسحبة . وانتهت المعركة بسقوط ١٥,٠٠٠ قتيل من جيش الروم مقابل ١٣٠ من جيش المسلمين .

– ارسل عمرو بن العاص بعد المعركة رسالة يعلم فيها الخليفة الصديق بما حققه من نصر كما ارسل له الغنائم (٢) .

---

(١) الواقدي ١/٢٠ .

(٢) الطبري يذكر ان هذا الجيش كان سبعين الفاً . اما ابن الاثير فيذكر ان الجيش الذي ارسله هرقل الى عمرو كان يضم تسعين الفاً .

– ارسل عمرو بن العاص رسالة الى قائد جيش حمص ابي عبيدة يسأله فيها اذا كان في حاجة الى دعم ، وأعلم خالد ابا سعيد بمقتل ابنه الثاني في المعركة فطلب اذناً من ابي عبيده بالذهاب لرؤية مكان قتل ابنه والاخذ بثأره . وكتب ابو عبيدة رسالة حملها المراسل الذي رافق خالد بن سعيد جاء فيها :

(اما بعد – انما انت مأمور ، فان كان ابو بكر امرك ان تكون معنا فسر الينا ، وان كان امرك بالثبات في موضعك فاثبت)

– بقي عمرو في فلسطين ووصل المراسل وبرفقته خالد بن سعيد . وطلب خالد من عمر السماح له بمطاردة العدو وخرج معه ثلاثمائة مقاتل من بني حمير . ونجح خالد في مطاردة مؤخرة جيش الروم وقتل ٣٢٠ من جند العدو بما فيهم قاتل ابنه واستولت هذه القوة على رتل المواد التموينية وعادت الى مركز انطلاقها وانضمت الى جيش عمرو بن العاص

– انطلق ابو عبيدة بعد ذلك ويزيد بن ابي سفيان وشرحبيل بن حسنة لحصار بصرى . وحدثت بعض المعارك الثانوية . وعندما طالت فترة الحصار على بصرى ، عقد اهلها صلحاً مع المسلمين وكانت أول مدينة من مدن الشام تعقد الصلح مع المسلمين .

– انطلق ابو عبيدة بن الجراح في اتجاه هدفه حمص .
– وانطلق يزيد بن ابي سفيان في اتجاه هدفه دمشق .
– ورجع شرحبيل بن حسنة الى الاردن .
– وبقي عمرو بن العاص في فلسطين .

– كان هرقل في « ايلياء » القدس يشرف على الموقف بنفسه ، وعندما شهد توغل المسلمين وتوزعهم ، اصدر اوامره الى قواته بالتوجه لتدمير القوات العربية وضربها وهي متفرقة ، فوجه اخاه تذارق في تسعين الفاً ضد عمرو بن العاص ، ووجه جرجه بن توذر الى يزيد بن ابي سفيان ، وبعث القبقار بن نسطوس في ستين الفاً الى ابي عبيده ، وبعث الدراقص نحو شرحبيل .

– عندما شعر قادة جيوش المسلمين بتقدم جيوش الروم ، وعرفوا مخططهم ، اتصلوا فيما بينهم لدراسة الموقف ، واقترح عليهم عمرو بن العاص الاجتماع ومقابلة الخصم بقوة واحدة ، وكان مما كتبه لهم في رسائله :

(ان مثلكم لا يؤتى من قلة وانما يؤتى العشر آلاف من الذنوب فاحترسوا منها ...) . وتقرر الاجتماع بالجولان .

– كتب ابو عبيده بن الجراح الى الخليفة يشرح له تطورات الموقف ، فاجابه الخليفة :

(بث خيلك في القرى والسواد وضيق عليهم بقطع الميرة والمادة ولا تحاصرن المدائن حتى يأتيك أمري ..

فان ناهضوك فانهد لهم واستعن بالله عليهم فانه ليس يأتيهم مدد الا أمددناك بمثلهم أو ضعفيهم) (١) .

– اصدر الخليفة ابو بكر اوامره الى خالد بن الوليد للتوجه الى الشام ودعم القوات واستلام القيادة العامة وقال وهو يوجه كتابه الى ابن الوليد :

(والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد) .

ثم كتب الخليفة الى ابي عبيده بتعيين خالد بن الوليد :

(قد وليت خالداً قتال العدو بالشام ، فلا تخالفه ، واسمع له وأطع ، واني لم ابعثه عليك ان لا تكون خيراً منه ، ولكني ظننت ان له فطنة في الحرب ليست لك . اراد الله بنا وبك خيراً والسلام) (٢) .

– وكتب خالد بن الوليد الى ابي عبيده عندما وصلته رسالة تعيينه :

(اتاني كتاب خليفة الله يأمرني بالسير الى الشام وبالقيام على جندها والتولي لأمرها – والله ما طلبت ذلك قط ولا أردته اذ وليته . فانت على حالك الذي

---

(١) الواقدي – فتوح الشام ٤٢/١ .

(٢) تاريخ الطبري ٣٩٠/٣ والكامل لابن الاثير ٢٨١/٢–٢٨٤ .

كنت عليه – لا نعصيك ولا نخالفك ولا نقطع دونك أمراً – فانت سيد المسلمين – لا ينكر فضلك ولا نستغني عن رأيك) .

٦ – الخليفة يوجه ابن الوليد الى الشام :

– امام زحف جيوش المسلمين الظافر ، ونتيجة لاستمرار وصول الامدادات من الجزيرة قرر هرقل الدخول في معركة حاسمة مع المسلمين واصدر اوامره بحشد قواته وتوجيهها نحو الجنوب ، وكان يشرف على تطورات الموقف وهو في ايلياء « القدس » .

– علم قادة المسلمين بأمر تحرك الروم ، فكتبوا الى الخليفة ابي بكر ، فارسل اليهم امدادات جديدة ، وانصرف خالد بن الوليد لتنظيم قواته من اجل التحرك الى الشام . واراد الاستئثار بأفضل المقاتلين مما اغضب المثنى بن حارثة ، فاعاد انتخاب قواته بما أرضى المثنى . وعندما أنهى استعداده غادر الحيرة ورافقه المثنى مودعاً الى قراقر .

– انطلق خالد بقوة خمسة آلاف فارس حتى عين التمر ، واغار بصورة مباغتة على اهلها فقتل المقاتلين وسبى غير المقاتلين واستولى على الممتلكات ووجه الغنائم والسبي الى المدينة وتابع تحركه في اتجاه سوى .

– المسافة بين قراقر وسوى خمسة ليال ، والطريق مجهول . اراد خالد السير عبر هذا المحور لتحقيق المباغتة . واستشار معاونيه ، ولم يوافقه أحد ، والتمس دليلاً يعرف الطريق ، فاقترحوا عليه رافع بن عميرة الطائي ، وقال رافع انه لم يعبر هذا المحور سوى مرة واحدة عندما كان طفلاً . وكان مما قاله له :

(انك لن تطيق ذلك بالخيل والانفال – ووالله ان الراكب المفرد يخافه على نفسه) .. واجابه خالد :

(ويحك ، انه لا بد لي من ذلك لاخرج من وراء جموع الروم لئلا تحبسني عن غياث المسلمين) (١) .

---

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٢٨٠ وتاريخ الطبري ٣/٤١٧ .

– امر خالد جنده بحمل ما يكفيهم من طعام ومياه لمدة خمسة ايام ، ثم أعطش الابل ورواها بعد ذلك مرتين ، ثم أمر بصر آذان الابل والشد على مشافرها لئلا تجتر ، ثم غادر خالد قراقر بمسيرته وعند انتهاء مرحلة اليوم الاول ذبحت عشر ابل ، ومزج ما تحتويه بطونها من المياه باللبن وسقيت الخيول . وتابعت القوة مسيرها ، وتكررت هذه العملية ذاتها بعد كل مرحلة من مراحل المسيرة . وعند اليوم الخامس وبعد انتهاء مرحلة المسيرة ، قيل لرافع وكان في عيونه رمد : ها قد وصلنا سوى . فاجابهم انظروا هل ترون شجرة عوسج كقعدة رجل . فقالوا ما نراها . فاجابهم : هلكتم والله اذاً وهلكت معكم . ثم الح عليهم وقال : ويحكم ابحثوا عن شجرة العوسج ، ووجدوا انها قطعت ولم يبق منها اكثر من بقية باقية . فقال لهم : احفروا ، فحفروا واستخرجو المياه فشربوا . وقال شاعر المسلمين :

لله عينا رافع أنى اهتدى	فوز من قراقر الى سوى
خمساً اذا ما ساره الجيش بكى	ما سارها قبلك انسي يرى

– اراد خالد الافادة من وصوله غير المتوقع للقيام بهجوم حاسم على قبائل « بهراء » فنظم اغارة مباغتة مع اول ضوء ونجح في ابادة مجموعات كبرى من « بهراء » وسبى غير المقاتلين وخرج ظافراً يحمل معه الأموال والغنائم والسبي . وكان القوم عندما باغتهم خالد بهجومه نياماً في حين كان بعضهم يشرب الخمر ومغنيهم القداح بن وائله ينشد :

الا عللاني قبل جيش ابي بكر	لعل منايانا قريب ولا ندري
الا عللاني بالزجاج وكررا	علي كميت اللون صافية تجري
الا عللاني من سلافة قهوة	تسلي هموم النفس من جيد الخمر
أظن خيول المسلمين وخالداً	ستطرقكم قبل الصباح مع العسر
فهل لكم في السير قبل قتالكم	وقبل خروج المعصرات من الخدر

ويقال ان سيوف المسلمين أسالت دمه في الجفنة التي كان يشرب بها الخمر

وما من ريب ان هذه الصورة توضح الانهيار النفسي الذي اصيب فيه اعداء المسلمين عندما بلغهم وصول طلائع الجيش العربي الاسلامي « بلاد الشام » .

– تابع خالد بن الوليد مسيرته نحو الجنوب فوصل مرج راهط قرب دمشق. وقام بهجوم مباغت على قبائل غسان ، ونجح في تدمير المقاومة التي جابهته وحمل الغنائم والسبي وتحرك متابعاً مسيرته في اتجاه بصرى . وامكن له بذلك شق ثغرة بين القوات المرابطة بقيادة الحارث بن الايهم والتي كانت تعمل على قطع محور تحرك القوات الاسلامية بين جنوب دمشق وشمالها .

دراسة الموقف :

– عندما وصل خالد بن الوليد الى بصرى كانت جيوش المسلمين لا زالت متفرقة وبعض عناصرها قد تجاوزت دمشق وهي على طريق حمص . بينما كانت بقية الجيوش موزعة في الاقاليم المخصصة لها .

– توفرت المعلومات عن تحرك قوات الروم من الشمال على محورين :

١ – محور الساحل ، بقيادة تيودور اخو الملك « ويسميه العرب تذارق » وكانت وجهته فلسطين وقوته ٧٠,٠٠٠ .

٢ – محور الجهد الرئيسي وتتقدم عليه القوة الكبرى من انطاكية ، حمص ، بعلبك – دمشق وكان الهدف الواضح من مخطط الروم هو عزل جيش عمرو ابن العاص في فلسطين وتدميره ، ثم الاحاطة بقوات المسلمين وتدميرها بين المطرقة الجنوبية والسندان الشمالي .

– قرر خالد بن الوليد تجميع القوات بسرعة ، واصدر اوامره للالتقاء بالجولان وخرج مع قوة من الفرسان لسحب القوات المتوغلة في سهول دمشق والسهول الشمالية .

معركة بيت لهيا (١) :

– توفرت المعلومات لدى خالد بن الوليد عن وصول طلائـع جيش الروم الى بيت لهيا بقيادة همذان بن وردان حاكم حمص ، فارسل قـوة للاستطلاع بقيادة ضرار بن الازور ومعه خمسة آلاف فارس .

– اصطدمت قوة ضرار بطليعة جيش الروم ودارت رحى معركة طاحنة في ظروف غير متكافئة ، وقتل همذان بن وردان ، كما اصيب ضرار بن الازور بسهم في عضده ووقع اسيراً في قبضة الروم وتحول الموقف في غير صالح المسلمين ، واخذت قواتهم في التراجع . ولما شهد ذلك رافع بن عميرة الطائي دليل خالد بن الوليد اندفع مع قوة صغيرة وقاتل بعناد لايقاف تقدم جيش الروم ، وكان لهذا الموقف البطولي دوره في تحويل الموقف ، وعادت قـوة المسلمين فنظمت صفوفها وانطلقت في هجومها المضاد ، ونجح الروم في تحطيم الهجوم المضاد وانتهت معركة اليوم الأول دونما نتيجة تذكر .

– علم خالد بن الوليد الموقف الذي تجابهه قوة ضرار ، وبأسر ضرار ، فنظم قوة قادها بنفسه وانطلق الى بيت لهيا .

– دارت معركة اليوم الثاني في ظروف مماثلة لمعركة اليوم الأول ، وامكن لخالد بن الوليد تحقيق انتصارات جزئية كان لها دور في تحطيم ارادة القتال عند الروم ، ووقع بعض الاسرى ، وتوفرت المعلومات من الانصار والاسرى عن توجيه ضرار بن الازور الى حمص مع قوة لحراسته مكونة من مائة مقاتل . فوجه خالد بن الوليد قوة مائة فارس انتخبهم بنفسه وعين لقيادتهم رافع بن عميره ورافقتهم خولة اخت ضرار ، وسارت هذه القوة عبر الطرق الجبلية حتى وصلت سلميه (٢) ، واستعلم عامر ، عن قوة الحراسة الموجهة الى حمص

---

(١) بيت لهيا : قرية في غوطة دمشق اختص اهلها بنحت الاصنام ، وهي بين حموريا وبرزه . معجم البلدان آ ـ ب .

(٢) كان اسمها المؤتفكة ويقال انه اصابها زلزال دمرها ولم يسلم منها سوى مائة – اعادوا تشييد المدينة فاطلق عليها اسم سلم مائة ودمجها العرب باسم « سلمية » .

فعلم انها لم تصل بعد فنصب كميناً واخذ ينتظر ولم تمض سوى فترة قصيرة حتى ظهرت قوة الحراشة ومعها ضرار بن الازور وباغتتها قوة الكمين وامكن لها تدميرها وانتزاع ضرار من قبضتها ثم عادت هذه القوة ، واثناء رجوعها التقت بمجموعات صغرى من الجند الذين رمى بهم خالد بن الوليد الى الهزيمة وارغمهم على ترك ميدان المعركة ، فهربوا في اتجاه حمص ، قاعدة عملياتهم ومركز انطلاق جيشهم ، فتلقتهم قوة رافع وابادت اعداداً كبيرة منهم .

معركة على ابواب دمشق « مرج الصفر » :

– نظم خالد بن الوليد عملية انسحاب القوات من الشمال في اتجاه الجولان، واراد قيادة المؤخرة ، الساقة . لكن ابا عبيدة اقترح قيادتها بنفسه وأقره خالد على ذلك .

– كان حاكم دمشق – بطرس – يراقب الموقف ، وعندما عرف بانسحاب جيش المسلمين اراد الانقضاض عليه من الخلف وتمزيقه . فانطلق بقوة ستة آلاف فارس وعشرة آلاف من جند المشاة .

– لحقت مقدمة جيش بطرس بمؤخرة المسلمين في مرج الصفر واشتبكت قوات الطرفين في معركة غير متكافئة . وانقض « بولص » اخو بطرس على الرتل الاداري وقاد النساء واحمال المواد التموينية وتوجه بها نحو دمشق .

– عرف سهل بن صباح ان نتيجة المعركة لن تكون في صالح ابي عبيدة فانطلق بسرعة الى المقدمة ، وشرح لخالد بن الوليد خطورة الموقف .

– اسرع خالد بن الوليد والفرسان لدعم معركة المؤخرة وتوجه فوراً بحركة التفاف واسعة وصل بها الى خلف المعسكر الذي اقامه بولص ونظم به الحراسة لحماية الغنائم والاسرى من المسلمين .

– كان في اسرى المسلمات : خولة بنت الازور ، وعفرة بنت غفار ، وام ابان بنت عتبه ، وسلمة بنت زراع ، ولبنى بنت حازم ، ومزروعة بنت عملوق وسلمة بنت النعمان .

– عندما توقف « بولص » برتل الغنائم وقفت خولة خطيبة بين المسلمات وطلبت اليهن الدفاع عن شرفهن وشرف العرب المسلمين عن طريق الاسهام في المعركة . ولما لم يكن لديهن سلاح ، حملن اعمدة الخيام وانطلقن في الجند قتلا وهن يرتجزن :

نحن بنـــات تبـــع وحمير   وضربنا في القوم ليس ينـــكر
لاننا في الحرب نار تسعــر   اليوم تسقون العذاب الأكبر

– سقط عدد من جند الروم قتلى بيد النساء وانتزعت النساء السلاح وانطلقن الى القتال ، وقرر بولص القضاء عليهن ، وفي هذه الفترة الحرجة ظهر خالد وجنده واندفع ضرار لانقاذ اخته ، واندفع بقية الفرسان ، وقتلت خولة بولص وعاونها اخوها في ذلك ، وعندما تمت تصفية قوة الحراسة وهرب من استطاع الهرب توجه خالد الى جيش بطرس وباغته بهجومه من الخلف ، وامكن بعد معركة قصيرة وحاسمة تمزيق جيش دمشق ولم ينج من القتال سوى اعداد قليلة . واعيد تنظيم الجيش العربي الاسلامي واستمر في تحركه نحو الجولان .

التجمع في الجولان :

عندما تجمعت القوات بالجولان ، بقيت قوات جيش عمرو بن العاص في مجابهة جيش الروم الزاحف لمجابهته .

كان امام خالد بن الوليد موقف صعب ، فجيوش القوة الرئيسية للروم قد اعادت تجمعها عندما شهدت تجمع قوات العرب المسلمين وتوجهت نحوهم .

وكان عمرو بن العاص يجابه قوة كبيرة ، تستطيع تهديد مؤخرته ، وافاد خالد بن الوليد من الايقاع البطيء في سرعة تحرك خصمه فقرر تصفية الجيش الجنوبي الذي كان يقوده تيودور « تذارق » .

موقعة اجنادين :

– في ٢٨ جمادي الأول سنة ١٣ هـ – ٣٠ تموز ٦٣٤ م . وقعت معركة اجنادين . واجنادين موقع بين الرملة وبيت جبرين من فلسطين .

– عندما بدأ « تذارق » زحفه ، اضطر عمرو بن العاص الى الانسحاب عن بعض المواقع بعد ان كان قد احتل قسماً كبيراً من فلسطين وازال كافة مراكز المراقبة « المسالح » ودمر جميع الحاميات الصغرى ، واستمر في انسحابه حتّى وصل اجنادين وهناك وصلت اليه قوات الجيوش العربية – الاسلامية بقيادة خالد بن الوليد .

– نظم خالد بن الوليد جيشه للمعركة على النحو التالي :

١ – الميمنة بقيادة عبد الرحمن بن ابي بكر .

٢ – الميسرة بقيادة سعيد بن عامر .

٣ – القلب بقيادة معاذ بن جبل .

٤ – الساقة بقيادة يزيد بن ابي سفيان .

– وقسم قوة الفرسان الى مجموعتين : مجموعة بقيادته ومجموعة بقيـــادة شرحبيل بن حسنه .

– حاول تذارق عندما شهد امدادات المسلمين ووصول قوات الدعـــم الدخول في مفاوضات على أمل حمل المسلمين الاكتفاء بالغنائم واعطائهم ما يحتاجونه من اموال وخيول واعادتهم الى الجزيرة ، ورفض خالد العرض المقدم اليه ، كما رفض قبول التحديات والتهديدات التي وجهها تذارق للمسلمين .

– بدأت المعركة عند فشل المفاوضات ، واستهدف المسلمون ابادة العناصر القيادية ، ونجح ضرار بن الازور بقتل حاكم طبريا منذ اللحظات الاولى لبداية القتال ، ثم قتل اصطفان حاكم عمان ، واشتدت المعركة ، وتزايد الموقف خطورة . وانتهت معركة اليوم الاول بسقوط ثلاثة آلاف من جند الروم فيهم

عشرة من القادة والحكام في الاقاليم منهم : دمر حاكم نوى ، وكوكب حاكم البلقاء ، ولاوي بن حنا ملك غزة .

- اراد تذارق نصب كمين لقتل خالد بن الوليد ، فطلب اليه التقدم للتفاوض معه في موقع حدده ، واستطاع خالد بن الوليد الحصول على المعلومات عن مكان الكمين وقوته ، فارسل في الليل عشرة من اشجع قادته ، وتمكنوا من قتل افراد قوة الكمين العشرة واحتلال مواضعهم ، وتقدم تذارق في اليوم التالي الى موضع الكمين وحده وهو يعتقد انه محاط بجنده ، وتقدم خالد - وبعد حوار قصير - امسك تذارق بخالد وطلب الى قوة الكمين الخروج لاخذه وانطلقت قوة الكمين فقتلت تذارق وحملت رأسه والقت به في مقدمة صفوف الخصم وبدأت على الفور معركة ، كانت فيها الروح المعنوية لدى الروم متدهورة بقدر ما كانت ارادة القتال والروح المعنوية للمسلمين عالية ، وامكن تمزيق جيش الروم وهربت فلوله من المعركة فتلقتها قوات الدعم التي كانت تتقدم من الجزيرة العربية . ولم ينج من جيش الروم سوى اعداد قليلة .

ميزان القوى بين جيش الروم وجيش العرب المسلمين في اجنادين		
جيش الروم	٧٠,٠٠٠ روم ١٠,٠٠٠ اهل البلاد	الفارق في ميزان القوى ١ الى ٢ في غير صالح المسلمين
جيش المسلمين	٤٠,٠٠٠	

معركة اليرموك ١٢ رجب ١٣ هـ - ١١ ايلول ٦٣٤ م.

التحرك من الجولان الى اليرموك :

- بعد تصفية جيش تذارق أصبح باستطاعة جيش ابن العاص الانضمام الى بقية قوات المسلمين دونما خوف من خطر التهديد بالتطويق من الخلف . وتجمعت القوات في الجولان .

- عندما عرف هرقل امر تدمير جيش تذارق وتجمع جيوش المسلمين

قرر مجابهة المسلمين بمعركة حاسمة ، فزج قواته وأمر جيوشه للقاء قوات العرب المسلمين .

— امام هذا الموقف عقد خالد بن الوليد مؤتمراً للقادة ، وطرح فيه الموقف للنقاش ، ومر أبو سفيان بن حرب فقال :

(ما كنت أظن أن أبقى حتى أرى أغلمة من قريش يذكرون أمر حربهم ويتذاكرون بما يكيدون به عدوهم في منزلي ولا يحضروني » (١)

وأدخل أبو سفيان بن حرب ، فجلس الى المؤتمرين وقال لهم :

(ان معسكركم هذا ليس بمعسكر — انني اخاف ان يأتيكم اهل فلسطين والأردن فيحولون بينكم وبين مددكم من المدينة فتكونوا بين عسكرهم فارتحلوا حتى تجعلوا اذرعات خلف اظهرهم فيأتيكم المدد والخبر ، واذا قبلتم رأيي فاجعلوا خالداً بن الوليد اميراً على الخيل ومروه بالوقوف بين المعسكرين وبين الخيل فانه سيكون لرحيل العسكر وقت السحر اصوات عالية تحدث لعدوكم فيكم طمعاً فان اقبلوا يريدون ذلك لقيتهم الخيـــول فكفتها وان كانت للخيول جولة دافعت عنها الرماة) (٢) .

نتيجة لدراسة الموقف تقرر الاخذ باقتراحات أبي سفيان بن حرب . ولا ريب ان تجربة خالد بن سعيد وهزيمته كانت ماثلة امام القادة . وصدرت التعليمات بتنظيم الانسحاب تحت حماية المؤخرة بقيادة خالد بن الوليـــد .

طبيعة ارض المعركة :

— نتيجة للهزيمة التي نزلت بجيش الروم في اجنادين ، اصدر هرقل اوامره الى قادته بعدم التوغل في مطاردة قوات العرب المسلمين . وقال لهم :

(انزلوا بالروم منزلاً واسع الطعن واسع المطرد ضيق المهرب) (٣) .

---

(١) و (٢) و (٣) تهذيب ابن عساكر ١٦١/١ .

ووقع اختيار قادة الروم على اليرموك ، وكان اختيارهم للموقع جيداً نظراً لما يتوفر فيه من ميزات دفاعية .

– تمركز جيش الروم في اليرموك والى يمينه نهر الاردن وبحيرة طبريا يحميان جناحه الايمن وبينه وبين المسلمين نهر اليرموك الذي يحمي جبهته اما جناحه الايسر فلا خطر من تطويقه نظراً لتفوق الروم العددي وقدرتهم على زج قوات من اليسار . كما ان قاعدتهم الخلفية مأمونة لاتصالها بقواعد الامداد والتموين في عمق بلاد الشام .

– تمركز جيش الروم في اليرموك فترة شهر كامل ، وهو يجمع المعلومات عن خصمه ويحاول ارهابهم بحرب نفسية عن طريق التظاهر بالغنى والقوة وجودة التسليح وكثرة العدد مقابل قوات محرومة من كل وسائل الترف ، ينقصها التسلح الجيد وهي في قوة عددية ضعيفة .

عندما نزل الروم في اليرموك ، درس عمروبن العاص طبيعة الارض وامكانية الافادة من ميزاتها وعندما شهد ميدان القتال محدداً ومحصوراً من اتجاهين قال :

(ابشروا حصرت الروم وقل ما جاء محصور بخير) (١) .

ميزان القوى – ومخططات الطرفين :

لم تكن قوى جيش الروم والمسلمين في اليرموك متعادلة وكان ميزان القوى كالتالي :

جيش الروم	جيش المسلمين	ميزان القوى	السلاح	ملاحظات (٢)
٢٤٠,٠٠٠	٣٨,٠٠٠	١/٦ تقريباً لصالح الروم	كان فرسان الروم ٨٠,٠٠٠ وكان فرسان المسلمين ١٠,٠٠٠ فتكون نسبة التفوق بالقوة الضاربة واحد لثمانية ١/٨ لصالح الروم	

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١٧٢/١ .

(٢) هناك اختلاف في الارقام الا ان هناك شبه اتفاق على ان هذه الارقام اقرب ما تكون الى الدقة ، والاختلاف ناتج عن الفرق بين تحرك القوات من الجزيرة ، ثم وصول قوات الدعم بعد ذلك على موجات متتابعة .

– وهكذا كانت نسبة تفوق الروم واحد لستة في مجموع الجيش وواحد لثمانية في سلاح الفرسان .

– كان جيش الروم بطيء الحركة مثقلاً بذيله الاداري . اما جيش المسلمين فكان يتميز بالمرونة وخفة الحركة ويظهر ذلك واضحاً من خلال تقدمه الى اجنادين وقضائه على جيش تذارق والعودة الى الجولان ، ثم التحرك الى اليرموك قبل ان ينهي جيش الروم تحركه وحشد قواته .

– كانت الروح المعنوية لجيش الروم سيئة مما حفز القادة الى تقييد جندهم بالسلاسل خوفاً من الهرب ، فكانوا يقيدون كل عشرة بقيد واحد . وكانت الروح المعنوية للمسلمين في الذروة نتيجة لايمانهم بالهدف الذي يقاتلون من اجله ولثقتهم الكبرى بقادتهم ، ولشعورهم بالتلاحم . كما كان للانتصارات السابقة دور في تعزيز شعور الثقة بالنفس والقدرة على مجابهة الخصم .

– خلال توقف جيش الروم باليرموك ، درس خالد بن الوليد تنظيم قوات خصمه ووجد ان هناك ثغرة كبيرة في تنظيم قتال المسلمين وهي خوض المعركة بشكل مستقل ، بحيث ان كل جيش يخوض المعركة وحده وينسق القادة مواقفهم تبعاً للموقف ، واراد خالد صهر الجيش في تنظيم واحد فطلب الى قادة الجيوش عقد مؤتمر وحضر القادة : ابو عبيدة بن الجراح ، يزيد بن ابي سفيان ، شرحبيل ابن حسنه ، عمرو بن العاص ، ووقف ابن الوليد يحدثهم :

(ان هذا اليوم له ما بعده ، ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبية وانتم متساندون فان ذلك لا يحل ولا ينبغي .

... انا ان رددناهم الى خندقهم اليوم لم نزل نردهم ... وان هزمونا لم نفلح بعدها ... فهلموا فلنتعاور الاماره .. فليكن بعضاً اليوم والآخر غداً ، والآخر بعد ذلك حتى تتأمروا كلكم – ودعوني اتأمر اليوم ..) (١)

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٩٤ والتاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٢٨١ .

– ووافق المؤتمرون على اقتراح خالد بن الوليد بالغاء نظام التساند واتباع نظام التعبئة .

– كان جيش الروم في اليرموك بقيادة تذارق فلفع مقدمة له بقيادة البطريق جرجيوس « جرجه » . اما جناحي الجيش فكانا بقيادة باهان والدراقص .

– نظم خالد بن الوليد جيشه فجعله ٣٨ كردوساً (١) وزعها كالتالي :

١٠ – عشرة كراديس في كل جناح من الجناحين الايمن والايسر .

١٨ – ثمانية عشر كردوساً في القلب .

– اختار خالد بن الوليد لقيادة الكراديس كبار قادته واشجعهم ممن صهرتهم تجارب الحرب امثال : القعقاع بن عمرو، وضرار بن الازور ، وعكرمة بن ابي جهل ، ومذعور بن عدي ، وعياض بن غنم ، وهاشم بن عتبه ، وزياد بن حنظله .

– وضع خالد المقدمة بقيادة قباث بن اشيم .

– كلف خالد بن الوليد لقيادة الميمنة شرحبيل بن حسنه وعمرو بن العاص.

– الميسرة بقيادة يزيد بن ابي سفيان .

– القلب بقيادة ابو عبيده بن الجراح .

– وضع معسكر النساء خلف التنظيم القتالي واسندت اليه واجبات :

١ – رعاية الجرحى .

٢ – عدم السماح لاحد بالتراجع .

– عندما انتهى التنظيم ، وتم الاستعداد للقتال ، وقف مقاتل ينظر جيش الروم وقال :

---

(١) كراديس جمع كردوس : وقد تكون محرفة من الكلمة الرومانية Kortis وتتراوح قوتها بين ٥٠٠ و ٦٠٠ مقاتل .

(ما اكثر الروم واقل المسلمين) فانتهره خالد بقوله :

(بل قل ما اكثر المسلمين واقل الروم – انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان) (١) .

– عندما انتهى التنظيم لاحظ خالد بن الوليد قلة عدد فرسان المسلمين بالنسبة لخصمهم فقرر تعديل مخططه وتقدم من ابي عبيده وقال له :

(ان هؤلاء قد اقبلوا بعدة ولهم زجل وفرح وان لهم حملة لا يردها شيء وليست خيلي بالكثيرة ولا والله لاقامت خيلي لشدة خيلهم ورجالهم ابداً وقد رأيت ان افرق خيلي فأكون في احدى الخيليين وقيس بن هبيره في الخيل الاخرى ثم تقف خيلنا من وراء الميمنة والميسرة فاذا حمل الناس ثبت الله اقدامهم وان تكن الاخرى حملت خيولنا عليهم وهي حامية وتكون الاعداء قد انتهت شدتهم وتفرقت جماعتهم فاطلق الاعنة عند ذلك الى ان يظفرنا الله بهم ويجعل الدائرة عليهم وقد رأيت ان يجلس سعيد بن زيد مجلسك هذا ويقف من ورائه وبحذائه مائتان او ثلاثمائة يكونون للناس ردءاً) (٢) .

– واقر ابو عبيدة خالد على اقتراحه جاءت الخطة النهائية كالتالي :

– المشاة على ثلاثة انساق مهمتها تحطيم حدة هجوم العدو ويدعم كل نسق النسق الذي يتقدمه .

– قوة الفرسان على مجموعتين بواجب حماية الاجنحة وسد الثغرات ، وتتمركز خلف الاجنحة .

– تكوين قوة احتياطية واجبها دعم محور ثقل الهجوم ، وسد الثغرات ومجابهة الطوارىء والقيام بالهجوم المضاد .

---

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٢٨١ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ١/١٦٤ .

– وقرر خالد بن الوليد في تعديل خطته مبدأين رئيسيين ؛ :

١ – فصل الفرسان عن المشاة وضرب كل طرف بمعزل عن دعم الطرف الآخر .

٢ – ترك العدو يتقدم حتى تتحطم قوة هجومه ثم يقوم الفرسان المسلمون بالهجوم المضاد .

– انهى خالد استعداده للمعركة بسرعة ، واستطاع القادة تفهم مبررات هذا التنظيم وعرف كل مقاتل الاسلوب الجديد للقتال . وكيفية خوض المعركة واصبح قادراً على مجابهة جيش الروم في كل وقت .

– اراد جيش الروم ان يبذل محاولة اخيرة لتجنب القتال ، وارسل يطلب وفداً لمفاوضته وجرت لقاءات تخللتها احاديث فيها الترغيب وفيها التهديد ، ومحاولة اخضاع المفاوضين لحرب نفسية ، الا ان ايمان المفاوضين وقادة المسلمين كان اقوى من التهديد ، كما كانت المغريات التي قدمت لهم دون مطامحهم في نشر الاسلام وازالة امبراطوريتي الروم والفرس .

الاستعداد للمعركة – وتنظيم التعاون :

– انصرف قادة جيوش الروم لتنظيم قواتهم ، وانطلق البطارقة يذكون الحماسة في صفوف المقاتلين ويحاولون رفع روحهم المعنوية ، ويطالبونهم الدفاع عن دينهم .

وفي الوقت ذاته كان قادة جيوش المسلمين يعيدون تنظيم قواتهم وفقاً للمخطط الموضوع ويتفقدون قواتهم ويثيرون حماستها للقتال ، فوقف معاذ بن جبل في ميمنة المسلمين يقول لهم :

(يا معشر المسلمين – ان اعداءكم قد تهيأوا للشدة ولا والله لا يردهم الا الصدق عند اللقاء والصبر عند القراع) .. ثم نزل عن فرسه وقال :

(من يريد فرساً يركبه ويقاتل عليه) .



نهر الأردن
بحيرة طبرية
قلعة الحصن
فيق
الواقوصة
نهر اليرموك
فرسان
خالد بن الوليد
نهر الرقاد
حوران

فوثب ابنه عبد الرحمن وكان غلاماً لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمـــره فقال :

(يا ابه – إني لأرجو الا يكون فارس اعظم غناء عن المسلمين مني فارساً – وانت يا ابه – راجلاً اعظم منك فارساً – الرجالة هم عظم المسلمين – فاذا رأوك حافظاً مترجلاً – صبروا ان شاء الله وحافظوا). فاجابه ابوه: **(وفقني الله واياك يا بني)** . وتابع معاذ بن جبل تجواله على قوات المسلمين وهو يردد :

(اللهم زلزل اقدامهم – وانزل علينا السكينة – وألزمنا كلمة التقوى ، وحبب الينا اللقاء ورضنا بالقضاء » (١) .

– انطلق ابو عبيده بن الجراح يتفقد قوات الاجنحة بصورة عامة وقوات القلب بصورة خاصة ووقف فيهم خطيباً يقول :

(عباد الله – انصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم – يا عباد الله – اصبروا فان الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب ومدحضة للعار ، ولا تتركوا مصافكم – ولا تخطوا اليهم خطوة – ولا تبدأوهم بالقتال – وأشرعوا الرماح – واستتروا بالدرق – والزموا الصمت إلا من ذكر الله عز وجل في انفسكم حتى يتم امركم ان شاء الله) (٢) .

– وكان عمرو بن العاص يمر بالكراديس ويتفقدها ليعطيها تعليماتـــه ويقول لها :

(ايها المسلمون – غضوا الابصار – واجثوا على الركب – واشرعوا الرماح، فاذا حملوا عليكم فامهلوهم حتى اذا ركبوا اطراف الاسنة فثبوا في وجوههم وثبة الاسد – فوالذي يرضى الصدق ويثيب عليه ويمقت الكذب ، ويجزي بالاحسان احساناً ، لقد سمعت ان المسلمين سيفتحونها كفراً كفراً وقصراً

---

(١) و (٢) ص ١٦٢ – تاريخ ابن عساكر .

قصراً ، فلا يهولنكم جموعهم ولا عددهم فانكم لو صدقتموهم الحملة تطايروا تطاير اولاد الحجول) (١) .

– تطوع ابو سفيان بن حرب للقيام بجولة على صفوف المسلمين بهدف رفع روحهم المعنوية وهو الشيخ الطاعن في السن . فاذن ابو عبيده له بذلك . وسار ابو سفيان بين جموع المقاتلين وهو يخطب فيهم فيقول :

(يا معشر المسلمين ، انتم العرب وقد اصبحتم في دار العجم منقطعين عن الأصل تأثيراً من امير المؤمنين وامداداً لله ، وقد وقد اصبحتم والله بازاء علو كثير عدده شديد عليكم حنقه ، وقد وترتموهم في انفسهم وبلادهم ونسائهم ، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم اليوم ، ولا تبلغوا رضوان الله غداً . الا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة ، الا انها سنة لازمة – وان الارض وراءكم ، بينكم وبين امير المؤمنين وجماعة المسلمين صحاري وبراري ليس لأحدٍ فيها معقل ولا معقول الا الصبر ، ورجاء ما وعد الله – فهو خير معقول فامتنعوا بسيوفكم وتعاونوا بها ، ولتكن هي الحصون) (٢)

– ثم انطلق ابو سفيان وتبعه خالد الى معسكر النساء المسلمات وقد القيت امامه الحجارة وقال للنساء :

(لا يرجع اليكن احد من المسلمين الا رميتموه بهذه الحجارة – وقلن له – من يرجوكم بعد الفرار عن الاسلام واهله – وعن النساء وهن امام العدو) .

ثم قال لهن خالد :

(يا نساء المسلمين – اي رجل اقبل اليكن منهزماً فاقتلنه) (٣) .

---

(١) ص ١٦٣ – تاريخ إبن عساكر .
(٢) ص ١٦٢ – التاريخ الكبير لابن عساكر .
(٣) ص ١٦٣ – التاريخ الكبير لابن عساكر .

سير الاعمال القتالية :

— لم يكن الروم قد استوعبوا عمق جذور الدين الاسلامي في نفوس المقاتلين المسلمين ، ولا عرفوا ابعاد طموح القادة المسلمين ، فظنوا ان القضية ، ليست اكثر من قضية مادية دفعت الاعراب للقيام بالغزو على عاداتهم القديمة . ولهذا فانه ما ان انتظمت الصفوف حتى برز قائد جيوش الروم ماهان وطلب الاجتماع بخالد بن الوليد وعندما تم الالتقاء ابتدأ ماهان حديثه بقوله :

لقد علمت ان الذي اخرجكم من بلادكم غلاء السعر وضيق الامر بكم ، واني قد رأيت ان اعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وراحلة ، تحمل حملها من الطعام والكسوة والادم « الجلود » فترجعون بها اهاليكم ونحن نعين لكم هذا في هذه المرة — فاذا كان من قابل بعثتم الينا فبعثنا اليكم بمثله ، وانا قد جئناكم ومعنا من الجيوش والعدد ما لا قبل لكم به) .

فقال له خالد :

(ما اخرجنا من بلادنا جوع ولا ضيق امر ولكنا معشر العرب نشرب الدماء فقيل لنا ان لا دم احلى من دم الروم ، فاقبلنا نهرق دماءكم ونشربها) .

وخرج خالد في اتجاه معسكره ، وعاد ماهان الى جنوده استعداداً لبدء المعركة .

— لم يدخل اليأس قلوب الروم ، فارادوا اتباع وسيلتهم التقليدية في التفريق والتجزئة وضرب العرب بعضهم ببعض فسيروا جبله بن الايهم الغساني ومعه قبائل لخم وجذام وبلقين وبلى وعاملة ، وهي من العرب المستعربة المنتسبة الى قضاعة وغسان . وقد حاول خالد بن الوليد والقادة المسلمين اكتساب هذه القبائل وضمها الى صفوف ابناء عمومتهم من العرب المسلمين ، الا ان جبله استمر في عناده ، وصمم على قتال جيوش المسلمين واراد خالد بن الوليد الحفاظ على قوة المسلمين من اجل المعركة الفاصلة مع الروم فاقترح تنفيذ ما يلي:

(القيام باغارة على جيش جبله بن الايهم ومن معه من جنود ارمينيا وقوتهم تقارب العشرين الفاً بقوة صغيرة ، فاذا امكن هذه القوة ايقاع الهزيمة بجبله وجنوده ، تكون قوة المسلمين قد بقيت سليمة وعلى استعداد للمعركة الفاصلة ، اما اذا هزمت فلايقال بان الهزيمة قد وقعت بجيش المسلمين مما قد يسيء الى روحهم المعنوية) .

– وافق ابن الجراح على مخطط خالد ، وتطوعت مجموعة – تقول بعض المصادر انها لا تزيد على سبعين رجلاً – وتقدم خالد بالمتطوعين الفرسان حتى معسكر جبلة بن الايهم ، وظن جبلة ان هذه المجموعة قد جاءت للمفاوضة ، الا ان قوة الاغارة اشهرت سيوفها وبدأت معركتها ، ولم تمض سوى فترة قصيرة حتى انجلى الموقف عن انتصار فرسان المسلمين وهزيمة جيش جبلة بن الايهم ، وكانت خسائر فرسان المسلمين قليلة زهيدة

– بدأ الروم هجومهم الرئيسي مع اول ضوء من يوم ١٢ رجب للسنة ١٣هـ. على النحو التالي :

– **معركة الجناح الايمن** – اندفع ماهان على رأس جيشه موجهاً الضربة الرئيسية الى الجناح الايمن للقيام بحركة استدارة واسعة وتطويق جيش المسلمين ، وتصدى جنود المشاة للهجوم وقاوموا زحف الروم مقاومة باسلة ، الا ان التفوق العددي للروم ساعدهم على ممارسة ضغط قوي اضطرت معه قوات الجناح الايمن ان تتراجع عن مواقعهـــا في اتجاه القلب ، لكن ثبات الحجاج بن عبد يغوث في مواقعه اثار حمية قبائل حمير وحضرموت وخولان ، فعاودت هجومها والالتفاف حول بقية جنود الميمنة ، وانطلق ابو هريرة من اصحاب الرسول يقاتل بشجاعة ومعه مجموعة من الأزد فيثير الحماسة واستطاع المقاتلون تكوين حلقة احاطت بالمتسللين من الروم واستمر القتال بعناد وضراوة بعد ان اختلط مقاتلو جناح الميمنة بمقاتلي القلب .

– **معركة الجناح الايسر** – عندما اندفع ماهان في هجومه على جناح المسلمين الايمن اصدر اوامره الى قادته بالهجوم على الجناح الايسر للمسلمين لاحكام الطوق وعزل المسلمين . وطلب قناطر من جرجرين قائد جنود ارمينيا البدء بالهجوم ، الا أن جرجرين رفض البدء بالهجوم وطلب الى القناطر أن يبدأ هو بالهجوم ، وطال الجدل وكل يدعو الآخر للتقدم ، واخيراً اتفقا على الهجوم بصورة مشتركة ، واندفعت قوات الجيشين في مجابهة الجناح الايسر ، وصمد جنود المسلمين وتحطمت الموجات الاولى من جنود الروم أمام مواقع المسلمين ، وهنا ايضاً استطاع التفوق العددي ان يفرض وجوده فتراجع الجناح الايسر ، الا ان حملة الرايات والشجعان من المسلمين ثبتوا في مواقعهم يقاتلون ويقتلون واندفع الروم من الثغرة التي احدثوها ووصلوا الى ما وراء جنود المسلمين وفر بعض ممن لم تكن لهم طاقة على الصمود فاستقبلتهم النسوة وأرغمتهم على معاودة القتال .

– **معركة القوة الاحتياطية** – اختار سعيد بن زيد ثنية من ثنايا الأرض ، ووزع المقاتلين الذين بقيادته من افراد القوة الاحتياطية ، وكمنت هذه القوة بعد أن أجادت التمويه ، وعندما نجح الروم باختراق الجناحين الايمن والايسر وتقدمت قواتهم لتطويق المسلمين اندفع سعيد بن زيد وقوته الاحتياطية وقاتل بعناد وشجاعة واستطاعت هذه القوة الصغيرة الصمود بشجاعة أمام تفوق الروم ، وانضم يزيد بن ابي سفيان ومعه مجموعات من المقاتلين فدعموا القوة الاحتياطية وكذلك فعل شرحبيل بن حسنه واستمرت القوة الاحتياطية في تراجعها امام ضغط جيش الروم حتى كاد ينكشف قلب جيش المسلمين .

– **معركة الفرسان** – وقف خالد بن الوليد على رأس مجموعة من الفرسان خلف الجناح الايمن يرقب تطور المعركة ، ولما شاهد بعض فرسان الروم وقد نجحوا في اختراق ثغرة بين صفوف المسلمين انطلق للمعركة ونجح في ايقاف كل تقدم نحو القلب ، وفي هذه الفترة وصله مراسل من قيس بن هبيره قائد

مجموعة الفرسان المتمركزة خلف الجناح الايسر يعلمه فيها نجاح الروم في اختراق الجناج الايسر ، واندفع خالد لدعم قيس واستطاع الفرسان التصدي لفرسان الروم وكانت معركة ضارية سقط فيها من فرسان الروم ما يزيد على ستة آلاف فارس .

– **معركة النساء** – نجح فرسان الروم في اختراق الاجنحة وتراجع بعض المسلمين فانطلقت جموع النسوة ترميهم بالحجارة وتردعهم عن التراجع وتستثير حماستهم ، وهن يقلن باصوات تشق عنان السماء :

(اين اين عز الاسلام والامهات والأزواج) .

كانت ابنة ابن العاص تقود جموع النساء ، وتصرخ بالمتراجعين من المسلمين وهي تقول :

(قبح الله رجلاً يفر عن حليلته ، وقبح الله رجلاً يفر عن كريمته) .

فتنطلق معها اصوات المسلمات وهن ينشدن :

(والله لستم بعولتنا ان لم تمنعونا) .

ووصل فرسان الروم حتى معسكر النساء ، فانطلقت مجموعات النساء المؤمنات للقتال بالحجارة وانتزعن عمد الخيام يقاتلن بها فسقط عدد من جنود الروم حتى ان ام الحكيم بنت الحارثة بن هشام قتلت وحدها ستة فرسان من الروم .

– شهد ابو عبيده الموقف في تدهور فاستحث قادته على الصمود ، وشهد المسلمون استبسال النسوة ، واذا بالعباس بن سهل بن سعد الساعدي يثور بعد ان وصل في تراجعه حتى معسكر النساء فيصرخ :

يا هاربا عن نسوة ثنيات فعن قليل ما ترى سبات
ولاخطيئات ولا رصينات –

ويندفع مع مجموعة من المقاتلين فيستطيع تفريق مجموعات كبيرة من جنود الروم .

الهجوم المضاد :

– لاحظ قادة المسلمين ان حدة هجوم العدو قد تحطمت ، وان التعب قد نال من خصومهم فانطلقت الاصوات تستثير الهمم . فهذا صوت ابو سفيان ابن حرب يمسك راية ابنه ويقول بصوت ملجلج اهتزت له صفوف المسلمين :

(يا نصر الله اقترب – الثبات – الثبات – يا لمعشر المسلمين) .

وتجيبه اصوات المسلمين : لبيك اللهم لبيك .

– ويندفع فرسان المسلمين بقيادة خالد بن الوليد وقد اوشكت الشمس على المغيب للقيام بالهجوم المضاد وطرد جنود الروم ، وتبدأ مجموعات جنود المسلمين بالتلاحم والانتظام في صفوف متراصة لدعم الفرسان ، ويشاهد خالد بين الفرسان مقاتلاً اظهر من الصبر والشجاعة حداً كبيراً ، فيرغب بمعرفته ولم يكن هذا الفارس سوى خولة بنت الازور التي علمت بوقوع اخيها ضرار اسيراً بيد الروم فخرجت بحثاً عنه . ووعدها خالد ان يقدم كل عون . استمرت المعركة حتى ما بعد غروب الشمس ، الا ان الروم ارغموا في نهاية الامر على الانسحاب من معسكر المسلمين .

الكمين :

ما ان تم تطهير معسكر المسلمين من جنود الروم حتى انصرف القادة الى اعادة تنظيم قواتهم ومتابعة القتال ووضع خالد بن الوليد مخططه وبدأ تنفيذه على الفور :

– أمر خالد بن الوليد مفارز من جنوده باشعال النار الكبيرة على محور الطريق وحتى نهر اليرموك ، ووزع قواته على شكل كمين يحتل المرتفعات . ويمتد حتى اطراف وادي اليرموك ، ثم اندفع بقوة صغيرة الى داخل معسكر الروم على شكل اغارة مباغتة واشتباك مع فرسان الروم ثم تظاهر خالد بن الوليد بالفرار وتبعه فرسان الروم وبذلك فصل فرسان الروم عن جنود مشاتهم . واخذ

الفرسان المسلمون ينطلقون من كمائنهم فيعملون في فرسان الروم تقتيلاً وابادة حتى تم لهم القضاء على القسم الاكبر منهم ، ولاذت مجموعات صغيرة بالفرار على غير هدى .

- انطلق جنود المسلمين يقاتلون جنود الروم المقيدين بالسلاسل ، ويتراجع المسلمون حسب المخطط الموضوع حتى حافة الوادي ، وكان القضاء على واحد او اثنين من الجنود عند وصولهم حافة الوادي كافياً لاسقاط مجموعة العشرة بكاملهم في الوادي . واخذ جنود الروم يتساقطون مجموعة بعد اخرى حتى سقط منهم في الوادي ثمانون الف قتيل . واخذت المجموعات الباقية تلوذ بالفرار .

عندما اشرقت شمس اليوم التالي ، كان الروم قد اخلوا ميدان القتال وانسحبوا على شكل مجموعات صغيرة .

- كان عدد الذين سقطوا في الوادي ثمانين الفاً ، وحمل الوادي منذ ذلك التاريخ اسم الواقوصة .

- اصدر خالد بن الوليد اوامره باعادة التنظيم ووجه مفارز صغرى لمطاردة فلول المنسحبين . وامكن قتل ٤٠,٠٠٠ من الروم خلال مرحلة الانسحاب .

وكانت نتيجة المعركة من القتلى :

١٢٠,٠٠٠ من جيش الروم .

٣,٠٠٠ من جيش المسلمين فيهم خيرة الصحابة من انصار ومهاجرين .

• • •

من ادب الحرب

القعقاع بن عمرو - واليرموك (١)

ألم ترنا على اليرموك فزنـــــا	كما فزنا بأيـــام العـــراق
فتحنـــا قبلهـــا بصرى وكانت	محرمة الجناب لدى التـلاقي
وعـــذراء المدائن قد فتحنـــا	ومرج الصفرين عـلى العتاق
قتلنا من أقـام لنـا وفئنـــا	لهامهم بأسيـاف رقـــاق
قتلنا الروم حتى مـــا تســـاوى	على اليرموك معـروق الوراق
فضضنـــا جمعهـــم لما استحالوا	على الواقوصة البتـــر الرقاق
غداة تهافتـــوا فيها فصـــاروا	الى أمر يعضـــل بالـــذواق

التحرك من اليرموك الى دمشق :

- انتهت معركة اليرموك بفشل الروم ، وانتقل هرقل من القدس الى حمص ليتابع منها توجيه القوات ضد العرب المسلمين .

- توفرت الاخبار عند ابي عبيده بن الجراح عن تجمع الروم بفحل ، ووصول قوات دعم جديدة من حمص الى دمشق ، وكتب الى الخليفة ابي بكر يشرح الموقف ويطلب توجيهاته .

- بناء على أمر الخليفة أبي‌بكر ، استخلف ابو عبيده على اليرموك بشير بن كعب الحميري ، ووجه قوة قتالية لحصار الروم في فحل ونظم قوته للمسير .

- عندما وصلت قوات المسلمين الى دمشق ، دفع خالد بن الوليد مجموعتين قتاليتين من الفرسان بمهمة عزل دمشق ومجابهة قوات الروم وقطع امداداتهم عن دمشق ، وكانتا كما يلي :

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١/١٧٤

١ – المجموعة الاولى بقيادة ذي الكلاع – ما بين دمشق وحمص .

٢ – المجموعة الثانية بقيادة علقمة بن حكيم – ما بين دمشق وفلسطين .

– ثم قام خالد بن الوليد بتنظيم الحصار على دمشق كالتالي :

– قطاع الباب الشرقي بقيادة خالد بن الوليد .

– قطاع باب الجابية بقيادة ابي عبيدة بن الجراح .

– قطاع باب توما : بقيادة عمرو بن العاص .

– قطاع باب الفراديس بقيادة شرحبيل بن حسنة .

– قطاع الباب الصغير « كيسان » بقيادة يزيد بن ابي سفيان .

– ونظم خالد بن الوليد مجموعات مقاتلة من الفرسان بمهمة التجول باستمرار. والمرور على القطاعات وتقديم الدعم عند وقوع معركة في قطاع من القطاعات .

– كان الروم قد وعدوا اهل دمشق بتقديم الدعم ، فتمركز المقاتلون عند الاسوار ونظموا الدفاع عن المدينة ، ولما اطبقت قوات المسلمين ارسل حاكم دمشق طلباً الى الروم يستنجد بهم ، وارسل هرقل قوة من الفرسان ومعها امدادات لاهل دمشق وتصدت لها فرسان ذي الكلاع على بعد مسيرة يوم شمال دمشق ، ووقعت معركة قصيرة وحاسمة انتهت بهزيمة قوة الروم وفرار من استطاع الفرار في اتجاه حمص وغنم ذو الكلاع الامدادات التي كانت مع الروم .

الحصار – والقتال حول دمشق :

– لم يكن حاكم دمشق يتوقع استمرار الحصار ، لا سيما وقد اقبل الشتاء ، الا ان قوات المسلمين جابهت قسوة الطبيعة بصبر ، وصمدت لمقاومة الروم .

– نصب المسلمون المنجنيق ، واستمر الرمي والقتال من فوق الاسوار فترة (٧٠) يوماً . وحدثت خلالها بعض المعارك الدامية عندما قام حاكم دمشق بتنظيم اغارات مباغتة بقوات كبيرة على معسكر العرب المسلمين ، لكن العرب

المسلمين جابهوا هذه التحديات بعناد ، ونجحوا في الحاق الخسائر الفادحة بقوات هذه الاغارات ، حتى اصيب جيش دمشق بالضعف والتخاذل لا سيما بعد أن طال أمد الحصار ولم تصل قوات دعم او امدادات الى اهل المدينة كما كان متوقعاً .

فتح دمشق – رجب سنة ١٤ هـ (١) :

– عندما كان جيش العرب المسلمين يحكم الحصار على دمشق ، كانت المفارز القتالية تنطلق لفتح القرى والمناطق المحيطة بدمشق . وهذا ما وضع جيش دمشق في عزلة تامة عن كل امكانات الدعم والامدادات .

– في ليل من ليالي شهر رجب سنة ١٤ هـ . احتفل اهل دمشق بمناسبة قدوم مولود لحاكم المدينة ، وكان خالد بن الوليد يراقب بيقظة وحذر كل تصرف لعدوه ، وكان قد اعد العدة واحضر التجهيزات الضرورية لتسلق الاسوار .

– ثم تقدم خالد بن الوليد مع منتصف الليل وبعدما عرف ان اهل المدينة ومقاتلوها قد انصرفوا عن المراقبة وشغلوا بامورهم فنصب السلالم والحبال وتساق حتى وصل اعلى السور ولحق به بعض المقاتلين الاشداء امثال القعقاع بن عمرو ومذعوربن عدي ونجحت هذه القوة الصغيرة بفتح باب توما مع اول ضوء بفضل المساعدة التي لقيتها المسلمون من الانصار واندفع المسلمون وتصدى لهم الروم فقاتلوهم ، لكن المقاومة لم تلبث ان تمزقت امام موجات العرب المسلمين المندفعة باستمرار في اتجاه قلب المدينة .

– في تلك الفترة ، وعندما شعر اهل دمشق بالنهاية الحتمية تقدم حاكم دمشق وقادتها الى باب الجابية ، وطلبوا من ابي عبيدة بن الجراح عقد صلح

---

(١) يحمل كتاب الصلح بين أهل دمشق وبين خالد بن الوليد تاريخ شهر ربيع الآخر سنة ١٥ هـ . وهذا التاريخ هو غير تاريخ فتح دمشق . وانما وضع التاريخ في وقت لاحق بعد الفتح – وبعد موافقة الخليفة عمر على امضاء الصلح . فتوح البلدان – البلاذري – ١٢١ .

معهم . ووافق ابن الجراح ، وفتحت الابواب واندفعت موجات المقاتلين عبر دروب المدينة . وفي منتصف المدينة وعند المقسلاط ، او البريص ، وهو سوق النحاسين التقت قوات خالد بن الوليد التي دخلت دمشق حرباً وقوة ابي عبيدة التي دخلت دمشق سلماً . وتوقف القتال وتقرر تحكيم الخليفة عمر فوافق على عقد الصلح مع اهل دمشق .

ـ خلال فترة الحصار وصل كتاب الى ابي عبيدة من عمر بن الخطاب يعلمه بوفاة ابي بكر وينعيه للمسلمين ويعلمه بتوليه الخلافة . وكان نص الكتاب يتضمن عزل خالد بن الوليد وتولية ابي عبيدة القيادة العامة لكن أبا عبيدة كتم الأمر حتى تم فتح دمشق . ثم استمر في كتمانه حتى علم خالد بالأمر من الجماهير فجاء أبا عبيدة مستوضحاً واعلمه بحقيقة الامر ، وقبل خالد الامر بروح من الفروسية ونكران الذات .

ـ كان اول عمل قام به الخليفة عمر هو تنظيم جيش لدعم المقاتلين وتعويض الخسائر ، وارسله الى دمشق بعد ان كتب الى امراء الاقاليم وقادة الجيوش بابدال كل من يرغب . ولهذا سمي الجيش بجيش البدال .

ـ وكان اول عمل قام به أبو عبيدة بن الجراح هو تعويض جيش العراق واكماله من المقاتلين في جيش البدال وتوجيهه الى العراق بناء على امر الخليفة عمر من اجل دعم سعد بن ابي وقاص . وكان هذا الجيش بقيادة هاشم بن عتبة بن ابي وقاص ، ودفع هاشم ، القعقاع بن عمرو مقدمة له وتوجه الى القادسية .

ـ انصرف ابو عبيدة بن الجراح لتنظيم العلاقات العامة في المجتمع الجديد ، واقام في دمشق الفترة الضرورية لاعادة تنظيم الجيش ، وتنظيم شؤون دمشق ، ثم استخلف يزيد بن ابي سفيان على دمشق وانطلق مع بقية الجيوش الى فحل .

من ادب الحرب

القعقاع بن عمرو وفتح دمشق(١) :

اقمنا على داري سليمان اشهـــراً بخالد روما قد حملنا بصارم (٢)

قصصنا الى الباب العراقي عنـوة فدان لنا مستسلماً كل قـائم (٣)

اقول وقد دارت رحانا بدارهـم اقيموا لهم حر الورى بالغلاصم (٤)

فلما زأدنا في دمشق نحورهـــــم وتدمر عضوا منهما بالاباهم (٥)

وقال ابو بجيد نافع بن الاسود :

فسائل بناسيطاس والروم حولـه غداة دمشق والحروب بها تجري (٦)

ينبوك ان في الحروب مصالـب نسيل اذا جاش الاعاجم بالثغر (٧)

بقوم تراهم في الدهور اعـــزة لهم عرض ما بين الفرائض والوتر (٨)

ابى الله الا ان عمرا بنا همـــوا قوائم حرب لا تلين ولا تجري (٩)

---

(١) تهذيب ابن عساكر ١٠٦/١ .

(٢) داري سليمان – تدمر ودمشق – كانا دارين لسليمان بن داوود .

(٣) المعنى : توجهنا الى الباب الشرقي الذي يسار منه الى العراق وفتحناه عنوة .

(٤) الحديث موجه الى نساء العدو « اقيموا لهم حر الورى بالغلاصم » اجعلوا لرجالكم المداري به برأس حلقومهم لجبنهم او خوفهم من الحرب .

(٥) زأدنا : أفزعنا .

(٦) سيطاس : اسم قائد جند الروم في المعركة .

(٧) نسيل : نندفع كالسيل . اذا جاش الاعاجم بالثغر : اذا احتشدوا للقتال .

(٨) بمعنى يتصرفون برقاب اعدائهم كما يشاؤون . والفرائص : عصب الرقبة وشرايينها .

(٩) أبى الله الا ان يبتليهم بعمر بن الخطاب للايذان بحرب مستمرة .

يوم فحل « بيسان » :

– انتهت معارك الجنوب ، وكانت معركة اليرموك الحاسمة بمثابة الضوء الاخضر لانطلاقة جيوش المسلمين نحو اهدافهم الجديدة ، وكانت هناك قوة كبرى قد تجمعت في فحل ووقع ابو عبيدة في حيرة من امره ، هل يبدأ بتصفية آخر جيوب المقاومة في الجنوب ام يندفع نحو الشمال لحصار دمشق ، وارسل الى الخليفة عمر يستشيره فارسل له الخليفة امر العمليات :

١ – اما بعد فابدؤوا بدمشق فانهدوا لها فانها حصن الشام وبيت مملكتهم .

٢ – واشغلوا عنكم اهل فحل بخيل تكون بإزائهم في نحورهم . واهل فلسطين واهل حمص .

٣ – فان فتحها الله قبل دمشق فذاك الذي نحب .

٤ – وان تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق ، فلينزل بدمشق من يمسك بها ودعوها وانطلق انت وسائر الامراء حتى تغيروا على فحل .

٥ – فان فتحها فانصرف انت وخالد الى حمص .

٦ – وأمير كل بلد على الجند حتى يخرجوا من امارته (١) .

١ – لقد تضمن امر العمليات هذا تسلسل الواجبات المتتالية وافضلية كل واحد منها .

٢ – تحديد مسؤولية قيادة العمليات في الاقاليم بحيث تكون قوات الدعم المتقدمة الى جبهة من الجبهات تحت قيادة قائد الإقليم الذي تتم العمليات في ارضه .

– استناداً الى امر العمليات اصدر ابو عبيدة اوامره بتوجيه عشرة وحدات قتالية على قيادتها :

ابا الاعور السلمي ، عامر بن حثمه ، عمرو بن كليب ، عبد عمرو بن يزيد

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٥٧٠ .

ابن عامر الجرشي ، عمارة بن الصعق بن كعب ، صيفي بن علية بن شامل ، عمرو بن الحبيب بن عمرو ، لبدة بن عامر بن خثعمة ، بشر بن عصمـــة ، عمارة بن مخشي وهو القائد لهذه المجموعات . وتوجهت هذه القوة الى فحل(١)

– كانت قوة جيش الروم في فحل تقارب المائة الف مقاتل ، تسلل اكثرهم من حمص وانضمت اليهم القوى التي هزمت في المعارك السابقة كما التحقت بهم العناصر والقوى المضادة للعرب المسلمين .

– عندما وصلت القوة المقاتلة بقيادة عمارة بن مخشن ، جابهها جيش الروم بتفجير القنوات والمجاري المائية مما حول التربة الى سهل طيني يصعب على الفرسان التقدم فيه .

– توقف عمارة بن مخشى ، ووزع قواته لحصار فحل ولم يقتحمها نظراً للفارق العددي الكبير بالقوة ، وبسبب صعوبة التقدم في الاراضي الطينية.

– انتهت معركة دمشق بانتصار المسلمين . وكانت فحل لا تزال محاصرة . فاعاد ابو عبيدة بن الجراح تنظيم قواته على النحو التالي :

- **المقدمة بقيادة خالد بن الوليد .**
- **المجنبة اليمنى بقيادة ابي عبيدة بن الجراح .**
- **المجنبة اليسرى بقيادة عمرو بن العاص .**
- **قوة الفرسان بقيادة ضرار بن الأزور .**
- **قيادة مجموعات المشاة بقيادة عياض بن غنم .**
- **القيادة العامة لشرحبيل بن حسنة نظراً لان موقع المعركة هو في حدود المنطقة التابعة له .**

– ثم استخلف ابو عبيدة يزيد بن ابي سفيان في دمشق ، وانطلق بقوته في اتجاه الجنوب .

---

(١) تاريخ ابن جرير ١ – ه.

- عندما وصلت القوات فحل ، استلم شرحبيل القيادة فوزع القوات وكانت المياه والوحل حاجزاً بين جيش الروم وقوات المسلمين .

- كتب شرحبيل بن حسنة الى الخليفة عمر يشرح له الموقف ، ويطلب توجيهاته ثم نظم اقامة القوات وامدادها . ووضع مخططاً لاستنفار القوات وبقاء قوة جاهزة باستمرار لمجابهة الطوارىء :

[وكان شرحبيل لا يبيت ولا يصبح الا على تعبئة] (١) .

- عندما طال مقام المسلمين ، ظن الروم ان باستطاعتهم تحقيق المباغتة والقيام بهجوم حاسم ليلي وقام سقلار بن مخراق ومعاونه نسطوس بالهجوم ، وتلقاهم المسلمون وهم على استعداد كامل لدخول المعركة نتيجة لاجراءات الامن والاستعداد الدائم الذي فرضه شرحبيل على قواته .

- بدأت المعركة ضارية منذ لحظاتها الأولى ، واظهر المسلمون عناداً رائعاً وتصميماً على انتزاع النصر رغم التفوق العددي الكبير الذي كان لصالح خصمهم . واستمرت المعركة بقية الليل والنهار كله ، وعندما اقبل الليل ، ظهرت بواكير التحول في الموقف بسبب مقتل قادة الروم واندفع فرسان المسلمين يقتلون خصومهم الذين غرقوا في المياه والوحل . وتابع الفرسان يسوقونهم بالرماح سوقاً حتى الرداغ .

- كانت فحل اول موقع تم به حصار قوات الروم وهزمت هذه القوات فيها وابيدت في الرداغ .

- سقط في المعركة عشرة آلاف مقاتل من الروم ، وابيد في الرداغ ثمانون الفاً ولم ينج من جيش الروم الا عدد قليل جداً من المقاتلين .

---

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٢٩٥ .

قال القعقاع بن عمرو في يوم فحل (١) :

وغداة فحل قد رأوني معلمـــاً ... والخيل تنحـــط والبلا أطوار

ما زالت الخيل العراب تدوسهم ... في حوم فحل والقنا حوار (٢)

حتى رمين سراتهم عن أسرهـم ... في ردغة ما بعدها استمرار (٣)

يوم الرداغ فعنـد فحـل ساعـــة ... وخز الرماح عليهم مــدرار

ولقد أبرنا في الرداغ جموعهـم ... طراً ونحوي تبسم الابصار (٤)

وقال ايضاً :

وغداة فحل قد شهدنا مأقطـــاً ... ينسي الكمي سلاحه في الدار(٥)

ما زلت أرميهـم بقرحة كامـــلٍ ... كر المبيح ريانه الابسار(٦)

حتى فضضنا جمعهم بــتردس ... ينفي العدو اذا سما جرار(٧)

نحن الاولى جسوا العراق بتردس ... والشام جساً في ذرى الاسفار (٨)

---

(١) تهذيب ابن عساكر ١/١٤٥ .

(٢) حوار : اي الرماح تموج فيهم .

(٣) الردغ : الماء والطين والوحل الشديد .

(٤) ابرنا : اهلكنا .

(٥) المأقط : اضيق المواضع في الحرب .

(٦) ريانة : التمهل والبطء . المبيح : الأسد . الابسار : من بسر : كلح وجهه وتجهم .

(٧) تردس : الضرب والدفع .

(٨) ذرى الاسفار : اعاليها واصعبها .

يوم مرج الروم (١) :

- علم هرقل بسقوط دمشق ، وحصار جنده في فحل فاراد ان يوجه قوة لرفع الحصار وتهديد دمشق بحيث لا تتاح لجيوش العرب المسلمين التوجه الى الشمال لفتح حمص .

- عندما تمت تصفية القوة المحاصرة في فحل ، وجه الجيوش نحو اهدافها المحددة لها في خطة العمليات الاساسية ، فتم توجيه :

١ - شرحبيل بن حسنه الى الاردن .

٢ - عمرو بن العاص الى فلسطين .

ثم انطلق ابو عبيدة بن الجراح وبرفقته خالد بن الوليد الى حمص وعندما وصل مرج الروم اصطدم بجيش ابي عبيدة ، ودارت معركة طاحنة بين الطرفين حتى غطت جثث القتلى السهل .

كان على مقدمة جيش الروم القائد « ستنش » وعندما عرف « توذرا » باصطدام مقدمته مع العرب المسلمين قام بحركة استدارة وانطلق في اتجاه دمشق .

- بعد دراسة الموقف قرر ابو عبيدة توجيه قوة بقيادة خالد بن الوليد لمطاردة جيش « توذرا » والانقضاض عليه من الخلف . وبقي ابو عبيدة في مواجهة طليعة الجيش بقيادة « ستنش » .

- علم يزيد بن ابي سفيان بتقدم « توذرا » فخرج للقائه ، واشتبك معه في معركة اظهر فيها الروم صموداً رائعاً ، واستطاع يزيد ان يحطم ارادة الصمود عند خصمه وانزل به ضربات قاتلة ، ثم باغت خالد بن الوليد جيش الروم بهجوم من الخلف فتمت تصفيته بكامله تقريباً (٢) .

- عاد خالد بن الوليد بعد ذلك الى مرج الروم ، فوجد ان ابا عبيدة قد

---

(١) مرج الروم هو سهل البقاع . قاموس الجغرافيا القديمة - احمد زكي باشا .

(٢) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٣٤٠ .

انتهى من تصفية قوات خصمه وتمزيقها بحيث لم يتمكن من الفرار سوى مجموعات صغيرة .

– عندما علم هرقل بالهزيمة المنكرة التي منيت بها قواته في مرج الروم ، وكانت هذه آخر قوة احتياطية لديه ، قرر مغادرة حمص الى الرها . وترك امر الدفاع عن حمص الى بطريقها ووعده بتوجيه قوات لدعمه ومساعدته .

– اعاد ابو عبيدة تنظيم قواته بعد المعركة ودفع امامه الطلائع والمقدمة وسار في اتجاه حمص .

من ادب الحرب

قال خالد بن الوليد في يوم مرج الروم :

– نحن قتلنا توذرا وشوذرا

وقبله ما قد قتلنا حيدرا

– نحن أزنا الفيضة الاكيدرا .

الدروس المستخلصة من المرحلة الأولى في فتح الشام :

– وصلت طلائع القوات العربية – الاسلامية إلى حدود بلاد الشام في نهاية السنة الحادية عشرة للهجرة . واستسلمت دمشق للعرب المسلمين في السنة الرابعة عشرة للهجرة ، وبين التاريخين فترة عامين ونصف تقريباً ، فاذا قورنت المساحة الأرضية التي تم احتلالها بالمدة التي تطلبها هذا الاحتلال ظهر بوضوح ان هجوم العرب المسلمين سار في مرحلته الأولى بايقاع بطيء ومعدل ضعيف وكان لذلك ميزاته الكبرى . فقد انطلق العرب المسلمون من جزيرتهم لمجابهة اقوى دولتين عرفهما العالم القديم ، وكان عليهم تحطيم عدد من المعطيات حتى يتمكنوا من تثبيت اقدامهم والانطلاق بثبات وقوة للمراحل التالية :

١ً ـ كان عليهم تحطيم عامل التفوق البشري والتفوق بالامكانات المادية .
٢ً ـ وكان عليهم تحطيم عامل « الهيمنة الاجنبية » .
٣ً ـ وكان عليهم نشر الدعوة الاسلامية بين القبائل ، وتعريف سكان البلاد بأهدافهم .
٤ً ـ وكان عليهم دراسة العدو ، ومعرفة نقاط ضعفه ودراسة الأرض ومعرفة ميزاتها .
٥ً ـ وكان عليهم تطوير تنظيماتهم وتعديل اساليبهم بما يتوافق مع المواقف المختلفة والتحديات التي تجابههم .

ـ واستطاع العرب المسلمون تحطيم هذه المعطيات بمجموعة من الاجراءات والاساليب منها :

١ً ـ خوض حرب استنزاف صعبة وشاقة وتجنب اللقاء بمعارك حاسمة الا بعـــد ان يتصلـــب عود الجيوش الاسلامية من خلال معاركها اليومية ومن خلال اعمال قتالها بعد تقسيم المعركة الكبرى الى مجموعة معارك ثانوية يتم خلالها تحطيم قوات العدو وتدمير اكبر قوة قتالية « كما تم في اجنادين واليرموك » .
٢ً ـ عدم تمكين الروم من تشكيل مقاومات جديدة وذلك بالقضاء على اكبر قدر ممكن من قواته واتباع اسلوب الابادة وتطويق ميدان المعركة وعزله ثم القيام بالمطاردة الحاسمة « يوم فحل » .
٣ً ـ احراز انتصارات حاسمة في المعارك اليومية وبذلك تزول رواسب الهيمنة الأجنبية ويكتسب المقاتلون الثقة بقدرتهم على تحطيم قوة العدو ، مهما كانت كبيرة .
٤ً ـ اتباع اسلوب الحرب النفسية ، واحباط الروح القتالية ، لدى الخصم عن طريق الثبات في المقصد وعدم التردد في المواقف الحاسمة والعناد في القتال والصدق في تنفيذ التهديد والوعيد .

٥ ـ الاتصال بسكان البلاد ـ والقبائل العربية بصورة خاصة ـ لوضعها خلال المرحلة الأولى على الأقل ، في موقف الحياد ، مع تكوين مجموعات من الأنصار تعمل الى خلف قوات العدو وتوفر للعرب المسلمين المعلومات عن قوات عدوهم وتحركاته ونواياه وما يعتزم تحقيقه .

٦ ـ تعديل التنظيم القتالي والافادة باستمرار من تجارب ـ الخطأ والصواب ـ لوضع اسس تتوافق مع تنظيم العدو وحجم قواته ونوع اسلحته ووضعه النفسي .

العوامل التي ساعدت العرب المسلمين في تنفيذ مخططهم :

ـ لقد ساعد الروم على غير ارادة منهم القادة العرب المسلمين في تنفيذ مخططاتهم فقد استمروا في تقييمهم لقوة العرب المسلمين على نحو ما كانوا يفعلونه سابقاً . ولذلك دفعوا اليهم في البداية قوات صغرى . وعندما دمر العرب المسلمون هذه القوات توقف هرقل عن زج قوات جديدة في انتظار تطور الموقف وعلى امل ان يكتسب العرب المسلمون بعض المكاسب المادية الصغرى التي نصرفهم عن تحقيق واجباتهم واهدافهم ثم يقوم الروم بهجوم حاسم يعيدون العرب الى جزيرتهم . وكان هذا الجهل لما حملته الموجة الفاتحة من العرب المسلمين ،وعدم ادراك الروح الجديدة التي تطمح الى فتح آفاق واسعة ،والوصول الى ابعاد غير محدودة ، هو من العوامل التي كانت في صالح العرب المسلمين .

وكان قادة العرب المسلمين بالمقابل يعرفون جيداً أهدافهم ، ويعرفون ، قوة « بني الاصفر » ويحسبون حساباً لها . ويقفون موقف الحذر في كل خطوة من خصومهم . وهذا ما حملهم على اجراء دراسة موضوعية دقيقة لكل تصرف ولكل موقف يقفه العدو ومعرفة نقاط القوة ونقاط الضعف . والافادة من نقاط الضعف مع ايجاد الوسائل لمعالجة نقاط القوة والتغلب عليها .

ـ لقد عمل كل جيش من جيوش المسلمين بشكل مستقل في منطقةالعمليات

المحددة له . وكان القادة على اتصال مستمر ودائم فيما بينهم لتبادل المعلومات ودراسة الموقف ومجابهة الأحداث الطارئة . وكان كل قائد يسرع لدعم القائد الآخر في مسرح عملياته ويضع قواته تحت تصرفه لمجابهة قوات الروم المتفوقة وعندما يتم القضاء على هذا التفوق يعود كل جيش الى منطقة عمله .

– كان الروم يتحركون بصورة بطيئة نتيجة لتنظيماتهم الادارية ، وللحجم الكبير في امداداتهم وتموينهم بينما كانت القوات العربية خفيفة الحركة سريعة المناورة لا يثقلها التموين والامداد تتعايش مع المنطقة التي تعيش فيها ويكتفي المقاتل بالزاد القليل . وهذا مما كان يساعد قوات المسلمين على التنقل بسرعة من منطقة الى منطقة ومن جبهة الى جبهة ومباغتة الخصم قبل ان يكمل استعداده القتالي او تجمعه .

– لقد برهنت معارك المرحلة الأولى على تميز المقاتلين من العرب المسلمين بكفاءة بدنية عالية وقدرة على تحمل الصعاب . ويمكن أخذ تحرك خالد بن الوليد من العراق الى الشام نموذجاً لذلك . فقد تجاوز خالد المسافة عبر الصحراء في خمسة ايام ثم استمر في مسيرته نحو الجنوب مع الاشتباك في القتال مع الخصم خلال كل مرحلة من مراحل المسير ، كما ان تحرك قوات المسلمين الى اجنادين وزج القوات بالقتال فوراً وثم العودة الى الجولان والتحرك الى اليرموك برهان آخر على كفاءة المقاتلين الجسمي وقدرتهم العالية على تحمل اعباء القتال .

نتائج المرحلة الأولى من العمليات :

آ – النتائج الاستراتيجية :

١ – تنظيم قاعدة متقدمة – انتهت المرحلة الأولى من عمليات الجبهة الشرقية بسقوط دمشق ، واصبح باستطاعة العرب المسلمين الانطلاق منها لمتابعة فتح الاقاليم والاستناد الى قاعدة قوية ومأمونة لا خطر من تطويقها ولا خوف من

عزلها . ولم تعد المدينة منطقة الحشد بل اصبحت الجابية هي مقر القيادة الامامية وكان الخليفة عمر يتوجه اليها في كل مرة يتطلب الأمر معالجة موقف من المواقف على مقربة من مسارح العمليات . كما اصبح باستطاعة الجيوش العربية ان تستفيد من امكانات هذه القاعدة لدعم القوات المتقدمة بمتطلباتها البشرية والتموينية .

٢ – استنزاف قوة الروم – لقد استنزفت معارك المرحلة الأولى قوة الخصم واحدثت تغيراً جذرياً في ميزان القوى ، وحطمت عوامل تفوق الروم المادية والبشرية والمعنوية واصبح العرب المسلمون اكثر قدرة على تطوير عملياتهم بسرعة والانطلاق بثبات وحزم نحو اهدافهم الجديدة .

٣ – تحقيق الهدف من الحرب – « المقصد » . وضعت معركة اجنادين واليرموك ثم احتلال دمشق حداً نهائياً لاحتلال الروم . وبذلك تحقق الهدف المحدد للحرب وهو تحرير الشام من سيطرة الروم والتمهيد لمرحلة نشر الاسلام فيها .

لقد كانت نهاية المرحلة الأولى عملاً حاسماً في تطوير الموقف العام نظراً لما تتميز به الشام من موقع جغرافي واستراتيجي ذو اثر كبير على مسيرة العمليات في المنطقة كلها .

٤ – التمهيد لاقامة علاقات اجتماعية جديدة – كانت الحرب ، في نظر العرب المسلمين وسيلة لنشر الدين الاسلامي . ولهذا بقي الهدف الاساسي مرافقاً لاعمال القتال كلها. وعندما كانت تتوقف المعركة يبدأ القادة وباسرع ما يمكن الى ترسيخ جذور العلاقة بين اهل البلاد الاصليين وبين العرب المسلمين. وتبدأ هذه العلاقات بمعاهدة الصلح التي تحدد واجبات كل طرف وحقوقه على الطرف الآخر ثم تتطور هذه العلاقة الى التعايش والفهم المتبادل للاهداف بين الحاكمين والمحكومين على اسس ثابتة من الحق والعدالة .

ب ـ النتائج العسكرية :

١ ـ ظهور قيادات عسكرية ـ كانت المعارك المتتابعة بمثابة مدرسة تعلم منها القادة فن الحرب ، وكان لاحتكاكهم بجيش الروم دور كبير في اغناء معرفتهم بقيادة التشكيلات الكبرى وتطبيق فن الحرب وتطويره لمجابهة المواقف المختلفة وان ظهور اسماء كثيرة مثل خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وابو عبيده بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن ابي سفيان والقعقاع بن عمرو وضرار بن الأزور وغيرهم ما هو الا برهان على جود اصالة ثابتة واستعداد فطـري للاضطلاع بادوار قيادية ثم جاءت التجارب فصقلت هذه المواهب وابرزتها الى مسرح الوجود في صورتها الرائعة .

٢ ـ وجود مركزية في القيادة ـ تميزت قيادة العمليات بمركزية قوية ، فكان الخليفة هو الذي يحدد الاهداف المتتابعة وتنسيق الجهد بين مختلف مسـارح العمليات وكان قادة مسارح العمليات على درجة عالية من الكفاءة مكنتهم من تفهم الواجبات المحددة لهم بشكل عميق . وكانت مؤتمرات القادة ، تشابه الى حد كبير مؤتمرات قادة الجيوش ولقاء رؤساء أركـان حربهم ، حيث كان يتم في هذه المؤتمرات طرح المواقف وطريقة مجابهتها وتحديد الوسائل اللازمة لذلك .

٣ ـ الانضباط في القيادة والتنفيذ ـ ان متابعة مسيرة العمليات في المرحلة الأولى تبرز الكثير من الشواهد على وجود انضباط صارم وطوعي لدى المقاتلين من العرب المسلمين القادة منهم والمرؤوسين على حد سواء .

ـ ان توجيه خالد بن الوليد الشام ، وتسليمه القيادة ثم عزله عنها مـن الشواهد على توفر هذا الانضباط .

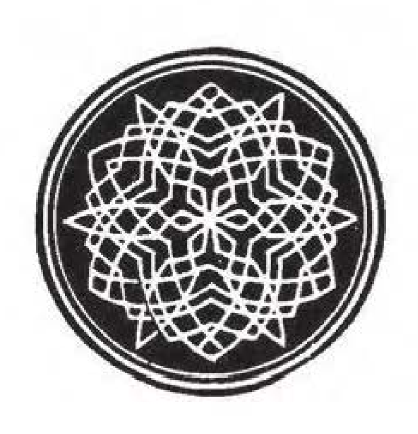
ـ وان السرعة في تنفيذ اوامر خالد بن الوليد في التحرك ـ علماً ان الجميع كانوا ضد هذا التحرك عبر المحور الذي اقترحه ابن الوليد ـ ثم التوجه للجنوب وزج القوات في اجنادين ، ثم في اليرموك ما هي الا شواهد على الانضباط

الصارم والطوعي في تنفيذ الأوامر . كما ان اعادة التنظيم وتشكيـــل القوات تشكيلا مستحدثاً واجراء تعديلات في كل فترة يدل دلالة واضحة على توفر انضباط رائع وتجاوب كبير بين القيادة والمنفذين .

٤ ــ الروح المعنوية عالية :

واخيراً ، لم تكن كفاءة القيادة ولا التنظيم ولا الثقة بالمعدات تستطيع تحقيق تلك الانتصارات الرائعة لولا توفر الروح المعنوية بدرجة عالية بين المقاتلين .

ــ لقد برهن المقاتلون من العرب المسلمين على روح معنوية عالية وعلى ايمان عميق بالهدف الذي يقاتلون من اجله وان هذه الروح المعنوية وذلك الايمان الراسخ هو الذي كان يحفزهم على مجابهة كافة التحديات واحباطها وهو الذي كان يحملهم على تقبل صعاب المعركة واقتحام اخطار الحرب دونما تفكير الا بهدف واحد . هو تحقيق الهدف من الحرب .



القسم الأول

الفصل الثالث

عمليات المحور الشمالي "بلاد الشام"

١ - فتح بعلبك وحمص .

٢ - جبلة بن الايهم .

٣ - معاودة فتح الاقاليم المتمردة .
قنسرين - بعلبك - حمص - الرستن .
معرة حمص

٤ - فتح مدن الساحل الشمالية :
انطاكيه - اللاذقيه - جبلة - بانياس
طرطوس - طرابلس .

٥ - اتفاقيات صلح مع البلاد الشمالية :

٦ - غزو ما وراء الدروب .

٧ – فتح بيسان واجنادين .
٨ – فتح مدن الساحل الجنوبية .
٩ – معركة حمص – وصد هجوم الروم .
فتح الجزيرة
١٠ – عزل خالد بن الوليد .
١١ – الهجوم والهجوم المضاد .
١٢ – قصة عربسوس – الجراجمة .
١٣ – الدروس المستفادة .



عمليات المحور الشمالي :

فتح بعلبك وحمص ١٤ هـ - ٦٣٥ م.

- توجهت الجيوش العربية الاسلامية بعد فتح دمشق الى الاقاليم المحددة لها .

وتوجه ابو عبيدة بن الجراح ومعه خالد بن الوليد الى بعلبك - حمص .
وصل ابو عبيدة الى بعلبك . ودفع خالد بن الوليد الى حمص كمقدمة له ، وحاصر بعلبك وخرج حاكمها فعقد صلحاً مع المسلمين لمدة سنة ، ثم جاء حاكم جوسيه وعقد مع ابي عبيدة صلحاً مماثلا وتوجه الى حمص. وفي الطريق وصله اسامة بن زيد الطائي يحمل رسالة من الخليفة عمر جاء فيها :

[... اما بعد فلا مرد لقضاء الله تعالى وقدره ، ومن كتب في اللوح المحفوظ كافراً فلا ايمان له ، وذلك ان جبلة بن الايهم الغساني كان قدم علينا ببني عمه . وسراة قومه ، فانزلتهم واحسنت اليهم واسلموا على يدي ، وفرحت باسلامهم اذ شد الله عضد الاسلام والمسلمين بهم ... ثم انا سرنا الى مكة نطلب الحج فطاف جبلة بن الايهم بالبيت اسبوعاً - فوطىء رجل من مزاره ازاره فاسقطه عن كتفه فالتفت الى الفزاري وقال له : ويلك كشفتني في في حرم الله تعالى . فاجابه الفزاري ، والله ما تعمدتك ، فلطم جبلة بن الايهم الفزاري لطمة هشم بها انفه وكسر ثناياه الأربع . فاقبل الفزاري الي مدعياً على جبلة ، فأمرت باحضاره وقلت له ما حملك على ان لطمت اخاك في الاسلام وكسرت ثناياه الاربع وهشمت انفه ؟ - فقال جبلة : انه وطىء

ازاري برجله فحله ووالله لولا حرمة هذا البيت لقتلته . فقلت له ـ اقررت على نفسك ، فاما ان يعفو عنك واما ان آخذ له منك القصاص . فقال ايقتص وانا ملك وهو من السوقة ؟ قلت قد شملك واياه الاسلام فما تفضله الا بالعافية . فقال : اتتركني الى غد وتقتص مني ؟ ـ فقلت للفزاري ـ اتتركه الى غد ؟ قال نعم . فما كان الليل ـ ركب في بني عمه وتوجه الى الشام يريد اللحاق بالروم وأرجو ان الله يظفرك به ـ فانزل على حمص ولا تنفذ عنها ـ فان صالحك اهلها فصالحهم وان أبوا فقاتلهم وابعث عيونك الى انطاكية وكن على حذر من المتنصرة] (١) .

ـ عندما وصل خالد الى حمص ، تحصن اهلها وعقد حاكمها مؤتمراً وتقرر في نهايته عقد صلح مع المسلمين بهدف كسب الوقت والاتصال بالروم ـ بشكل خفي وسري ـ لطلب الدعم ، ومراقبة تطور الاحداث وانتظار الفرصة المناسبة للانقضاض على العرب المسلمين وعندما وصل ابو عبيدة بن الجراح عقدوا معه صلحاً لمدة سنة .

جولة في افق حمص :

نظم ابو عبيدة قوة الفرسان في مجموعات قتالية ، وكلف خالد بن الوليد بقيادة مجموعة منها تضم اربعة آلاف مقاتل وكلفه بالتوجه الى معرة حلب ـ وبالريف المحيط بمدينة حمص ـ وتوجه خالد حتى شيزر ثم وجه قوة من خمسمائة مقاتل للاغارة على قنسرين وتابع خالد تحركه حتى كفرطاب والمراة وديرسمعان . وعاد خالد ومصعب من جولتهما بعد ان غنمت القوة كميات كبرى من المواشي والاطعمة والغنائم بالاضافة الى اعداد كبيرة من الاسرى .

ـ احسن ابو عبيدة معاملة الأسرى ورد اليهم اموالهم ونساءهم بعد أن

---

(١) فتوح الشام ، الواقدي ١/١١٠ .

عقد معهم اتفاقاً على دعم الجيوش العربية الاسلامية ومساندتها . وتقديم المعلومات لها عن نشاط العدو .

– عندما بلغ اهل « قنسرين » ما فعله ابو عبيدة ، ارسلوا وفداً منهم الى أبي عبيدة وعقدوا معه صلحاً لمدة سنة ايضاً .

– بعد جولة خالد الاستطلاعية ، توجه أبو عبيدة بجيشه في اتجاه «الرستن» وعقد صلحاً مع اهلها .

– ثم تابع تقدمه الى « حماه » وعقد صلحاً مع اهلها ايضاً .

– وانطلق من حماه الى « شيزر » (١) فخرج وفد من اهلها واستقبل أبا عبيدة بطلب الصلح .

– علم ابو عبيدة من اهل شيزر ان حاكم قنسرين طلب من هرقل الدعم لحرب العرب المسلمين وان هرقل وجه جبلة بن الايهم الغساني ومعه العرب المتنصرة . كما دعمه بحاكم عمورية ومعه عشرة آلاف مقاتل .

جبلة بن الايهم – وحربه ١٥ هـ :

– بينما كان سعيد بن عامر يبحث عن مولاه الذي ذهب يحتطب بعيداً عن البساتين والاشجار المثمرة تنفيذاً لاوامر ابي عبيدة ، بوغت بمجموعة من الفرسان حملته الى جبلة بن الايهم . وعندما اجتمع به سأله جبلة عن احوال اقربائه واهله وعن حسان بن ثابت فاجابه سعيد ان آخر مرة شهد فيها حسان كانت قبل خروجه مع جيش الفتح وأنه سمعه ينشد :

لله در عصابة نادمتهم : يوماً بجلق في الزمان الاول
يغشون حتى ما تهر كلابهم : لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة انسابهم : شم الانوف من الطراز الأول

---

(١) شيزر : قلعة قرب المعرة ، بينها وبين حماه اليوم .

الملحقين فقيرهم بغنيهم : المشفقين على اليتيم الأرمل
اولاد جفنة حول قبر أبيهمُ : قبر ابن مارية الكريم المفضل

فقال له جبلة : وهل حفظ لي هذه المكرمة . واهداه ثياباً وهدايا وطلب اليه نصح خالد وابي عبيدة بعدم مجابهة قواتهما لانهما ستوجهان لدعم صاحب قنسرين . وعاد سعيد بن عامر ، فاخبر ابا عبيدة بما توفر لديه من معلومات .

ـ وجه ابو عبيدة قوة استطلاع من عشرة فرسان فقط بقيادة خالد بن الوليد ورافقهم سعيد بن عامر الى المكان الذي علم ان حاكم قنسرين سيلتقي به بقوات جبلة بن الايهم ونصب كميناً وعندما اقبل حاكم قنسرين اعتقله خالد وكلف به من يحرسه ثم انقضت قوات جبلة وأحاطت به وبقوة الكمين .

ـ حاول جبلة بن الايهم وحاكم عمورية انقاذ حاكم قنسرين وكان من المقربين الى هرقل وحاول جبلة اغراء خالد وتهديده وكان مما قاله له انه من المستحيل عليه مقاومة جبلة وهو الذي وصفه شاعر الرسول بقوله :

ان ابن جفنة من بقية معشر : لم تغذهم آباؤهم باللـؤم
يعطي الجزيل ولا يراه بأنـه : الا كبعض عطية المذمـوم
لم ينسني بالشام اذ هو بارح : يوماً ولا متنصراً بالروم
ان جئته يوماً تقر بمنـزل : تسقي براحته من الخرطوم

ـ وعندما يئس جبلة وحاكم عمورية من اتباع اسلوب الخداع قررا القضاء على خالد ومجموعته وكان اول من تصدى للقاء جبلة عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق ونجح جبلة في اصابته بجراح في عضده وخاف خالد ان يتمكنوا منهم ، فاسرع الى البطريق حاكم قنسرين وقتله وبدأ اشتباك عنيف بين الطرفين ثم ظهر جيش ابو عبيدة في احرج اللحظات واصعبها وبعد ان ايقن خالد ومجموعته انهم من الهالكين ، واستطاع ابو عبيدة ان يحقق المباغتة الكاملة ، وبعد معركة قصيرة وحاسمة تمزق جيش جبلة بن الايهم وحاكم عمورية ،

وطاردتهم قوات المسلمين . وعاد جبلة وبقايا جيشه الى القسطنطينية واقام فيها ثم انتقل في العصر العباسي الى اليونان . وذابت هذه القبائل وانصهرت في بوتقة المجتمع اليوناني .

معاودة فتح البلدان المتمردة :

فتح قنسرين ١٥ — هـ :

— اعاد ابو عبيدة بن الجراح تنظيم قواته بسرعة ، ووجه مجموعة قتالية بقيادة عياض بن غنم لفتح قنسرين . وقام عياض باغارة مباغتة تمكن بها من ابادة قوات المقاومة ونجح في الاستيلاء على كميات كبيرة من الغنائم ، وارغم اهل قنسرين على طلب الصلح . ووافق ابو عبيدة على الصلح بنفس الشروط السابقة .

— كانت الفترةالمحددة للصلح مع أهل حمص وبعلبك قد انتهت بانتهاء السنة . فتوجه ابو عبيدة الى حمص ، وترك فيها خالد لاحكام الحصار وتابع الى بعلبك .

فتح بعلبك — ١٥ هـ :

عندما اشرفت قوات أبي عبيدة على منطقة بعلبك وجدت قافلة من المواد التموينية المختلفة ارسلها هرقل لاهل بعلبك وعليها قوة لحراستها . فاسرعت مفرزة من الفرسان ، واستولت عليها وابادت قوة الحراسة المرافقة لقافلة التموين .

وصل ابو عبيدة بجيشه الى منطقة بعلبك فتصدت له قوة من سبعة آلاف مقاتل يقودها حاكم بعلبك « البطريق هربيس » وبعد معركة قصيرة وحاسمة هزم فيها هربيس جنده واصيب بجراح فعاد الى بعلبك واحتمى باسوارها بعد ان امتلأت المدينة باللاجئين اليها من المنطقة المحيطة بالقلعة .

— ضرب ابو عبيدة نطاقاً حول المدينة وحاصرها وطلب ابو عبيدة من أهل

بعلبك الاقلاع عن الحرب والدخول في الصلح ، وحدث انقسام بين اهل بعلبك ، بعضهم يطلب الحرب وبعضهم يطلب السلم ، وتغلب دعاة الحرب .

– وقف ابو عبيدة يحرض جيشه على القتال :

(... اعلموا ان هذه المدينة في وسط اعمالكم وبلادكم – فان بقيت كانت وبالاً على من صالحتم ولا تقدرون على سفر ولا على غيره) .

– حصلت القوات على بعض الاسرى ، واحضروهم الى ابي عبيدة ولدى استجوابهم ظهر له ان الروح المعنوية في بعلبك متدهورة وان هناك حشد كبير يتطلب كميات كبرى من المواد الغذائية وهي غير متوفرة بما يكفي حاجة المدينة .

– دارت معركة اليوم الأول دون التحام . وكان المسلمون يرمون بالسهام وادوات الحصار ويجيبهم المقاتلون من فوق الاسوار باسلوب مماثل .

– في اليوم الثاني – وكان البرد شديداً – طلب ابو عبيدة من جنده اخذ وجبة ساخنة وقال لهم :

[على كل رجل من المسلمين الا يبرز لحرب هؤلاء القوم حتى ينفذ رحله ويصلح له طعاماً حاراً يأكله ليكون بذلك شديداً على لقاء العدو] .

– ظن قائد قوات بعلبك عندما شهد تأخرهم في الزحف للقتال ان هناك ما يعيقهم واراد مباغتتهم بهجومه .

– انطلق هربيس بجيشه ، وتصدت له مفرزة الحماية وفيها عمرو بن معديكرب الزبيدي وعبد الرحمن بن ابي بكر وربيعة بن عامر ومالك بن الاشتر وضرار بن الازور وذو كلاع الحميري . وقاتلت هذه المفرزة بعناد وتصميم ، واسرع المقاتلون الى اسلحتهم ، وانضموا الى قوة الحماية ، وتزايد ضغط قوة العرب المسلمين مما ارغم قوة الروم على الانسحاب حتى القلعة ، بحثاً عن الحماية وراء جدرانها المنيعة .

– نتيجة لهذه المعركة قرر ابو عبيدة الانسحاب بعيداً عن القلعة حتّى مسافة كافية وجمع قادته وقال لهم :

[اعلموا ان من الرأي ان نتأخر عن المدينة مقدار شوط فرسخ ليكون ذلك مجالاً لخيلكم – ومنعة لحريمكم] .

– ثم نظم ابو عبيدة مجموعات قتالية على النحو التالي :

١ – مجموعة فرسان من خمسمائة مقاتل بقيادة سعيد بن زيد ومعها قوة من المشاة تتكون من ثلاثمائة مقاتل بقيادة عمرو بن نفيل بمهمة التوجه الى الوادي ، واحكام الحصار على المنافذ الخليفة .

٢ – مجموعة فرسان من خمسمائة مقاتل ومعها مائة مقاتل من المشاة بقيادة ضرار بن الازور ومهمته التحرك حتّى باب الشام لاحكام الحصار ، وقتال من يخرج اليه .

كان اليوم الثالث من القتال يوماً حاسماً زج فيه « هربيس » اكبر قسم من قواته . وانطلق بهم لمجابهة قوات أبي عبيدة ، ودارت رحى معركة طاحنة لم يتمكن خلالها احد من احراز النصر .

– كان سهل بن صباح العبسي جريحاً ، فتسلق منذ بداية المعركة المرتفع المشرف على السهل واخذ يتابع القتال . وعندما شاهد قوة الهجوم وصمود المسلمين ، وعدم تمكنهم من انتزاع النصر اسرع فجمع ما وجده من اخشاب واعشاب واحرقها ، وعندما رآها ضرار بن الازور وسعيد بن زيد اعتقدا أن ابا عبيدة يطلب اليهما الالتحاق به فنظما قواتهما وانطلقا بسرعة الى ميدان المعركة ووصلا الى خلف قوات جيش هربيس . واعتقد المقاتلون بوصول قوات دعم جديدة للعرب المسلمين فانسحبوا من المعركة وانتظموا على شكل حلقة دفاع دائري وعندما ادركوا انهم لن يتمكنوا من الوصول الى القلعة ، توجهوا شمالاً واعتصموا باحدى القرى الحصينة.. فضرب سعيد بن زيد نطاقاً حولهم من قوة المشاة وعاد الى ابي عبيدة بن الجراح ..

ـ استدعى ابو عبيدة ضرار وسعيد وقال لهما :

[ما هذه المخالفة ... ألم آمركم بالاقامة على ابواب المدينة ومشاغلة القوم] .

واجابه ضرار :

[... وقفت حيث امرتني ورأينا دخاناً فاسرعنا نحوك] .

واستعلم ابو عبيدة فقيل له ان سهل العبسي هو الذي احرق النار ـ فاستدعاه وسأله عن السبب الذي دفعه الى اشعال النيران : فذكر له ما حدث معه فقال له ابو عبيدة :

[لقد وفقك الله تعالى ـ واياك بعدها ان تحدث حديثاً من غير اذن اميرك]

ـ ارادت القوة المحاصرة شق طريقها فتصدت لها مجموعة الحصار وحدثت معركة غير متكافئة واسرع مراسل فاعلم أبا عبيدة بالموقف فانطلق سعيد وضرار ومعهما قوة الفرسان واحاطوا بجيش هربيس وانسحب هربيس بقوته الى القرية وسقط من قوة المسلمين ٧٠ رجلا .

ـ عندما انتهت المعركة النهارية لليوم الثالث وجه ابو عبيدة امره الى سعيد ابن زيد :

[... الحذر الحذر ... واجتهد الا يفوتك من الروم أحد ولا تفسح لهم قدماً واحداً فيخرج منهم أحد ..] .

ـ شدد سعيد قبضته على القوة المحاصرة في القرية ونظم الشؤون الادارية بحيث تنطلق كل مجموعة من مائة مقاتل لجلب الاخشاب واشعال النيران وتأمين متطلبات المقاتلين وجعل ذلك مناوبة بين المقاتلين .

ـ حاول هربيس الاتصال بحاكم عين الجوز وجوسيه وعندما يئس من ذلك تقدم في اليوم التالي وطلب الصلح من ابي عبيدة .

نصت اتفاقية الصلح على الا يحمل اهل المدينة سلاحاً ضد المسلمين والا يتصلون بملك او احد ، وعليهم اعلام المسلمين عن كل اخبار تتعلق بعدوهم

واشترط هربيس ان يبقى العرب المسلمون خارج القلعة والا يدخلوا اليها . وان يحمل اليهم الجزية .

– حدث خلاف بعد ذلك بين هربيس واعوانه وبين المواطنين من أهل بعلبك فقتلوا هربيس واتفقوا على دعوة العرب المسلمين للاقامة بينهم ووافق ابو عبيدة على دخول المسلمين بعلبك والاقامة بين اهلها .

معاودة فتح حمص – ١٥ هـ :

– استخلف ابو عبيدة على بعلبك رافع بن عبدالله ، ونظم جيشه للمسير ، وتوجه الى حمص وعندما وصل الزراعة ، قريباً من حمص توقف فيها ودفع ميسرة بن مسروق العبسي ومعه خمسة آلاف فارس . وعندما شعر ان ميسرة قد وصل حمص ، وجه مجموعة اخرى بقيادة ضرار بن الأزور تضم خمسة آلاف فارس ايضاً ، ثم وجه بعد ذلك عمرو بن معد يكرب الزبيدي ولحق به ببقية الجيش .

– وصل ابو عبيدة حمص فارسل رسالة الى حاكم حمص ينصحه بالعودة الى السلم والالتزام بنصوص الاتفاقية السابقة . وعندما عرف ان حاكم حمص مصمم على القتال ، قسم قوته الى اربعة مجموعات قتالية :

١ – مجموعة بقيادة المسيب بن نجية الفزاري للتمركز عند باب الجبل .

٢ – مجموعة بقيادة المرقال بن هشام بن عقبه بن ابي وقاص للتمركز عند باب الرستن .

٣ – مجموعة بقيادته ونزل على باب الشام .

٤ – مجموعة عند باب الصغير ، بقيادة خالد بن الوليد .

– كان حاكم حمص قد حصن مدينته واستعد للقتال وحفظ كميات من الاغذية للحصار . واخذ ينتظر قوات الدعم . معتقداً أن جيش العرب المسلمين لن يقاوم قسوة الطبيعة وتحمل البرد . لكن جيش أبي عبيدة صمد وقاوم المطر والثلج والعواصف وعندما علم الخليفة عمر بحصار حمص . واحتمال قيام

العرب المستنصرة من غسان ولخم بدعمهم ، اصدر اوامره الى سعد بن ابي وقاص بتوجيه قوة الى هيث وقرقيساء لفتحهما . ولما اشتد امد الحصار ولم تصل قوات الدعم المنتظرة اخذت ارادة القتال تضعف لدى الجند في حمص

– واخيراً وضع ابو عبيدة مخططه للهجوم الكبير ، وتظاهر بالانسحاب تاركاً المواشي والغنائم في المؤخرة وعندما ابتعد عن المدينة انطلق جيش حمص لمطاردة جيش ابي عبيدة . واسرع الفرسان المسلمون لتطويق جيش حمص ومنعه من العودة الى المدينة وبعد معركة حاسمة انهارت مقاومة جيش حمص وتمزق المقاتلون وطاردهم فرسان المسلمين وتابع ابو عبيدة تقدمه حتّى المدينة فخرج اهلها وطلبوا الصلح .

– استخلف ابو عبيدة على مدينة حمص عبادة بن الصامت ، واعاد تنظيم جيشه واسرع في التوجه نحو الشمال لمتابعة العمليات .

معاودة فتح الرستّن – ١٥ ﻫ :

– نجح ابو عبيدة في دفع مجموعة من المقاتلين للتسلل الى داخل الرستّن . واتفق معهم على موعد للاغارة وفتح ابواب المدينة ثم تظاهر بالإنسحاب . وفي الوقت المحدد عادت مجموعة الفرسان بقيادة خالد بن الوليد وكانت قوة الاغارة الّتي تسللت داخل المدينة قد نجحت في فتح الابواب فاندفع المقاتلون وأبادوا المقاومة وخضعت الرستّن وعقد مع اهلها اتفاقية للصلح .

معرة حمص – ١٥ ﻫ (١) والصلح مع شيزر – حماه – قنسرين – حلب :

– عندما وصل جيش ابي عبيدة الى المعرة ، خرج اهلها واستقبلوه بطلب الصلح .

– وارسل اهل شيزر وفداً اعلم أبا عبيدة بالتزامه بالصلح ونجاح اهل شيزر بتصفية المقاومة الّتي كانت ترغب في التصدي لجيش المسلمين .

---

(١) هي معرة النعمان ، وتنسب الى النعمان بن بشير الانصاري .

– وصالح اهل حماه جيش ابي عبيدة .

– ووجه ابو عبيدة قوة لحصار قنسرين بقيادة السمط الكندي ونجح السمط في ضرب حصار على قنسرين . ثم صالح اهلها وعقد معهم اتفاقية للسلم (١) .

– تابع ابو عبيدة تحركه الى حلب ، وعندما وصل « حاضر حلب » جمع اليه زعماء القبائل العربية ، وصالحهم على الجزية ثم تقدم الى المدينة وحاصر جيشها . وبعد فترة من القتال طلب اهلها الصلح وعقد معهم عياض بن غنم اتفاقية الصلح بتفويض من ابي عبيدة وموافقته (٢) .

فتح مدن الساحل الشماليه – ١٥ هـ :

١ – انطاكية :

توجه ابو عبيدة بن الجراح من حلب الى انطاكية ، وقد تجمع بها جمهور من اهل حلب وقنسرين وغيرها فحاصرها ، وضيق على اهلها الحصار ثم صالحه اهلها على الجلاء او البقاء فصالحه اهل حلب وعادوا الى مدينتهم والتحق قسم من اهل انطاكية بالروم ، وبقي قسم منهم بانطاكية وعقدوا صلحاً مع ابي عبيدة .

– عندما علم هرقل بسقوط قنسرين وتوجه جيش العرب المسلمين الى انطاكية تراجع حتى دخل عاصمة بلاده – القسطنطينية – .

– اعلنت انطاكيه تمردها بعد ذلك ، ونقضت الصلح المعقود مع العرب ، فوجه الخليفة عمر رسالة الى ابي عبيدة جاء فيها :

---

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٣٤٤/٢ وتاريخ الطبري ٣ .

(٢) كان الحاضر بقرب حلب ويدعى حاضر حلب يجمع اصنافاً من العرب من تنوخ وغيرهم فصالح ابو عبيده اهلها على الجزية بعد فتح قنسرين ثم اسلموا بعد ذلك. فتوح البلدان – البلاذري ، ١ – هـ .

[.. رتب بانطاكية جماعة من المسلمين واجعلهم بها مرابطة – ولا تحبس عنهم العطاء ..] (١) .

– وجه ابو عبيدة مجموعة قتالية بقيادة عياض بن غنم وحبيب بن مسلمه الى انطاكية ففتحاها من جديد ، وصالحا اهلها على مثل صلحهم السابق . وترك بها قوة لحمايتها .

٢ – اللاذقية – ١٥ هـ . (٢)

– تابعت قوات ابي عبيدة تحركها جنوباً حتى وصلت اللاذقية .

– تصدى جيش اللاذقيه لجيش ابي عبيدة ، وحدثت معركة جبهية ، ثم انسحب جيش اللاذقية تحت ضغط ثقل هجوم العرب المسلمين الى اللاذقية وتحصنوا بها .

– وجد ابو عبيدة انه من الصعب اقتحام المدينة عنوة ، فاصدر اوامره ، بحفر حفر للفرسان تستطيع الحفرة الواحدة اخفاء الفارس وفرسه ، وانتشرت الحفر حول المدينة وقد اتقن اخفاؤها وتمويهها عن الانظار . ثم تظاهر ابو عبيدة برفع الحصار عن المدينة وسحب قواته . وفي الليل عاد الفرسان الى الحفر وقاموا باحتلالها – والاختفاء فيها – .

خرج سكان اللاذقية في اليوم التالي الى حقولهم ومزارعهم ، وفتحت الأبواب وعند ذلك اسرع الفرسان باغارتهم المباغتة واقتحموا المدينة و لحق بهم جيش ابي عبيدة وعقد صلحاً مع اهلها .

– استخلف ابو عبيدة على مدينة اللاذقية عبادة بن الصامت الانصاري فبنى فيها مسجد عبادة واقام العرب المسلمون فيها ، ونزح قسم من اهلها فالتحق بالروم .

---

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٣٤٢ .

(٢) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٣٤٣ .

عندما تولى معاوية امارة الشام ثم اصبح والياً اهتم بالمدن الساحلية فحصنها ، وبنى سوراً خارج الحصن الرومي وشحنه بالرجال والمقاتلـــين ، واقطعهم الاراضي الموات لاستثمارها .

٣ ــ فتح جبلة ــ بانياس ــ طرطوس ــ ١٥ هـ :

ــ عندما علم اهل جبلة بسقوط اللاذقية في قبضة العرب المسلمين ، جلا اهلها عنها والتحقوا بالروم .

ــ وجه عبادة بن الصامت قوة ففتحت بانياس وطرطوس وطرابلس وكانت خالية ايضاً . في زمن معاوية اعيد تحصين هذه المدن الساحلية ، وتنظيم الدفاع عنها .

٤ ــ فتح طرابلس ــ ٢٤ هـ :

ــ قام الروم في عام ٢٤ هـ ، وفي آخر خلافة عمر بن الخطاب وبداية حكم الخليفة عثمان بن عفان بهجوم عام على المنطقة الساحلية ووصلوا حتى طرابلس وتمركزوا فيها . فوجه معاوية بن ابي سفيان جيش الشام بقيادة سفيان بن مجيب الازدي (١) .

ــ كانت طرابلس تضم ثلاث مدن مجتمعة ، فعظم سفيان الحصار حولها ، وعزلها براً وبحراً ، وقطع عنها الامداد والتموين ، وشيد في مرج طرابلس وعلى بعد اميال من حصون طرابلس قلعة منيعة حملت اسم « حصن سفيان » . وعندما اشتد الحصار على اهل طرابلس تجمعوا في حصن من حصون المدينة الثلاثة وتمكنوا من الانصال بالروم وطلبوا النجدة . فارسل اليهم الروم قطعاً بحرية حملتهم ليلا ونقلتهم الى « بيزنطه » .

ــ كان من عادة سفيان توجيه جيشه في الصباح لحصار المدينة ثم العودة

---

(١) وكان معاوية قد توجه بنفسه فاخضع المدن الساحلية ــ واعاد ترميم حصونها المهدمة ، ونقل اليها المقاتلين المرابطة فيها . التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٢٩٦ .

في الليل للاعتصام بالحصن الذي شيده . وعندما قام بهجومه الصباحي . وجد ان المدينة خالية من السكان . فحمل اليها معاوية جماعة من اليهود وانزلهم في المنطقة التي اصبحت تعرف بالميناء .

– عندما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان اعاد تنظيم طرابلس وتحصينها ثم تمرد اهلها على عبد الملك فاعاد ابنه الوليد فتحها عندما تولى الخلافة .

اتفاقيات صلح مع البلاد الشمالية :

علم ابو عبيدة بوجود حركة تمرد في حلب فتوجه من انطاكية وحاصرها ، ولم تلبث المقاومة ان تمزقت وفتحت ابواب المدينة .

– دفع ابو عبيدة مقدمة له بقيادة عياض بن غنم وتوجه بجيشه الى قورس ، واعترض راهب من رهبان قورس عياض بن غنم وطلب الصلح فارسله عياض الى ابي عبيدة وعقد ابو عبيدة الصلح مع الراهب نيابة عن اهل قورس .

– وجه ابو عبيدة مجموعة قتالية الى الريف المحيط بقورس ، ففتح تل اعزاز .

– كان سلمان بن ربيعة الباهلي يقود مجموعة من هذه المجموعات فوصل حصناً من حصون قورس وحاصره وفتحه فحمل ذلك الحصن اسم « حصن سلمان » .

– ثم سار ابو عبيده الى منبج ، وعندما وصلها وجد ان عيّاضاً قد عقد صلحاً مع اهلها فأقره ، ووافق على نص العقد .

– وسار عياض الى ناحية « دلوك » من نواحي حلب فصالحه اهلها ، كما صالحه اهل رعبان وهي مدينة قرب الفرات بين حلب وسميساط ، وكان نص الصلح مماثلاً لنص صلح منبج ، وقد اشترط ابو عبيدة في هذه الاتفاقيات جميعاً ان يكون اهل المدن انصاراً للمسلمين وان يخبروا المسلمين بأخبار الروم .

– ولى ابو عبيدة على كل قرية ومدينة عاملا من عماله ، وضم اليه مجموعة

من المقاتلين لا سيما في النواحي المتاخمة للحدود مع الروم ثم سار الى بالس ، وهي بلدة بين حلب والرقة ، فصالحه اهلها .

— ثم وجه ابو عبيدة مجموعة قتالية الى « قاصرين » بقيادة حبيب بن مسلمة. وخير اهلها بين الجزية والجلاء ، فجلا اكثرهم وقبل الباقون بدفع الجزية . وتابع ابو عبيدة مسيرته حتى وصل الجزيرة وقرية « جسر منبج » ، ولم يكن الجسر يومئذ قد شيد وانما شيد في خلافة عثمان لعبور الصوائف . واستولى المسلمون على الشام من هذه الناحية الى الفرات وعاد ابو عبيدة الى فلسطين عندما بلغه قدوم الخليفة لعقد صلح مع اهل ايلياء « القدس » .

غزو ما وراء الدروب — ١٥ هـ :

١ — وجه ابو عبيدة مجموعة قتالية بقيادة ميسرة بن مسروق العبسي لمطاردة الروم عبر الدروب ، فسلك ميسرة ومجموعته درب « بفراس » وهي مدينة تبعد عن انطاكية اربعة فراسخ . ولقي جمعاً للروم ومعهم قبائل عربية من غسان وتنوخ واياد وكلهم يريد اللحاق بهرقل . وكانت قوتهم ثلاثين الفاً ، ودارت معركة غير متكافئة في ظروف صعبة ، وصمد المقاتلون من العرب والمسلمين صموداً كبيراً ، ثم وصل مراسل الى ابي عبيدة يطلب الدعم فوجه قوة اخرى بقيادة مالك الاشتر النخعي ، ونجحت هذه القوة في الوصول الى ميدان القتال بعد أن استنزفت المعركة قوة العرب المسلمين ودارت معركة حاسمة انتصر فيها العرب المسلمون وتمزقت القوات المقاتلة للروم ورجع ميسرة ومالك بعد ان غنموا الغنائم الكبيرة .

٢ — نظم ابو عبيدة مجموعة قتالية اخرى بقيادة خالد بن الوليد وجهها الى مرعش ، وعمل خالد عند وصوله على حصار المدينة ثم صالح اهلها بشرط الجلاء عنها ، فغادرها اهلها ودمرها خالد حتى لا يستطيع الروم الانطلاق منها في هجماتهم ضد العرب المسلمين .

٣ ــ سير ابو عبيدة مجموعة قتالية ثالثة بقيادة حبيب بن مسلمة الى حصن الحدث فقاتلهم اهل الحدث وقتل عدد كبير من العرب المسلمين . وانتصر المسلمون في نهاية المعركة(١) .

٤ ــ في الوقت الذي كانت تنطلق فيه هذه الغزوات لما وراء الدرب من الثغور الشامية انطلقت مجموعات قتالية اخرى لغزو الروم من الثغور الجزرية .

ــ فتوجه عمر بن مالك من الكوفة حتى وصل قرقيساء وتوجه عبر درب الجزيرة الى بلاد الروم .

٥ ــ وتوجه عبد الله بن معتم بقوته من الموصل الى داخل بلاد الروم .

نتيجة لهذه الغزوات . قرر هرقل مغادرة سوريا ، فانتقل من شمشاط على شاطىء الفرات الى انطاكيه ومنها الى القسطنطينية .

عمليات المحور الجنوبي :

فتح بيسان واجنادين ــ ١٥ هـ ــ والصلح مع القدس :

سار ابو عبيدة بن الجراح شمالا ، وتوجه عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنه جنوباً ، حتى وصلا بيسان ، ودفع عمرو بن العاص قوة مقاتلة بقيادة علقمة بن محرز الى غزة في الوقت الذي كان فيه يزيد قد دفع معاوية لفتح المدن الساحلية .

ــ علم عمرو بن العاص ان ادهى دهاة الروم واسمه ارطبون قد تحصن في اجنادين بعد ان وصلته امدادات من الروم . ونظم قوات كبيرة للمقاومة في ايلياء « القدس » والرملة .

ــ كتب عمرو بن العاص الى الخليفة عمر يشرح له الموقف وعندما وصلت

---

(١) سمي درب الحدث لان شاباً صغيراً من الروم تصدى لجيش العرب المسلمين ومعه مجموعة من اقرانه . وكان الامويون يسمون هذا الدرب درب السلامة . التاريخ الكامل ــ ابن الأثير ٣٤٦/٢ .

الرسالة الى الخليفة اصدر اوامره الى يزيد بن ابي سفيان بتوجيه قوات لدعم عمرو بن العاص ثم ضحك وقال :

[لقد رمينا ارطبون الروم بارطبون العرب فانظروا عم تفرج؟ ..] (١)

– وجه عمرو بن العاص قوة لحصار ايلياء « القدس » وعزلها عن اجنادين وكانت القوة بقيادة علقمة بن حكيم ومسروق العكي .

– ووجه ايضاً قوة بقيادة أبي ايوب المالكي لمجابهة التذارق في الرملة لعزله عن اجنادين وعدم تمكينه من دعم ارطبون .

– وعندما تتابعت الامدادات بالوصول الى عمرو بن العاص وجه قوة لدعم علقمة بن حكيم ومسروق العكي وكانت قوة الدعم بقيادة محمد بن عمرو .

كما وجه قوة اخرى بقيادة عمارة بن عمرو بن امية الصخري وذلك بمهمة دعم ابي ايوب المالكي .

– عندما اطمأن عمرو بن العاص لقوة موقفه ، ارسل عناصر الاستطلاع والجواسيس لمعرفة نقاط الضعف في قوة ارطبون وتحصيناته ، لكنه لم يتمكن من الحصول على ما يريده من معلومات فقرر الذهاب بنفسه متظاهراً أنه واحد من معاوني ابن العاص .

– التقى عمرو بن العاص وارطبون واخذ يحادثه وهو خلال ذلك يتأمل حصونه ويدرس نقاط ضعفه حتى عرف ما اراد . وقال ارطبون لنفسه (ان هذا عمرو بن العاص) وما كنت لاصيب القوم بأمر اعظم عليهم من قتله ، ثم دعا حرساً ، وهمس اليه بقتله ، وقال له :

[اخرج .. فأقم في مكان ... فاذا مر بك هذا فاقتله] ..

– شعر عمرو بن العاص بما يدبره له ارطبون من غدر ، فتظاهر بانتهاء الزيارة وختم حديثه بقوله :

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٦٠٥ .

[سمعت مني وسمعت منك ، فاما ما قلته فقد وقع مني موقعاً .. وانا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالي لنكانفه (١) ويشهدنا اموره — فأرجع فآتيك بهم الآن — فان رأوا في الذي عرضته مثل الذي أرى فقد رآه اهل العسكر والامير — وان لم يروه رددتهم الى مأمنهم وكنت على رأس أمرك ..] (٢)

— عند ذلك طمع ارطبون بقتل عمرو بن العاص وقادته . وارسل من يخبر قوة الكمين بالانسحاب ونجح عمرو بالحصول على ما يريده من معلومات .

— قام بعد ذلك عمرو بن العاص بهجوم قوي وحاسم ، ووقعت في صفوف الروم خسائر لاتقل عن خسائرهم في اليرموك . وهرب ارطبون ومعه فلول المعركة فانضموا الى المقاتلين في « ايلياء » .

— بعد المعركة وهزيمة « ارطبون » انضمت قوات علقمة ومسروق ومحمد بن عمرو وابي ايوب الى قوات عمرو بن العاص فسار بهم الى ايلياء وحاصرها .

— كانت ايلياء حصينة ، وصمم اهلها على القتال ووافق اهلها على عقد صلح مع العرب المسلمين بشرط واحد وهو ان يتولى الخليفة ذاته عقد هذا الصلح. فكتب عمرو بن العاص الى الخليفة عمر بن الخطاب :

[اني اعالج حرباً كؤوداً صدوماً — وبلاداً اذخرت لك — فرأيك] (٣) —

كان الخليفة الفاروق يعتمد رأي ابن العاص . فقرر المسير الى ايلياء لعقد صلح مع اهلها ، ونزل بالجابيـــه حيث كان في استقباله قادة الجيوش وفي طليعتهم ابو عبيدة وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص .

---

(١) نكاتفه : ننصحه ونوجهه .

(٢) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٣٤٧ .

(٣) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٣٤٩ .

– وخرج حاكم ايلياء وصالح ابن الخطاب بالجابيه وكان اسمه سفرونيوس(١).
– نزل الفاروق عمر في القدس وصلى بها وأمر ببناء مسجد .
– هرب ارطبون من ايلياء ولم يقبل ان يعقد صلحاً مع العرب المسلمين والتجأ الى مصر .
– تابع ارطبون دوره في قتال المسلمين وقام بالتصدي لصائفة من الصوائف فقتله واحد من قبائل قيس . بعد ان تمكن منه ارطبون وقطع له ذراعه وانشد يقول :

[فان يكن ارطبون الروم افسدها : فان فيها بحمد الله منتفعا
وان يكن ارطبون الروم قطعها : فقد تركت بها اوصاله قطعا] (٢)

فتح مدن الساحل الجنوبيه – ١٥ ﻫ :

– عندما كان ابو عبيدة بن الجراح يتوجه شمالاً في اتجاه حمص . انطلق يزيد بن ابي سفيان بجيشه في اتجاه الساحل وعلى مقدمته اخاه معاوية بن ابي سفيان . ولم يلق جيش المسلمين مقاومة كبيرة نظراً لهرب اعداد كبيرة من السكان والتحاقهم بالروم ، ففتح معاوية عرقة وبقية المدن الساحلية ، وبقيت قيسارية ممتنعة على المسلمين .
– ارسل الخليفة عمر الى يزيد كتاباً يأمره بتوجيه اخيه معاوية لفتح قيسارية نظراً لان وجودها يهدد تحركات المسلمين ويعطي الروم الفرصة للاتصال بالعناصر المعادية للفتح العربي – الاسلامي – ويمهد الفرصة للثورة المضادة .
– توجه معاوية الى قيسارية ووقعت بينه وبين جيش قيسارية مجموعة من من المعارك الطاحنة اظهر فيها جيش قيسارية ارادة صلبة في القتال واظهر فيها

---

(١) كان حاكم ايلياء هـو البطرق سفرونيوس . Sophronuis تاريخ الطبري ٤/١٥٨ ـ ١٦٠ .

(٢) يذكر نيلر في كتابه الفتح العربي لمصر The Arab Conquest of Egypt في صفحة ٢١٥ ان اسم الارطبون خطأ وان اسمه الصحيح اربطيون .

المسلمون جلداً وصموداً رائعاً . واخيراً تمكن معاوية من انتزاع النصر وانتهت المعارك بسقوط ثمانين الفاً من جيش الروم – كما قتل اثناء مطاردة المسلمين لهم عشرين الفاً – وبذلك تكون مجموع الخسائر في صفوف الروم مائة الف قتيل . وبذلك انهى معاوية فتح صيدا وعرقة وجبيل وبيروت .

– فتح غزة –

– كان الفيقـار حاكماً لغزة ، وتوجـه اليه علقمة بن مجزر لحربه وحاصر علقمة غزة فترة طويلة ولم يتمكن من فتحها وصمد الفيقار طويلاً للحصار . وكانت اسوار غزة منيعة وصعبة . وقد وجه علقمة عدداً كبيراً من عناصر الاستطلاع لاكتشاف مواطن الضعف . لكن هذه العناصر لم تتمكن من تنفيذ واجبها على النحو الذي اراده علقمة بسبب ما كان يطبقه الفيقار من اساليب الحيطة والحذر . واتبع علقمة الاسلوب الذي اتبعه عمرو بن العاص في استطلاعه لحصون ارطبون في اجنادين فذهب الى الفيقار متظاهراً انه واحد من قادة علقمة واخذ يفاوضه ، ويستفيد من كل فرصة لدراسة التحصينات وافضل الطرق للوصول اليها . وشعر الفيقار ان علقمة من الرجال الخطرين وشك في امره . فأرسل من ينصب له كميناً في طريق عودته ، وعرف علقمة باحساسه ما يدبر له من غدر ، فقال في نهاية حديثه للفيقار انه راغب في اصطحاب عشرة من رفاقه حتى يستمعوا لحديثه ويفاوضوه فان تم الاتفاق يمكن بذلك تحقيق السلم دون قتال . وعندها ارسل الفيقار يطلب استدعاء قوة الكمين على أمل الحصول على صيد ثمين في قتل عشرة من قادة العرب ونجحت الحيلة .

– قام بعد ذلك علقمة بهجوم حاسم مستفيداً من المعلومات المتوفرة لديه وفتح غزة ، واصبح طريق التحرك الى مصر ممهداً ومفتوحاً .

معركة حمص – ١٧ هـ

الموقف العام :

– سيطر المسلمون سيطرة تامة على سوريا – كما سيطروا على العراق – وتابعت جيوشهم تقدمها في كل مكان تحقق النصر بعد النصر ، وتنتزع من قبضة الروم والفرس ما كانوا يحكمونه من اقاليم .

– اصيب الروم بخيبة امل مريرة بعد هزائمهم المتوالية وانسحبوا من سوريا لا سيما بعد معركة اليرموك واحتلال دمشق ، لكن انصارهم استنجلوا بهم وتابعوا الاتصال بهم . واستمروا في اعلان الولاء لهم وتمنيتهم بالعودة الى بلاد الشام . وارسل اهل الجزيرة بصورة خاصة رسائل تؤكد لهم دعمهم القوي فيما اذا ارسلوا جيوشاً لحرب العرب المسلمين . وكان اكثر العرب عصبية لقتال العرب المسلمين هم عرب الجزيرة وبني تغلب .

– وجه الروم جيشاً قوياً الى حمص بهدف تدمير جيش ابي عبيدة بن الجراح وجعل حمص منطلقاً لعملياتهم لاسترجاع بلاد الشام وذلك على نحو ما كانت عليه قبل الفتح الاسلامي نظراً لموقعها المتوسط ونظراً لاعتمادهم على وجود انصار لهم فيها وطلبوا الى انصارهم من بني تغلب وربيعة وتنوخ وبني نزار واهل الجزيرة الانضمام اليهم في حمص .

– وصلت المعلومات عن تحرك جيوش الروم في اتجاه حمص ، فارسل ابو عبيدة بن الجراح الى الخليفة عمر بن الخطاب تقريراً بالموقف واخذ يستعد للقتال .

– كان ابو عبيدة قد ترك خالد بن الوليد في حكم قنسرين فطلب اليه العودة والانضمام بسرعة الى قوات الجيش الرئيسية في حمص . واصدر اوامره الى « المسالح » ومراكز المراقبة المتقدمة بالانضمام الى مركز الجيش والتحقت القوات بمركز التجمع فاعاد ابو عبيدة تنظيم جيشه وخرج الى ظاهر المدينة .

ـ عقد ابو عبيدة مؤتمراً للقيادة، وطرح فيه الموقف للمناقشة ، واقترح خالد بن الوليد التقدم لملاقاة جيش الروم لكن ابا عبيدة قرر البقاء في موقف الدفاع بهدف انتظار تعليمات الخليفة عمر .

الخليفة عمر يحرك القوات الاحتياطية :

[كان عمر اتخذ في كل مصر على قدره خيولاً من فضول أموال المسلمين عدة لتكون ان كان ، فكان بالكوفة من ذلك اربعة آلاف فارس] (١)

ـ عندما وصلت رسالة ابي عبيدة الى الخليفة ، اصدر الامر التالي الى سعد ابن ابي وقاص :

[اندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي الى حمص فان ابا عبيدة قد احيط به وتقدم اليهم في الجد والحث...]

الخليفة عمر يفتح جبهة ثانية :

ـ شعر الخليفة عمر بضرورة وضع حد حاسم لاتصال العرب مع الروم فأصدر امراً لاحقاً لسعد بن ابي وقاص :

[ان الله قد فتح على المسلمين الشام والعراق فابعث من عندك جنداً الى الجزيرة وأمر عليهم احد ثلاثة : خالد بن عرفطة أو هاشم بن عتبة اوعياض بن غنم .

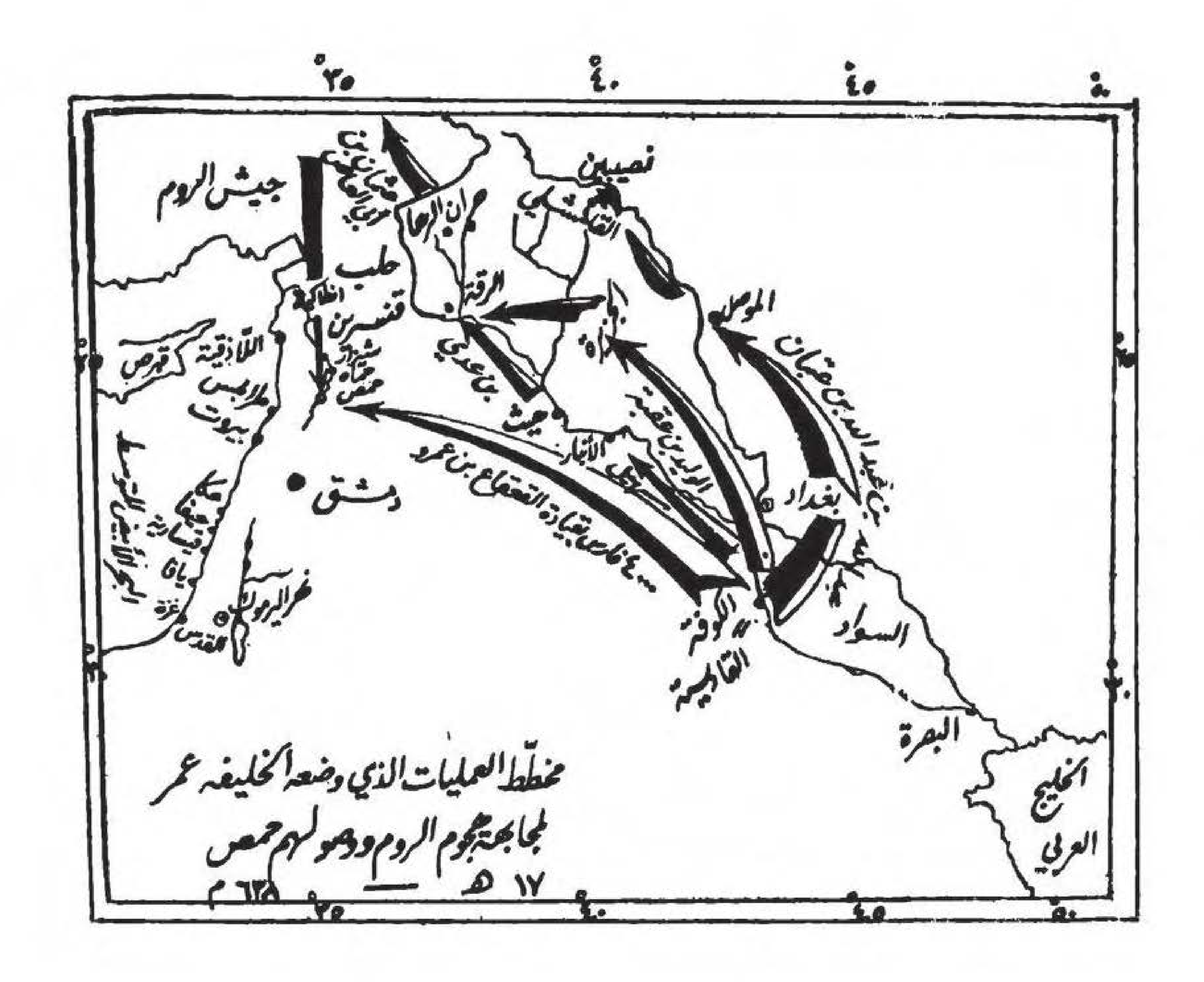
ـ سرح سهيل بن عدي الى الجزيرة في الجند ـ وليأت الرقة فان اهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على اهل حمص ـ وان اهل قرقيساء لهم سلف .

ـ سرح عبد الله بن عتبان الى نصيبين ثم لينغضا حران والرهاء .

ـ سرح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ ـ ان كان قتال فقد جعلت امرهم جميعاً الى عياض بن غنم] (٢) .

---

(١) تاريخ الطبري ٥١/٤ .
(٢) تاريخ الطبري ٥٢/٤ .



مخطط العمليات الذي وضعه الخليفة عمر لمجابهة هجوم الروم ووصولهم حمص ١٧ هـ — ٦٣٨ م

– لم يمض سوى ثلاثة ايام حتى كان القعقاع في طريقه الى حمص . وكانت الجيوش تتوجه بقيادة عياض بن غنم الى اهدافها المحددة لها .

الخليفة عمر ينتقل الى القواعد الامامية :

قدر الخليفة عمر خطورة الموقف ، وخشي ان يكون تقدم الروم بداية هجوم عام مضاد فغادر المدينة ووصل الجابية (آ) على حدود الشام حتى يكون في القاعدة المتقدمة لعلاج الموقف واتخاذ الاجراءات المناسبة .

تحول الموقف :

– عندما علم اهل الجزيرة بتوجه جيوش العراق الى اقاليمهم انسحبوا الى اقاليمهم وتخلوا عن الروم .

شعر ابو عبيدة بهذا التحول وعرف انه يستطيع بقوته تدمير قوة خصمه فنظم هجوماً حاسماً تمكن به من تدمير القوات المعادية له ووجه مفارز الفرسان لطاردة فلول المنسحبين حتى انطاكية .

– وصلت قوات القعقاع بن عمرو في اليوم الثالث للمعركة ، ولم تشترك بالقتال . ووقع ابو عبيدة في موقف حرج . هل يشرك هذه القوات بالفيء والغنيمة وهي لم تشترك في قتال ؟ وبعث الى الخليفة يستشيره ، فأجابه :

[جزى الله أهل الكوفة خيراً – يكفون حوزتهم ويمدون اهل الامصار – أشركهم فانهم قد نفروا اليكم وتفرق لهم عدوكم] (١)

– ووزع ابو عبيدة الفيء ، وتوجه القعقاع لدعم عياض بن غنم .

(آ) الجابية ؛ قرية من اعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر « سهل البقاع » في شمال حوران اذا وقف الانسان في الصنمين واستقبل الشمال ظهرت له ، وتظهر من نوى ايضاً . وبالقرب منها تل يسمى تل الجابيه . ويقال لها ايضاً جابية الجولان وباب الجابية بدمشق منسوب الى هذا الموضع . معجم البلدان ، ياقوت الحموي ت – د .

(١) تاريخ الطبري ٥٢/٤ .

فتح الجزيرة :

– بناء على امر الخليفة ، توجه سهيل بن عدي وجنده على محور الفراض حتى وصل الرقة ، ووجد ان اهلها قد اخلوها وتفرقوا عنها ولم يبق الاالمقاتلون فحاصرهم سهيل ، وعندما اشتدت قبضة الحصار طلبوا الصلح ووافق عياض وامضى سهيل معهم عقد الصلح بموافقة عياض .

– وخرج عبد الله بن عبد الله بن عتبان فاتبع في مسيرته محور نهر دجلة حتى وصل الى الموصل وعبر دجلة ، وتوجه الى نصيبين ، واستقبل اهلها عبدالله طالبين الصلح ، وعقد معهم اتفاقية للصلح بأمر من عياض وموافقته .

– وتقدم الوليد بن عقبه الى الجزيرة بمهمة اخضاع بني تغلب وعرب الجزيرة فاستقبله اهل الرقة ونصيبين بطلب الصلح ، فصالحهم باستثناء قبيلة اياد بن نزار الذي هرب بقبيلته لاجئاً إلى بلاد الروم عندما علم بزحف المسلمين فكتب الوليد الى الخليفة عمر يعلمه بذلك .

– ضم عياض بن غنم قوات سهيل بن عدي وعبدالله بن عتبان واعاد تنظيم جيشه ودفع القعقاع بن عمرو مقدمة له . وتابع التقدم حتى وصل حران وصالح خلال مسيرته كافة اهل المدن والقرى .

– وجه عياض بن غنم بعد ذلك سهيل بن عدي وعبدالله بن عتبان الى الرهاء بمهمة فتحها وعندما وصلت قوة المسلمين خرج اهل الرهاء يطلبون الصلح وعقد الصلح معهم نيابة عن القائد عياض .

– وجه عياض قوة بقيادة عثمان بن ابي العاص لفتح ارمينيا الرابعة (١)

---

(١) كانت ارمينيا تقسم من الشرق نحو الغرب الى اربعة اقاليم تحمل تسلسلا بالارقام :
ارمينيا الأولى : وكانت تضم شمشاط وقاليقلا وخلاط وأرجيش وباجنيس .
ارمينيا الثانية : وتضم السفرجان وديبل وسراج طير وبغروند .
ارمينيا الثالثة : جرزان .
ارمينيا الرابعة : السيجان واران .
وكانت ارمينيا الأولى والثانية تحت حكم الخزر ، وارمينيا الثالثة والرابعة تحت حكم الروم . فتوح البلدان ، البلاذري ، ١٩٨ .

وتقدم عثمان بجيشه حتى حدود ارمينيا . وبعد معركة قصيرة وحاسمة طلب اهل ارمينيا الصلح ، وصالحهم عثمان بعد ان فرض عليهم الجزية . وكان بين من استشهد صفوان بن المعطل السلمي .

وانتهت سلسلة هذه العمليات بفرض سيطرة المسلمين على الجزيرة .

الخليفة عمر يدمر روابط الروم باهل الجزيرة :

اراد الخليفة عمر الافادة من التجاء قبيلة اياد بن نزار الى الروم ، لقطع كل اتصال بين الروم واهل البلاد في الشام وذلك بهدف احباط كل امل في المستقبل لمعاودة استثارة الروم او للاتصال من أجل تنظيم ثورة مضادة فكتب الى ملك الروم ...

[انه بلغني ان حياً من احياء العرب ترك دارنا وأتى دارك فوالله لتخرجنه اولننبذن الى النصارى ثم لنخرجنهم اليك] (١) .

ــ وجد ملك الروم ــ قسطنطين ــ ان من مصلحة بلاده في تلك الفترة التخلي عن هؤلاء الانصار الذين لا يستطيعون له دعماً ، فوجههم الى بلاد الشام وفرض عليهم ما فرض على القبائل المماثلة لهم من اهل الجزيرة .

كان اهل الجزيرة ــ قد وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ وعاهدوه الا ينصروا وليداً ، فكان ذلك الشرط على الوفد ومن يمثلونه . وعندما تقدم الوليد بن عقبة الى الجزيرة لم يقبل من بني تغلب سوى الاسلام ، وطلبوا ترك الحرية لهم اسوة ببقية المناطق التي تم فتحها . فكتب الوليد الى الخليفة عمر يعلمه بطلب اهل الجزيرة ، واعتبر الخليفة عمر ان عدم التزام اهل الجزيرة باتفاقهم مع الرسول هو بمثابة رده فكتب الى الوليد عن رفضه لقبول طلبهم مبرراً ذلك :

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٥ .

[انما ذلك لجزيرة العرب – لا يقبل منهم فيها الا الاسلام ، فدعهم الا ينصروا وليداً – واقبل منهم اذا اسلموا] (١) .

– قرر الخليفة عمر العودة الى المدينة بعد ان تمت تصفية الموقف الطاريء . وقام بدراسة الوضع العام في الشام واتخذ الاجراءات التالية :

١ – اصدر اوامره بتسمية الصوائف والشواتي وتنظيم المسالح « مراكز المراقبة المتقدمة » وقام بجولة تفقدية .

٢ – اصدر امره بتعيين عبدالله بن قيس على السواحل .

٣ – اصدر امره بعزل شرحبيل بن حسنه وتعيين معاوية بن ابي سفيان مكانه وتقدم شرحبيل من الخليفة وسأله :

أعن سخطة عزلتني يا أمير المؤمنين ؟

واجابه الخليفة : انك لكما احب ، ولكني اريد رجلاً اقوى من رجل . فقال شرحبيل :

اعذرني في الناس لا تدركني هجنة .

واعلن الخليفة عن رضاه لما قام به شرحبيل بن حسنه ولما بذله من جهد ، وان ضرورة الوضع اقتضت عزله .

ثم عاد الى المدينة .

عزل خالد بن الوليد :

– اطلق العرب المسلمون اسم « الدروب » على المحاور وطرق المرور عبر جبال طوروس الفاصلة بين بيزنطه وبلاد الشام .

– بعد تصفية المقاومات واحباط المؤامرة التي اشترك فيها عرب الجزيرة مع الروم اصدر ابو عبيدة بن الجراح اوامره الى خالد بن الوليد وعياض بن

---

(١) تاريخ الطبري ٥٦/٤ .

غنم للتوغل عبر الدروب بهدف مقابلة العدوان بعدوان مماثل وإلحاق الاضرار المادية والمعنوية ببلاد الروم .

– نجح خالد بن الوليد وعياض بن غنم في تنفيذ الواجب المحدد لهما. وقاما بسلسلة اغارات دمرت خلالها كثيراً من القرى وحصل المسلمون على غنائم مادية ضخمة .

– عندما رجع خالد من اغارته توافد اليه اصدقاؤه ووزع عليهم الهدايا . ثم اعطى الاشعث بن قيس عشرة آلاف وعلم بذلك الخليفة عمر ، وكان لا يخفى عليه شيء من عماله .

– كان الخليفة عمر قد بلغه قبل ذلك ان خالد دخل الحمام فتدلك بالخمر فكتب اليه :

[بلغني انك تدلكت بخمر – وان الله قد حرم ظاهر الاثم وباطنه وقد حرم مسه – فلا تمسوها اجسادكم ، وان فعلتم فلا تعودوا] .

فكتب اليه خالد :

[انا قتلناها فعادت غسولاً غير خمر] .

فكتب اليه عمر :

[ان آل المغيرة ابتلوا بالجفاء فلا اماتكم الله عليه] (١) .

– وعندما وصلته المعلومات حول اعطاء خالد مبلغ عشرة آلاف للأشعث كتب الى ابي عبيدة :

[اطلب خالداً ، واعقله بعمامته وانزع عنه قلنسوته حتى يعلمكم من اين اجاز الاشعث أمن ماله أم من مال أصابة اصابها ؟ فان زعم انه فرقه من ماله فقد اسرف وان زعم أنه فرقه من اصابة اصابها فقد أقر بخيانة – واعزله على كل حال – واضمم اليك عمله] (٢)

---

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٣٧٥

(٢) تاريخ الطبري ٤/٦٠ .

- طلب ابو عبيدة الى خالد بن الوليد الحضور من قنسرين الى حمص ، ثم جمع الناس وجلس لهم على المنبر ، ووقف بلال وسأل خالد :

من أين أجزت الأشعث ؟

وسكت خالد وابو عبيدة في مكانه لم يتكلم . وعندها تقدم بلال من خالد وقال له :

[ان امير المؤمنين امر فيك بكذا .. وكذا .. ونزع عمامته ووضع عنه قلنسوته ثم عقله بعمامته . وخالد لم يمنعه من ذلك] ..

واعاد بلال السؤال : من اين اجزت الاشعث ، من مالك أجزت أم من إصابة اصبتها ؟

وقال له خالد : - بل من مالي .

فاطلقه ، واعاد قلنسوته ثم وضع عليه عمامته بيده و قال :

[نسمع ونطيع لولاتنا ونفخم ونخدم موالينا] (١) .

- اقام خالد في حمص لا يعرف امعزول او غير معزول وابو عبيدة لا يعلمه اكراماً لمكانته في نفسه فلما تأخر قدومه الى المدينة كتب الخليفة عمر الى خالد يطلب اليه الحضور الى المدينة .

وحمل خالد الكتاب الى ابي عبيدة ، وقال له :

[رحمك الله ، ما اردت الى ما صنعت ، كتمتني امراً كنت احب ان اعلمه قبل اليوم] .

واجابه ابو عبيدة :

[اني والله ما كنت لاروعك ما وجدت لذلك بداً - وقد علمت ان ذلك يروعك] .

- رجع خالد الى قنسرين وخطب في اهلها مودعاً ، ثم رجع الى حمص ، فخطب فيهم وودعهم ، ثم سار الى المدينة ، وعندما التقى بالخليفة عمر قال له :

---

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢٧٦/٢ .

[شكوتك الى المسلمين ، فبالله انك في امري غير مجمل يا عمر] .

وسأله عمر :

[من اين هذا الثراء ؟]

وقال له خالد :

[من الانفال والسهمان وما زاد على ستين الفاً فلك] .

— قوم عمر ما يملكه خالد فزاد عشرين الفاً ، فجعلها في بيت المال ثم قال له :

[يا خالد — والله انك علي لكريم ، وانك الي لحبيب ، ولن تعاتبني بعد اليوم على شيء] .

وكتب الى الاقاليم :

[اني لم أعزل خالداً عن سخطة ولا خيانه ، ولكن الناس فخموه ، وفتنوا به ، فخفت ان يوكلوا اليه ويبتلوا به فاحببت ان يعلموا ان الله هو الصانع ، وان لا يكونوا بعرض فتنة] .

ثم عوضه مما أخذه منه .

اعادة التنظيم بعد المعركة :

— اعاد الخليفة عمر بعد انتهاء معركة حمص وفتح الجزيرة التنظيم على النحو التالي :

١ — تعيين عياض بن غنم قائداً ثانياً مكان خالد بن الوليد لمساعدة ابن الجراح

٢ — اعادة سهيل بن عدي وعبدالله بن عتبان الى الكوفة — من اجل دعم الجبهة الشرقية .

٣ — تعيين حبيب بن مسلمة على عجم الجزيرة وحربها .

٤ — تعيين الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة .

من ادب الحرب

قصيدة القعقاع بن عمرو في فتح الجزيرة :

من مبلغ الاقوام ان جموعنـــا   حوت الجزيره يوم ذات زحام
جمعوا الجزيرة والغياث فنفسوا   عمن بحمص غيابـــة القـدام
ان الاعزة والاكارم معشر   فضوا الجزيرة عن فراخ الهام
غلبوا الملوك على الجزيرة فانتهوا   عن غزو من يأوى بلاد الشام

الهجوم والهجوم المضاد ـ سنة ٢٥ هـ :

الموقف العام :

ـ بدأت الجيوش الاسلامية تندفع في شمال افريقيا بعد فتح مصر ، وانتهت القوات العربية من الاحاطة بالهضبة الايرانية ، واستقر الوضع في الشام وكان الخليفة عمر قد قسم المناطق العسكرية في الشام الى اربعة مناطق :

١ ـ منطقة فلسطين « جند فلسطين » ومركزها الرمله وسواحلها قيسارية ـ ارسوف ـ يافا ، عسقلان ، غزه ، رفح ، العريش .

٢ ـ منطقة دمشق « جند دمشق » مركزها دمشق وحدها الساحلي طرطوس وبانياس وجبلة .

٣ ـ منطقة الاردن « جند الاردن » ومركزها طبريا وحدها الساحلي صور وعكا .

٤ ـ منطقة حمص مع قنسرين « جند حمص وقنسرين » وسواحلها صيدا ، بيروت ، جبلة ، طرابلس ، وحدها النهر الكبير .

ـ كان الروم ينتظرون كل فرصة سانحة للانقضاض على المنطقة الساحلية

والمنطقة الوسطى من سوريا وتهديد امنها . وتقدمت قواتهم في عام ٢٤ هـ ، مع نهاية خلافة عمر بن الخطاب وبداية حكم عثمان بن عفان .

- كانت الكوفة تضم ٤٠٫٠٠٠ مقاتل ، وقد قسمت هذه القوة المقاتلة على أربعة مجموعات تنطلق كل مجموعة في سنة للغزو ومتابعة الفتوح في الجبهة الشرقية ، فكانت القوة المقاتلة المخصصة للغزو في كل عام مكونة من ١٠٫٠٠٠ مقاتل .

- كان الوليد بن عقبة في عام ٢٤ هـ والياً على الكوفة فقام بقواته وغزا اذربيجان وموقان والبير والطيلسان ، وفتح الاقاليم وعاد من غزوته .

الموقف على الجبهات الاخرى سنة ٢٤ هـ :

- **الجبهة الشرقية** - احاطت القوات العربية الاسلامية بالهضبة الايرانية .
- **الجبهة الغربية** - فتحت القوات العربية مصر وطرابلس الغرب .
- **البحر** - بدأ معاوية بن أبي سفيان بانشاء السلاح البحري .

التطور في التنظيم والتسليح :

١ - انشأ عمر ديوان الجند لتسجيل المقاتلين وذكر اوصافهم ومقدار رواتبهم.
٢ - انشأ عمر الحصون والمعسكرات الدائمة لراحة الجند عند التحركات والتنقل .
٣ - تم تطوير استخدام الاسلحة الثقيلة كالمنجنيق والضبور - وهو يشبه الدبابة - يصنع من الخشب المغطى بالجلد ويتقدم داخله المقاتلون حتى حصون خصومهم .
٤ - بدأ تنظيم فروع الامداد والتموين بالجيش لامداد المقاتلين بمتطلباتهم الحياتية والقتالية .

تجربة قتالية ناجحة :

تجاه التحديات التي وجهها الروم ضد المنطقة الساحلية بعد وفاة الخليفة عمر ابن الخطاب اصدر الخليفة عثمان بن عفان أمره الى معاوية بن أبي سفيان بتوجيه مجموعة قتالية بقيادة حبيب بن مسلمه الى ارمينيا للرد على اعتداءات الروم .

– انطلق حبيب بن مسلمه واوغل فيما وراء الدروب ، وبلغه ان موريان الرومي قد توجه نحوه في ثمانين الفاً من الروم والترك . فكتب الى معاوية بن أبي سفيان يشرح له الموقف . وارسل معاوية التي وصلته الى الخليفة عثمان بن عفان يعلمه بذلك .

– اراد الخليفة عثمان تخفيف الضغط عن جيش حبيب بن مسلمه ، فاعاد تطبيق الخطة التي وضعها قبله الخليفة عمر بن الخطاب عندما توجهت جيوش الروم الى حمص . فكتب الى الوليد بن عقبه والي الكوفة الرسالة التالية :

[... اما بعد فان معاوية بن ابي سفيان كتب الي يخبرني ان الروم قد أجلبت على المسلمين بجموع عظيمة – وقد رأيت ان يمدهم اخوانهم من اهل الكوفة فاذا اتاك كتابي هذا فابعث رجلاً ممن ترتضي نجدته وبأسه وشجاعته واسلامه في ثمانية آلاف او تسعة آلاف او عشرة آلاف اليهم من المكان الذي يأتيك فيه رسولي والسلام] (١) .

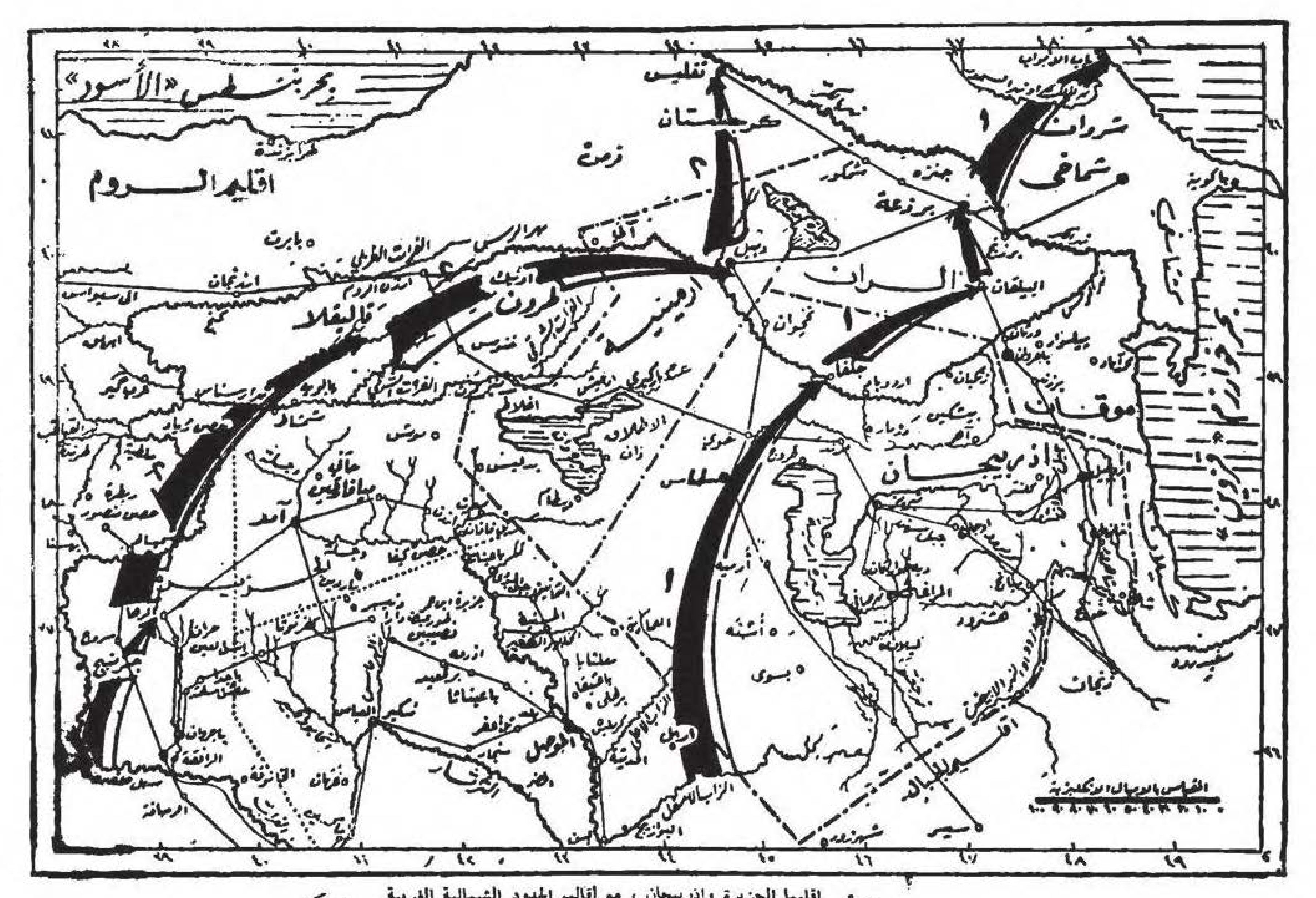
– استنفر الوليد بن عقبة المقاتلين ، وجهز جيشاً من ثمانية آلاف مقاتل وكلف بقيادته سلمان بن ربيعه الباهلي .

– انطلق سلمان بجيشه وتوغل في بلاد الروم ، وقام بسلسلة من الاغارات ، ونجح في ابادة المقاومات التي اعترضت سبيله . وغنم الجيش مغانم كبيرة وحمل معه اعداد كبرى من السبي وعاد بعد ان فتح حصوناً كثيرة .

– كان من نتيجة هجمات سلمان بن ربيعه الباهلي وقوف حبيب بن

---

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٤٣/٣ وتاريخ الطبري ٢٤٦/٤ .



اقليما الجزيرة واذربيجان ، مع أقاليم الحدود الشمالية الغربية

١ - محور تحرك سلمان بن ربيعة الباهلي ٢٥ هـ - ٦٤٥ م بجيش الكوفة .

٢ - محور تحرك حبيب بن مسلمة ٢٥ هـ - ٦٤٥ م بجيش الشام .

مسلمة في موقف القوة فانطلق بهجوم حاسم وصل فيه حتى معسكر خصمه « موريان » وتمزقت قوات الروم وهزمت هزيمة منكرة .

عـاد حبيب من غزوته الى قاليقلا (١) ثم سار منها الى « مربالا » فاتاه بطريق خلاط بكتاب صلح وقعه له عياض بن غنم ، وحمل اليه المال المفروض عليه ، فنزل حبيب في مدينة خلاط ضيفاً على بطريقها ثم سار منها فالتقى بحاكم مكس ، وهي تابعة « للسفرجان » واتفق معه على الصلح ، ثم انتقـل الى ازدشاط – مدينة القرمز – فنزل على نهر دبيل .

ووجه الفرسان الى دبيل فاعتصم اهلها ، ونصب حبيب المنجنيق وصمم على تدميرها ان لم تستسلم له ، فخرج حاكمها وعقد صلحاً مع حبيب .

١ – وجه حبيب مجموعة من الفرسان الى « ذات اللجم » وقاتلوا الروم وألحقوا بهم الهزيمة .

٢ – وجه سرية الى سراج طير وبغروند ، فصالحه بطريقها .

٣ – حضر بطريق السفرجان الى حبيب بن مسلمة وعقد معه اتفاقية للصلح.

٤ – تقدم حبيب الى السيسجان ، فتصدى اهلها لمقاومة الجيش العربي ، ونجح حبيب في إلحاق الهزيمة بهم واحتل حصونهم .

٥ – توجه حبيب الى « جرذان » وحضر بطريقها اليه وعقد معه اتفاقية للصلح .

٦ – سار الى تفليس « التابعة لجرذان » فصالحه حاكمها .

٧ – تابع حبيب عمليات الفتح في نواحي تفليس واخضع حصونها وفتح مدنها .

٨ – كان سلمان بن ربيعة الباهلي قد توجه الى اران ففتح البيلقان صلحاً .

---

(١) قاليقلا : كانت قالي زوجة بطريق ارميناقس ملك ملطية وسيواس وأقصر وقونية وما بعدها من البلاد حتى القسطنطينية وقد امرت قالي ببناء هذه المدينة فسميت قالي قله ، بمعنى « احسان قالي » فدمجت العرب المقطعين باسم قاليقلا .

٩ – وتابع سلمان فتوحه، فوصل مدينة برذعة واقام معسكره على الترثور فقاتل اهلها على ايام متتالية وارغمهم على قبول الصلح .

١٠ – دعى سلمان اكراد البلاشجان الى الاسلام ، فرفضوا وتصدوا لمقاومته فقاتلهم وانتصر عليهم ودخل بعضهم الاسلام وقبل الباقون بالجزية .

١١ – وجه سلمان سرية الى شمكور ففتحوها ثم جاء « السناورديه » فدمرها. وانتهت سلسلة العمليات بالصلح مع صاحب سكر وملك شروان وجميع ملوك الجبال ومسقط والشايران ومدينة الباب .

معاوية يقود غزوة جديدة – سنة ٢٥ هـ :

عندما عاد حبيب بن مسلمة انطلق معاوية وقاد جيشاً داخل الدروب ووصل حتّى عمورية ووجد معاوية ان كافة الحصون بين انطاكية وطرطوس خالية . فنقل اليها مقاتلين من الشام والجزيرة . ثم أغزى معاوية بعد ذلك يزيد بن الحر العبسي ،الصائفة ، وامره ففعل مثلما فعله معاوية ، ولما رجع من غزوته هدم الحصون داخل الدروب حتّى انطاكية .

قصة عربسوس (١) :

قال عمير بن سعد وهو يتحدث الى الخليفة عمر بن الخطاب :

[.. ان بيننا وبين الروم مدينة يقال لها عربسوس ، وانهم يخبرون عدونا بعوراتنا . ولا يظهرونا على عورات عدونا]

واجابه عمر بن الخطاب :

[... اذا قدمت فخيرهم ان تعطيهم مكان كل شاة شاتين ومكان كل بقرة بقرتين ، ومكان كل شيء شيئين فاذا رضوا بذلك فاعطهم اياه واجلهم واخربها ... فان ابوا ذلك فانبذوا اليهم ، وأجلهم سنة ثم اخربها] ..

---

(١) فتوح البلدان ، البلاذري ١٥٥ .

رجـــع عمير بن سعد، وعرض على اهلها الجلاء عن مدينتهم ، فرفضوا ذلك ، وقدم اليهم العروض والمغريات ، ولكنهم استمروا في رفضهم فزحف المسلمون اليها وأحاطوا بها ، وامهلوا اهلها سنة كاملة . وعندما انتهت المدة المحددة تقدم جيش المسلمين وارغم اهلها على الجلاء عنها وهدمها .

كانت هـــذه اول حادثة يتم فيها ارغام السكان على الجلاء عن مناطقهم لضرورات الأمن . ولم يكن هناك حل تبادلي آخر لإيقاف تدخل الروم ووضع حد جذري وحاسم ضد عمل الروم التخريبي في اشعال نيران الثورة المضادة للعرب المسلمين .

قصة الجراجمة (١) :

الجراجمـــة نسبة الى مدينتهم – جرجومة – في جبـــل اللكام – ما بين بانياس – وبوقا قرب اللاذقيه .

كان جبـــل اللكام ، وفيه الجراجمة يخضعون من الناحية الادارية لحاكم انطاكية . وعندما تقدم ابو عبيدة بن الجراح بجيشه الى انطاكية وفتحها ، لزم الجراجمة مدينتهم وخاف قسم منهم وقرروا اللحاق بالروم والانضمام اليهم. لكن ابا عبيدة تركهم ، ولم يوجه اليهم قوة لاخضاعهم .

لم تلبث انطاكيـــة غير قليل حتى أعلنت تمردها بتأثير من الروم فوجه ابو عبيدة بن الجراح قوة لاخضاعها بقيادة حبيب بن مسلمة الفهري ، وتمكن حبيب من فتحها ثانية ، ثم وجه قوة الى الجرجومة ، فلم يقاتله أهلها وأسرع وفد منهم لمقابلة حبيب طالباً عقد صلح مع المسلمين . وقد نصت اتفاقية الصلح على :

[١ – أن يكون اهل الجرجومة اعواناً للمسلمين – وأن يقوموا بتنظيم المسالح ومراقبة الحدود في جبل اللكام .

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٤٧ و ٤٠٠ وتاريخ البلاذري ١٥٩ – ١٦٣ .

٢ ـ ان ينفلوا اسلاب من يقتلون من اعداء المسلمين اذا حضروا معهم حرباً في مغازيهم .

ومقابل ذلك فقد اسقطت الجزية عن الجراجمة ..]

وطبقت نصوص هذه الاتفاقية على المقيمين في المنطقة من الانباط والتجار والعمال الزراعيين ـ الاجراء ـ وسمي هؤلاء ـ بالرواديف ـ لانهم لحقوا بالجراجمة وهم ليسوا منهم .

لم يلتزم الجراجمة بنصوص الاتفاقية المعقودة مع المسلمين فكانوا يتظاهرون بالخضوع عندما يكون الحكم قوياً ويعلنون التمرد اذا شعروا من الحكم ضعفاً . وكانت الاتصالات بينهم وبين الروم مستمرة وبقي وضعهم كذلك حتى ايام مروان بن عبد الملك .

بدأت حركة التمرد بثورة عبدالله بن الزبير في الجزيرة ، واستيلاء مصعب بن الزبير على العراق . ومطالبة عبد الملك اخاه ان يجعل الخلافة له بعد وفاته وخلال هذه الفترة من الاضطرابات ، انطلقت قوات من الروم الى جبل اللكام . وانضم اليها الجراجمة ، وتوجهوا جنوباً حتى سيطروا على لبنان واصبحوا يهددون دمشق .

كان الحكم قد انتهى الى عبد الملك بن مروان ، ووجد عبد الملك ان الموقف يتطلب مهادنة الروم وانصارهم الجراجمة حتى يتفرغ لحرب مصعب ابن الزبير . وذلك في سنة ٦٨ هـ ـ ٦٨٧ م . وصالحهم على الف دينار يدفعها لهم كل اسبوع .

عندما انتهى عبد الملك بن مروان من تصفية ثورة مصعب بن الزبير وقضى على تمرد عمرو بن سعيد بن العاص. وجه سحيم بن المهاجر الى زعيم الجراجمة . فوزع سحيم قواته ثم تقدم الى « الرومي » متظاهراً بعدائه لعبد الملك واستثار زعيم الجراجمة ضده ووعده بتقديم الدعم وكشف نقاط الضعف اذا زحف الى دمشق وعندما شعر سحيم ان اللحظة المناسبة قد حانت نظم

قواته وقام بهجوم مباغت قتل فيه زعيم الجراجمة وقادة الروم وتمزقت القوات والتجأ قسم من الجراجمة الى قرى حمص ودمشق ورجع اكثرهم الى قراهم في جبل اللكام . كما رجع الانباط الى قراهم ومدنهم ورجع العبيد الى مواليهم .

كـــان من بين العبيد الذين انضموا الى الجراجمة ميمون الجرجماني ، وكان عبداً رومياً لبني ام الحكم اخت معاوية بن ابي سفيان – وهم ثقفيون – وقد نسب ميمون الى الجراجمة لاختلاطه بهم وخروجه معهم الى جبل لبنان وبلغ عبد الملك بن مروان عنه البأس والشجاعة فطلب من مواليه اعتاقه ، ثم وجهه عبد الملك على رأس قوة من الجند الى انطاكية واشترك مع مسلمة بن عبد الملك في غزو الطوانة ومعه الف مقاتل من انطاكية وابلى بلاء حسناً قبل ان يقتل ، وعندما بلغ عبد الملك خبر استشهـــاده وجه جيشاً كبيراً لغزو الروم طلباً لثأر ميمون .

وفي سنـــة ٨٩ هـ – ٧٠٧ م . اجتمع الجراجمة في جبل اللكام ، ووصلهم دعم وجهه اليهم الروم من الاسكندرية وروسس . فوجه اليهم الوليد بن عبد الملك جيشاً بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك فحاصرهم وفتح الجرجومة، وأجبروا على الجلاء عن منطقتهم والاقامة في دمشق وخصصت لهم رواتب ثابتة وما يكفيهم من الأغذية والطعام ، وتركت لهم حريتهم الدينية فلم يرغم من اولادهم ونسائهم أحد على ترك النصرانية كما لم يؤخذ منهم او من نسائهم واولادهم الجزية وسمح لهم بتقليد المسلمين في ثيابهم ومرافقتهم لهم في غزواتهم مقابل ما يستولون عليه من غنائم واسلاب لكل من يقتلونه مبارزة . وفرض على الاغنياء والتجار منهم ما يفرض على اموال المسلمين ، ثم دمرت مدينتهم الجرجومة فانتقل قسم من الجراجمة الى تيزين وحمص ونزل بطريقهـــا بانطاكية ثم هرب منها الى بيزنطه .

الدروس المستخلصة من عمليات فتح الشام :

آ ـ في الاستراتيجية العليا :

١ ـ الانطلاق من قاعدة قوية وامينة :

يظهر الحرص على تطبيق هذا المبدأ من خلال حدثين بارزين . اولهما عندما ارسل الخليفة عمر الى يزيد بن أبي سفيان يطلب اليه توجيه معاويةلفتح قنسرين نظراً لان بقاء هذه المدينة في وسط البلاد المفتوحة يشكل مقاومة جانبية تغري الروم بتوجيه قوات لدعمها . وهي بالاضافة الى ذلك تهدد مؤخرة القوات الزاحفة الى الشمال .

أما الحدث الثاني فهو عودة أبي عبيدة بن الجراح لفتح البلاد المتمردة بتحريض من الروم ومعاودة فتح بعلبك ، وحمص ، وقيسارية قبل متابعة التحرك لفتح حلب او الانطلاق غرباً الى انطاكية او شرقاً الى الجزيرة الشامية .

٢ ـ وضوح الهدف :

كان هدف الجيوش العربية منذ غادرت الجزيرة هو إزالة دولة الروم وانتزاع الشام من قبضتهم وتحريرها . ولهذا فعندما انتهى فتح دمشق اندفعت القوات لمتابعة واجباتها في مختلف الاتجاهات ، فتوجه أبو عبيدة وخالد بن الوليد شمالا ، واندفع عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة جنوباً الى الاردن وفلسطين ودفع يزيد معاوية لفتح المدن الساحلية . واخذت القوات تنتقل من موقعة الى موقعة ومن مدينة الى مدينة حتى تم لها تحقيق الواجب المحدد لها .

إن هذا الوضوح في الرؤيا والوضوح في تحديد الهدف هو العامل الذي مكن القادة من انجاز واجباتهم بعيداً عن الارتجال ودونما تردد أو تهاون .

٣ ـ حرمان العدو من موارده الاقتصادية :

ان تحرير الشام في حد ذاته هو عملية حرمان بيزنطه من مواردها الاقتصادية وتقليص رقعة دولتها وحصرها ضمن حدود ضيقة .

اما على مستوى العمليات فقــد استهدف القادة وبصورة مستمرة حرمان العدو من موارده الاقتصادية ، وانتزاع المواد التموينية من قبضته والاسراع بتوجيه قوات للاغارة على ارتال امداداته . وكان حرمان القوات من الموارد الاقتصادية عاملا حاسماً في ارغام هذه القوات على التّراجع والانسحاب بعد ان اصبحت جميع خطوطها التموينية مهددة . كما ان تضييق الحصار على المقاومات كان من العوامل الحاسمة التي ارغمت هذه المقاومات في حمص وبعلبك على الاستسلام .

٤ – ردع العدو عن التفكير في تغذية الثورة المضادة :

عندمـــا هربت قبيلة اياد بن نزار الى « بيزنطه » ارسل الخليفة عمر رسالة الى ملك الروم – قسطنطين بن هرقل – طالباً اعادة القبائل الملتجئة اليه مهدداً باجراء مماثل .. مما ارغم قسطنطين على تنفيذ طلب الخليفة عمر ..

وعندمـــا تقدمت قوات الروم بهجومها عام ١٧ هـ . كان الرد المباشر هو ارسال اربعة مجموعات قتالية لغزو ما وراء الدروب ، وتهديد الروم داخل بلادهم .

ان هذه الاجراءات كانت البداية في تنظيم اسلوب الردع ضد الروم بهدف منعهم من التفكير في تغذية الثورة المضــادة وقطع جميع الروابط التي كانت تصل بين الروم وبين اهل البلاد .

٥ – الابقاء على العنصر العربي :

اعز الله العرب بالاسلام ، وكان على العرب واجب ثقيل هو حمل الرسالة الى جميع انحاء الدنيا . ولهذا كان الانسان العربي عزيزاً على قيادته . وكانت القيادة تحرص باستمرار على عدم زج القوات الابعد اعداد الظروف المناسبة .

عندما هاجم الروم حمص في عام ١٧ هـ. رفض ابو عبيدة مجابهتهم والتعرض لهم . وكتب الى الخليفـــة عمر فعمل الخليفة على فتح جبهة ثانية وارسل قوات

دعم الى حمص . وعندما شعر ابو عبيدة انه اصبح قادراً على مجابهة الموقف قام بتنظيم هجومه ونجح في تدمير قوة الروم وتمزيقها .

وعندما وجـه ابو عبيدة ميسرة بن مسروق العبسي لغزو ما وراء الدروب، وجابه ميسرة قوات متفوقة وجه ابو عبيدة بسرعة قوات كبرى بقيادة مالك الاشتر النخعي لدعمه كما وأمر ميسرة بالرجوع حرصاً على حياة العـرب المسلمين .

وعندما وجـه الروم قوات كبيرة بقيادة الموريان لمجابهة حبيب بن مسلمة اصدر الخليفة عثمان اوامره الى الوليد بن عقبة لتوجيه قوة تتوغل في ارمينيا من أجل دعم مسلمة .

هذه بعض الملامح التي تظهر حرص القادة بداية من الخليفة وحتى قادة العمليات على حياة العرب المسلمين الذين كان عليهم حمل واجب نشر الدين الاسلامي .

٦ ـ تنظيم العلاقات العامة في المجتمع :

كان الهدف من ردع العدو عن التفكير في تغذية الثورة المضـادة وحرص القيادة على العنصر العربي هو من اجل اقامة سلم دائم تعيش فيه جماهير البلاد التي فتحها المسلمون في أمن واستقرار مما يمهد السبل للتفاهم المتبادل ونشر دين الاسلام باقناع وحكمة عملا بقوله تعالى .

[أُدْعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة] .

ولقد كانت سلسلة المعاهدات والاتفاقيات التي عقدت مع حكام اهل البلاد خطوة في مجال تنظيم العلاقات العامة وبناء المجتمع الجديد على اسس من الخير والحق والعدالة .

ان حادثة جبلة بن الايهم ، هي من الشواهد الرائعة على الاسس التي بنى عليها العرب المسلمون مجتمعهم . وكان للمعاملة الطيبة التي قابل بها العرب

المسلمون اهل البلاد من العوامل الاساسية التي ساعدت على تحقيق الهدف النهائي وهو اقامة المجتمع العربي المسلم .

ب – في تطبيق مبادىء الحرب :

١ – المبادأة :

لقـــد كانت المبادأة في قبضة قادة العرب المسلمين منذ لحظة مغادرة طلائعهم الجزيرة العربية واستمر القادة في الحفا ظ على المبادأة .

وكان القـــادة يرفضون باستمرار ارادة العدو في فرض مكان المعركة وزمانها ويمتنعون عن زج قواتهم قبل اعداد الظروف المناسبة لتحقيق النصر .

لقـــد تجمعت قوات « ارطبون » في اجنادين ، وارسل عمرو بن العاص قوات لحصار ايلياء والرملة بهدف عزل قواتهما عن التدخل في المعركة .

وارســـل الخليفة عمر اوامره الى يزيد بتوجيه معاوية لفتح المدن الساحلية . كما ارسل اوامره بتوجيه قوة لحصار غزة بقيادة علقمة بن محرز ومنع حاكمها الفيقار من توجيه قوات لدعم « ارطبون » .

ثم اخـــذ عمرو بن العاص يستعد لقتال خصمه ، ويجمع المعلومات عنه وينتظر قوات الدعم التي وجهها اليه الخليفة عمر . وعندما تهيأت له اسباب النصر قام بتنفيذ معركته وهو على ثقة تامة من النتيجة . وحافظ على المبادأة .

هـــذا نموذج وان متابعة مسيرة العمليات تبرز بشكل واضح حرص القادة على الامساك بالمبادأة وعدم السماح للعدو باستلام المبادأة . وكان ذلك من عوامل نصر العرب المسلمين .

٢ – المباغتة :

مبدأ هام من مبادىء الحرب ، اجاد قادة العرب المسلمين استخدامه في جميع معاركهم تقريباً .

فقد استخدم العرب المسلمون صناديق مقفلة للتقرب من شيزر واقتحامها بهدف تحقيق المباغتة .

وتظاهر العرب المسلمون بالانسحاب عن حمص . وتركوا الشؤون الادارية خلفهم بهدف اغراء العدو لمطاردتهم . وعندما نجح مخططهم قاموا بهجوم مباغت وفق اسلوب منظم تمكنوا به من تطويق خصمهم وارغامه على الاستسلام .

وحفروا الحفر في حصار اللاذقية وانطلقوا منها باغارة مباغتة مكّنتهم من الاستيلاء على المدينة .

وكان ظهور مجموعاتهم القتالية في كل مكان امراً مباغتاً لخصومهم .

وكانت المباغتة من العوامل الحاسمة فيما حققه العرب المسلمون من منجزات .

٣ ـ الأمن :

كان قادة العرب المسلمين يحرصون على أمن القوات بهدف الامساك بالمبادأة وتحقيق المباغتة من جهة وبهدف وقاية قواتهم من كل مباغتة . وكانوا يتخذون سلسلة من الاجراءات لتحقيق هذه الغاية منها :

١ ـ عدم تحديد الهدف من التحرك قبل ان تتخذ القوات تشكيلة المسير .

٢ ـ اتخاذ تدابير الامن في الاقامة والتحرك ، ودفع عناصر الاستطلاع في كل اتجاه .

٣ ـ القيام بتحركات خداعية ، لتضليل العدو وعدم تمكينه من تنظيم مقاومات وتظهر الصورة الواضحة في تدابير أمن القتال من خلال متابعة مسير العمليات وبصورة خاصة « عند دفع القوات الى ما وراء **الدروب** » .

٤ ـ المرونة في التحركات :

من دمشق الى بعلبك فحمص ، شيزر ، حماه ثم حمص ، بعلبك ، حمص وبعد

ذلك بعلبك حمص حماه ، حلب ، انطاكية، جبلة، بانياس ، طرطوس ثم العودة الى حمص، حلب، الجزيرة .. ما وراء — الدروب — محور العمليات الأول .

— دمشق ، بيسان — اجنادين — ايلياء — محور العمليات الثاني .

— دمشق ، عكا ، والمدن الساحلية : بيروت ، صيدا ، صور ، محور معاوية بن ابي سفيان .

ومع هذه التحركات الرئيسية كانت هناك تحركات فرعية لمجموعات قتالية أصغر . ولم يكن باستطاعة العرب المسلمين خلال عام واحد هو عام ١٥ هـ. تجاوز هـــذه المسافات وتصفية المقاومات وتحطيم الحصون وتدمير قوات العدو في مجموعة متلاحقة من المعارك ، لولا المرونة الكبرى في تحركاتهم والسرعة في تنفيذ هذه التحركات .

لقد كانت المرونة في التحركات هي البديل عن تفوق الخصم في حجم القوى.

وكانت مرونة القوات العربية الاسلامية من اول العوامل التي ساعدتهم على على النصر وعلى انجاز ما حققوه .

٥ — الاقتصاد بالقوى :

كــان العنصر العربي قليلاً في عدده ، اذا ما قورن باعداد الجيوش المعادية. ولهذا فقد اتبع اسلوب عدم تبديد القوى المقاتلة والحفاظ على القوة الضاربة.

عمل الخلفاء الراشدون على حشد كل الامكانات وزجها في مســارح العمليات وفق اهمية الاهداف .

ثم جاء الامويون فافادوا من كل الامكانات والطاقات التي يمكنها حمل الاعباء عن المقاتلين فنقلوا من البصره الاساورة والزط لتكليفهم باحياء الارض وحماية الثغور .

كــا سمحوا للعناصر غير المسلمة في الاسهام بالقتال وكان ذلك مــن العوامل التي ساعدت على ابقاء العنصر العربي لممارسة دوره القيادي .

وكان لهذه السياسة دورها في بناء المجتمع الجديد بخطوات سريعة وفعالة .

٦ ـ المحافظة على الهدف :

كان الخليفة يحدد الهدف العام .

وكان القادة يحددون الاهداف المتابعة ضمن نطاق الهدف العام ويحصلون على موافقة الخليفة .

وكان الهدف الاساسي هو نشر الاسلام ، وقد جاءت الفتوحات لتحقيق هذا الهدف . ولهذا بقي الهدف الاساسي هو المهيمن على تحديد الهدف العام والاهداف التالية ورافق العمليات في مسيرتها وحتى نهايتها . وقد برهن العرب المسلمون جميعاً وفي كل المستويات على حرصهم التام والتزامهم المطلق بالهدف الذي يعملون له ويقاتلون من اجله ويقيمون السلم وبناء المجتمعات من اجله .

ج ـ في فن القيادة :

ان متابعة مسيرة العمليات تظهر بشكل واضح الكفاءة العالية التي تميز بها القادة من العرب المسلمين في مجال فن القيادة . ويظهر ذلك بشكل خاص من خلال :

١ ـ قراراتهم الصحيحة : « في كل مرحلة من مراحل المعركة » .

٢ ـ عدالتهم في معاملة مرؤوسيهم .

٣ ـ مجابهة المواقف الصعبة بشجاعة .

٤ ـ التصميم على تحقيق الهدف .

٥ ـ الاستماع الى القادة ومشاورتهم .

٦ ـ اختيار القادة الاكفاء للواجبات والاعمال المختلفة .

٧ – تقدير المواقف بشكل جيد – والاخلاص في العمل .

٨ – روح الفروسية .

لقـــد كان عزل الخليفة عمر لقادته خالد بن الوليد وشرحبيل بن حسنة في اطار هذه القيم والمفاهيم .

وكانت حادثة جبلة بن الايهم ضمن اطار هذه القيم والمفاهيم .

وكان سلوك القادة على مسارح العمليات ضمن هذا الاطار ايضاً .

د – العامل المعنوي :

كان العامـــل المعنوي هو العامل الحاسم والاساسي فيما حققه العرب المسلمون من انتصارات . وكانت جذور هذا العامل تستند الى :

١ – الايمان بعدالة قضيتهم – وواجبهم في تعريف العالم على هذه القضية .

٢ – ثقتهم بقادتهم – ثقة تزيل كل عوامل التردد والاحجام .

٣ – غيرتهم واثرتهم – وتفانيهم في حماية اخوانهم في الدين ورفاقهم في السلاح .

هـ – العوامل المساعدة الاخرى :

وهنـــاك مجموعة اخرى من العوامل التي استخدمها العرب المسلمون في حروبهم وكانت عوناً لهم على تحقيق منجزاتهم ومنها :

١ – الاستطلاع المستمر للعدو .

٢ – خداع العدو .

٣ – التمويه .

٤ – استخدام العنف – لاحباط الروح القتالية لدى العدو .

٥ – استخدام اسس الحرب النفسية .

٦ – زج كل الامكانات في المعركة .

القسم الأول

الفصل الرابع

سيطرة العرب المسلمين على حوض البحر الابيض المتوسط

« الغمرات ثم ينجلينا »

صيحة الحرب التي كان يطلقها امير البحر عبد الله بن قيس الحارثي التجيبي .

١ – السيطرة على البحر .

٢ – غزو قبرص .

٣ – يوم ذات الصواري .

٤ – حصار القسطنطينية في عهد معاوية بن ابي سفيان .

٥ – سليمان بن عبد الملك وحصار القسطنطينية .

٦ – مراحل تطور الاسطول العربي الاسلامي .

٧ – الانجازات البحرية في عهد معاوية بن ابي سفيان .

٨ - سلاح البحرية في عهد عبد الملك بن مروان .

٩ - سلاح البحرية في عهد الوليد بن عبد الملك .

١٠ - سلاح البحرية في عهد سليمان بن عبد الملك .

١١ - سلاح البحرية حتى نهاية العهد الأموي .

١٢ - فن الحرب البحري في عهد الامويين .

١٣ - الاسطول العربي في الميزان الاستراتيجي .



ايام البحرية العربية الاسلامية
والسيطرة على البحر الأبيض المتوسط :

ان من يفرض سيطرتـــه على البحر الابيض المتوسط يستطيع التحكم بقارات ثلاث : اوربا ، آسيا ، افريقيا .

ولقد كان لهذا البحر دور كبير في التطورات التاريخية والاحداث المصيرية منذ القديم . وكانت السيطرة عليه هدف كل دولة قامت على سواحله .

عندمـــا فتح العرب المسلمون الشام . واخذوا في بناء دولتهم واستمر النزاع بينهم وبين بيزنطة تطلعت ابصارهم إلى البحر . وكان اول من فكر في انشاء اسطول هو معاوية بن أبي سفيان .

في سنـــة ١٧ هـ – ٦٣٨ م . كتب معاوية الى الخليفة عمر يستأذنه فـــي ركوب البحر . فكتب الخليفة عمر الى واليه في مصر عمرو بن العاص كتاباً جاء فيه : – صف لي البحر – وراكبه فان نفسي تنازعني اليه واجابه عمرو :

[اني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير . إن ركن خرّقَ القلوب وإن تحرك زاغ العقول . يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة هم فيه كدود على عود . ان مال غرق وان نجا برق] (١)

فلما قرأه الخليفة عمر كتب الى معاوية :

[لا والذي بعث محمداً بالحق ، لا أحمل فيه مسلماً ابداً] .

---

(١) برق – اصيب بالذهول والدهشة – تاريخ الطبري ٢٥٨/٤ .

لم يصـــب معاوية باليأس ، وعندما تولى عثمان بن عفان خلافة المسلمين اعاد معاوية المحاولة ، ووافق الخليفة عثمان على ركوب البحر بشروط :

[لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم ، خيِّرهم فمن اختار الغزو طائعـــاً فاحمله وأعنه ...]

اسرع معاويـــة لاستنفار العمال ومن لهم خبرات في صناعة السفن وحشدهم في عكا ورمم الحصن والمرفأ :

[وجعله داراً لصناعة السفن وتجهيز الاسطول العربي واعداده . كما رمم مدينة صور وشحنها بالمقاتلة ... وقد كانت الصناعة بساحل الاردن على عهد معاويـــة في مدينـــة عكا ، كمـــا كانت السفن تبنى في أيام معاوية في سواحل الشام ، صور وعكا وطرابلس] (١) .

ويصنف ابن خلدون هذه المرحلة بقوله : (٢)

[... لما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم تقرب كل ذي صفة اليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية امماً . وتكررت ممارستهم البحر وثقافته . واستحدثوا بصراء بها . فتاقت نفوسهم الى الجهاد فيه وأنشأوا السفن والشواني(٣) . وشحنوا الاساطيـــل بالرجال والسلاح وامطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من امم الكفر . واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان اقرب الى هذا البحر وعلى حافته مثل الشام وافريقيا والمغرب والاندلس .

استمرت الحملات البحرية للروم والفرنجة والقوط على شواطىء البلدان التي اصبحت تحت حكم العرب المسلمين وتركزت هجماتهم بصورة خاصة

---

(١) فتوح البلدان — البلاذري — ١٢٤ .

(٢) مقدمة ابن خلدون .

(٣) جمع شونه وهي المركب المعد لحمل الجنود ونقلهم .

علـى المدن مثل قرطاجـة وسبيطلة وجلولاء ومرناق وشرشال وطنجة . وعندما انهى معاوية استعداداته ، قاد اول عملية للغزو .

غزو قبرص – ٢٨ هـ – ٦٤٨ م (١)

عين معاوية بن أبي سفيـان لقيادة القوات البحرية عبدالله بن قيس الجاسي حليف بني فزارة ، وكان من رجال البحر المعروفين .

ركب معاويـة بن أبي سفيان البحر ومعه زوجته ، وركب معه ابو ذر الغفاري وعبادة بن الصامت ومعه زوجته ام حزام والمقداد وابو الدرداء وشداد بن اوس ومجموعة من الصحابة وانطلق من عكا في اتجاه قبرص .

وفي الوقت ذاتـه توجه قائد اسطول مصر عبدالله بن سعد فغادر الاسكندرية متوجهاً الى قبرص .

والتقت قوات الاسطولين ، ونزل المشاة الى الجزيرة ، واسرع حاكم الجزيرة فعقد صلحاً مع معاوية ، ونصت اتفاقية الصلح على ان يكون اهـل قبرص عوناً للمسلمين وان يرسلوا لهم المعلومات عن تحرك اسطول الروم ، وترك معاوية في الجزيرة قوة لحمايتها وعاد الى عكا .

كانت هذه الغزوة هي بداية النشاط البحري للعرب المسلمين واول التحديات لقواتهم البحرية . ثم تابع عبدالله بن قيس نشاطه فقام بتنفيذ خمسين اغارة ما بين صائفه وشاتيه . حتى سمي ملك البحر . ولم يغرق في غزواته احد ولم ينكب احد .

في عام ٥٧ هـ – ٦٧٦ م . خرج عبدالله في استطلاع شخصي وحده ونزل كريت متنكراً ، وسأله بعض الناس صدقة فتصدق عليهم ، وعادت امرأة من المتسولين بسرعة الى قومها ، وقالت لهم هل ادلكم على عبدالله ، وكان

---

(١) تاريخ الطبري ٢٥٨/٤ . والتاريخ الكامل لابن الأثير ٤٨/٣ . وتاريخ البلاذري ص ٢٣٦

القوم بين مصدق لها ومكذب ، واسرع بعضهم اليه وقاتلوه فقاتلهم ، وتمكنوا منه فصرعوه .

افلت الملاح الذي كان يرافقه فعاد الى سفيان بن عوف الأزدي ، القائد الثاني للقوات البحرية ، فخرج اليهم وقاتلهم وجعل يستثير اصحابه ، ويشتمهم ، فقالت جارية عبدالله : واعبدالله ! ما هكذا كان يقول . فسألها سفيان : وكيف كان يقول ؟ فاجابته :

« الغمرات ثم ينجلينا » .

وردد المقاتلون « الغمرات ثم ينجلينا » ، ونجحوا في تدمير اكبر قوة للمقاتلين ومزقوهم .

عندما سئلت المتسولة : كيف عرفت عبدالله ؟ قالت :

[كان كالتاجر فلما سألته اعطاني كالملك . او كما يعطي الملوك – ولم يقبض قبض التجار] .

وانتهت بذلك حياة افضل من قاد البحرية العربية الاسلامية في عهد تطورها ونشوئها .

في عام ٣١ هـ – ٦٥١ م . حدثت معركة « الأساورة » .

وفي عام ٣٢ هـ – ٦٥٢ م . تقدم اسطول الشام بقيادة معاوية حتى وصل القسطنطينية ، وكان امير البحر عبدالله بن قيس .

في عام ٣٣ هـ – ٦٥٣ م . نقض حاكم قبرص اتفاقيته المعقودة مع معاوية ، فاعار الروم بعض القطع البحرية ، مما دفع معاوية الى توجيه قوة مكونة من خمسمائة مركب وحاصر قبرص حتى فتحها عنوة .

بعد ان تم فتح الجزيرة جهز معاوية جيشاً من اثني عشر الف مقاتل ونقله الى قبرص بمهمة حماية الجزيرة ، فاقام هذا الجيش ، وعمر المساجد ، واستطاع ان يشكل تهديداً قوياً لأساطيل الروم وتحركاتهم البحرية . وقد استمر

بقاء هذا الجيش في قبرص حتى ايام يزيد بن معاوية وتم خلال هذه الفترة من حكم معاوية بناء الحصون واقامة المراصد .

عاود اهـل قبرص تمردهم واتصلوا بالروم في عام ١٢٥ هـ فعمـل الوليـد بن يزيد على تجهيز جيش بقيـادة اخيه الغمر بن يزيد بن عبدالملك ، وعين الأسود بن بلال المحاربي اميراً للبحر ، وتوجهت هذه القوة الى قبرص ، وعاودت احتلالها وخيروا اهلها بين المسير الى الشام او الالتحاق ببلاد الروم واختار قسم من السكان الذهاب الى بلاد الشام فحملوا اليها . ورغب القسم الآخر الالتحاق ببلاد الروم فانتقلوا اليهـا وارسلت قوات عربية للبقاء في الجزيرة .

يوم ذات الصواري ٣٤ هـ – ٦٥٤ م (١) :

عـين الخليفة عثمان بن عفان لامارة البحر في مصر عبدالله بن سعد بن ابي سرح وقد بذل عبدالله جهده لتنظيم القوة البحرية وتجهيزها . واشترك مع اسطول الشام في غزو قبرص .

وضـع الروم مخططاً لتدمير الاسطول العربي الاسلامي ،فاتصلوا بأنصارهم لتدمير الاسطول في ميناء طرابلس ، وهو الاسطول الذي كان معاوية قـد حشده لغزو القسطنطينية . وقام العملاء وانصار الروم باحراق الاسطول وهربوا الى القسطنطينية . ثم تحرك قسطنطين بن هرقل على رأس اسطول ضخم يضم الف قطعة بحرية لغزو الشواطىء العربية .

اسرع عبدالله بن سعـد بن ابي سرح باسطوله والتقى باسطول الشام ولم تكن قطع هذا الاسطول تزيد على مئتي قطعة ، ثم ابحرت قطع الاسطول العربي بحثاً عن هدفها ، وعثرت على هذا الهدف بين جزيرة رودس ومدينة الميرة قريباً من السواحل الجنوبية لآسيا الصغرى .

---

(١) تاريخ الطبري ٢٨٨/٤ وفتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم ص ٢٥٥ .

التقـــى اسطول الروم والاسطول العربي ، ونزلت قوات المشاة بقيادة بسر بن ارطأة وجابهت قوات مشاة الروم وربط رجال البحرية العربية القطع البحرية للروم واجتذبوها حتى وقفت الى جوار قطعهم ، ودارت معركة طاحنة أبيدت فيها قوات الروم وأغرقت القطع البحرية بكاملها تقريباً واصيب هرقل بجراح وهرب بمركب من المراكب في اتجاه عاصمته القسطنطينية .

لقـــد حطمت هذه المعركة التي حملت اسم ذات السواري Phoenwx اسطورة سيادة الروم على البحر الابيض المتوسط ، ولم يعد يحمل اسم الروم كما كان سابقاً بل اصبح يحمل اسم بحر الشام . وكان من اول النتائج . نقـــل قيادة القوى البحرية للروم الى غرب البحر الابيض المتوسط واصبحت القاعدة « صقليا » هي القاعدة الجديدة لاسطول الروم بعد ان اصبح عاجزاً عن مجابهة تحديات الاسطول العربي الاسلامي .

افـــاد العرب من تجربة استخدام غير المسلمين في بحريتهم ، وقرروا بعد احراق الاسطول في طرابلس عدم السماح لغير العرب المسلمين العمل بسلاح البحرية العربية الاسلامية .

اعتمـــد معاوية بن سفيان على القبائل اليمنية بالدرجة الأولى للعمل في سلاح البحرية . وكان لذلك اثره في زيادة شأن اليمنية وضعف القيسية وكان السبب في ذلك على ما قاله معاوية هو عناد القيسية ونكدهم ، وقد خطب معاوية في أهل اليمن عندما حشدهم في عكا ووجههم للغزو البحري :ـ

[اني ايمن بكم واعرف طاعتكم. وقيس فيهم خلاف ونكد في غزوالبحر] (١)

وكان معاوية في البداية لا يفرض في الديوان من العطاء الا لأهل اليمن وهم عامة جند الشام وغالبيتهم حتى كثرت اليمن وعزت وضعفت القبائل العدنانية في الشام ففرض عندئذ معاوية لاربعة آلاف من قبائل قيس في ديوان الجند ان

---

(١) الاغاني ١٧٢/٢ .

يأخذوا الاعطيات المقررة للجند . وكان معاوية بعد ذلك يغزو اليمن في البحر ويغزو قيساً في البر ثم صار يعقب بينهم في البحر ثم صار يعقب بينهم في غزو البر والبحر .

معاوية يحاصر القسطنطينية ٥٤ - ٥٧ هـ - ٦٧٣ - ٦٦٧ م :

الوضع العام : استهدف معاوية بن ابي سفيان منذ سمح له الخليفة عثمان بن عفان بركوب البحر تحطيم سيطرة الروم « بيزنطة » على حوض البحر الابيض المتوسط .

وكانت معركـــة السواري بداية لانتزاع هذه السيطرة ، ثم تابع معاوية سياسته في انتزاع السيطرة من قبضة الروم وتقليص نفوذهم تدريجياً .

عندمـــا انتهى امر الخلافة الى معاوية بن ابي سفيان ، والتقت كلمة العرب عنده في « عام الجماعة » سنة ٤٠ هـ . واستمر الروم في تحدياتهم وغزواتهـــم قرر معاوية تطوير اسلوبه القتالي والانتقال من الدفاع الى الهجوم ووضع في مخططه غزو القسطنطينية ذاتها .

الغزوات التمهيدية :

١ - في عام ٢٥ هـ قاد معاوية غزوة الشاتية حتى وصل عمورية ، ونقـــل جماعات من اهل الشام والجزيرة الى الحصون والمدن التي نزح اهلها عنها بين انطاكية وطرطوس .

٢ - في عام ٣٢ هـ تقدم معاوية بغزوته ومعه زوجته عاتكه ابنة قرطة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف ، ووصل القطسنطينية واقام عند اسوارها .

٣ - في عام ٥٠ هـ ، وجه معاوية جيشاً كبيراً تدعمه قوة بحرية ضخمة لحصار القسطنطينية بقيادة سفيان بن عوف - وكان ابنه يزيد في قيادة هذا الجيش - لكن يزيد تظاهر بالمرض وعدم الرغبة في مرافقة الجيش وترك له معاوية حرية مرافقة الجيش او التخلف .

سار سفيان بن عوف الازدي بالقوات براً وقاد بسر بن ارطأة الاسطول البحري ووصلت القوات واطبقت على العاصمة القسطنطينية وشددت الحصار حولها .

طالت فترة الحصار وحدثت اشتباكات دامية بين الروم والعرب المسلمين . وسقط في الاشتباكات اعداد كبيرة من القتلى ، وتناقصت المواد الغذائية على العرب المسلمين وانتشرت الامراض والأوبئة في صفوف المقاتلين .

عندما بلغ ذلك يزيد بن معاوية ، انشد يقول :

ما ان ابالي بما لاقت جموعهمُ … بالفرقدونة من حمى ومن موم

اذا اتكأت على الانماط مرتفقاً … بدير مران عندي ام كلثوم (١)

كـــان معاوية يتابع موقف قوات العرب المسلمين في حصار القسطنطينية فجهز جيشاً كبيراً لدعم القوات وزوده بكميات كبيرة من الاغذية والتموين. وعندما وصله ما قاله ابنه يزيد، اقسم ان يلحقه بسفيان حتّى يشارك العرب المسلمين مصابهم . وسار يزيد في الجيش الذي ضم ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وابو ايوب الانصاري وعبد العزيز بن زرارة الكلابي وغيرهم مـــن اشجع المقاتلين وزعماء العرب .

وصلت قـــوات الدعم الى القسطنطينية واستمرت المعارك الضاريـــة وكان عبد العزيز الكلابي يندفع متهوراً على امل ان تدركه المنية في اعماق بلاد الروم ، وكان يردد في غزواته :

قد عشت في الدهر اطواراً على طرق … شتّى فصادفت منها اللين والبشعا

كلاً بلوت فلا النعماء تبطرني … ولا تخشعت من لأوائها جزعـــا

لا يملأ الامر صدري قبل موقعه … ولا اضيق به ذرعاً اذا وقعـــا

واخيراً ــ وفي احدى المعارك الطاحنة ــ احيط بعبد العزيز من قبل مجموعة

(١) وام كلثوم زوجة يزيد وهي ابنة عبدالله بن عامر . التاريخ الكامل لابن الاثير ٢٢٧/٣ .

كبيرة من جند الروم وقاتلهم حتى قتل ولما بلغ ذلك معاوية وكان والده زير الكلابي في حضور المجلس ، قال معاوية :

والله هلك فتى العرب .

فقال زير :

ابني او ابنك .

فقال معاوية :

ابنك . فأجرك على الله .

فرد الكلابي :

فان يكن الموت اودى به   واصبح مخ الكلابيٍّ زيرا
فكل فتى شارب كأســه   فاما صغيراً وامــا كبيرا..

كان المقاتلون من العرب المسلمين يتفاخرون بمن استشهد في بلاد الروم ، وكان فخر الشهادة يتزايد كلما تزايد مكان الاستشهاد عمقاً في بيزنطة ، ومن اقوالهم المتواترة :

لأن نموت بحرستا احب الينا من ان نموت بلمشق ولأن نموت بلوما احب الينا من ان نموت بحرستا .

وكان الصحابي ابو ايوب الانصاري يتوق لمثل هذه الشهادة فاندفع يقاتل بحماسة وتهور حتى أصيب بجراح بالغة وعندما عرف ان المنية تقترب منه اوصى بدفنه في اقرب نقطة من القسطنطينية فدفن عند اسوارها .

عندمـــا شعر معاوية ان حملته البحرية ــ البرية لن تتمكن من تحقيــق هدفها اصدر اوامره اليها بالانسحاب ، ورفعت القوات الحصار عــن القسطنطينة وتراجعت القوات البحرية في الوقت الذي كانت فيه القوات البرية تنسحب عن طريق انطاكية ، درب الشاتية .

الحصار الطويل :

تابع معاوية بناء قواته المسلحة واستعداده القتالي :

فدفع بسر بن ارطأة وسفيان بن عوف الى داخل الدروب وكلفهم بالتوغل لاشغالهم عن الاستعداد .

كما دفع فضالة بن عبيد الانصاري لمتابعة نشاطه البحري وحماية السواحل العربية .

وفي عـــام ٥١ هـ ، كلف فضالة بن عبيد الانصاري بقيادة الشاتية في بلاد الروم ، كما عين عروة بسر بن ارطأة لغزو الصائفة .

وفي عـــام ٥٢ هـ ، وجه بسر بن ارطأة لقيادة الشاتية ، والحق به محمد بن عبد الله الثقفي بشاتية اخرى ، وكان محور مسيرهما – ثغر انطاكية – مـــا وراء الدروب .

وفي عـــام ٥٣ هـ ، وجه معاوية لقيادة الشاتية والي قنسرين « عبد الرحمن ابن ام الحكم » كما وجه شاتية اخرى بقيادة محمد بن عبدالله الثقفي .

عندمـــا انهى معاوية استعداداته ، اصدر اوامره الى القوات الارضية ، بمغادرة الثغور والتوجه الى القسطنطينية ، وفي الوقت ذاته تجمعت في ميناء عكا ١٧٠٠ قطعة بحرية وانطلقت في اتجاه بحر مرمرة ، وتمركزت في منطقة سيزيك وغلطة ، وكانت القيادة كالتالي :

١ – القيادة العامة : الصحابي فضالة بن عبيد الانصاري ، ٥٣ – ٥٧ . (١)

٢ – امير البحر ، الصحابي عبد الله بن قيس الحارثي التجيبي ٣٤ – ٥٧ هـ .

٣ – معاون امير البحر ، جنادة ابن ابي امية ٥٣ – ٦٠ هـ .

٤ – امير غازية الشام « اسطول الشام » زيد بن شجرة الرهاوي ٤٩–٥٨ .

---

(١) مدة قيادتهم الفعلية – فتوح البلدان – البلاذري ص ٢٣٦ وخطط المقريزي ج ٢ – ١٩٠ – ١٩١ .

تقـدم الاسطول العربي ـ الاسلامي ،وسيطر على السواحل الشرقية لبحر إيجة وقامت القوات باحتلال جزيرة شاموس Sawos ، واسخيروس Skiros وشيو Chio وسيونوس Siwnos وارادوس Arados وذلك تمهيـداً لحصار القسطنطينية وعزلها . ثم تابعت قطع الاسطول تقدمهـا حتى وصلت هدفها وضربت حصاراً حوله .

شـددت القوات العربية الاسلاميـة قبضتها وعزلت المدينة عزلاً يكاد تاماً ما عدا الناحية الشمالية على البحر الاسود حيث كان يتوفر لها الامداد من بلغاريا « بلاد برجان » .

عندما طالت فترة الحصار ، قسم عبد الله بن قيس الحارثي قطع الاسطول الى ثلاث مجموعات بهدف الحفاظ على الاستعداد القتالي باستمرار وكان التقسيم على الشكل التالي :

١ ـ مجموعة لحصار القسطنطينية وحصارها مباشرة .
٢ ـ مجموعة تتمركز عند الجزر وفي مدخل البحر .
٣ ـ مجموعة في وضع الاستراحة وتتمركز عند الشواطىء الغربية لبحر ايجه .

وكانت القوات التي في الاستراحة هي الاحتياطي الذي يقع عليه دعـم المجموعتين الأولى والثانية اذا ما تطلب الامر ذلك .

وقد نظم التناوب بين هذه المجموعات بشكل دوري .

احتلال رودس :

خـلال فترة الحصار توجه جنادة ابن ابي امية مع قوة بحرية الى رودس واحتلها عام ٥٣ هـ ـ ٦٧٢ م ، ونقل اليها جماعة من العرب المسلمين ، فزرعوا الأرض وشيدوا المساكن . ويصف الطبري حياة العرب المسلمين في جزيرة رودس بقوله :

[... وكانوا اذا امسوا دخلوا الحصن ، ولهم ناطور يحذرهم ما في البحر ممن يريدهم بكيد . فكانوا على حذر منهم وكانوا اشد شيء على الروم . فيعترضونهم في البحر . فيقطعون سفنهم . وكان معاوية يدر لهم الارزاق والعطاء . وكان العدو قد خافهم . فلما مات معاوية ، اقفلهم يزيد بن معاوية] .

وكان ذلك في عام ٦٠ هـ = ٦٧٩ م.

استمر الحصار اربعة اعوام كاملة ، كانت خلالها الصوائف والشواتي ترفد باستمرار القوات العربية المحاصرة للقسطنطينية ، وتقدم لها الدعم والمساعدة. وقد صمدت عاصمة بيزنطة للحصار بفضل الامدادات التي كانت تصلها من بلغاريا .

في نهاية ٥٧ هـ ، وبينما كانت القوة الاحتياطية للاسطول العربي تتقدم لاخذ دورها في الحصار وتبديل القوة السابقة لها ، هبت موجة عاتية من الاعاصير مزقت تجمع قطع الاسطول وقذفت ببعضها الى الساحل الشرقي من القسطنطينية في « بانفليه Banphylie » وتعاونت النيران اليونانية التي قذفها البيزنطيون مع العواصف التي حطمت عدداً كبيراً من قطع الاسطول العربي لتضع نهاية الحصار .

وجد معاوية نفسه مرغماً امام المأساة التي نزلت باسطوله ان يهادن اعداءه فعقد صلحاً مع ملك الروم لفترة ثلاثين عاماً .

سليمان بن عبد الملك وحصار القسطنطينية(١) .

كان عمر سليمان بن عبد الملك في الحكم قصيراً ، فقد حكم ما بين ٩٦-٩٩ هـ = ٧١٤ - ٧١٧ م.

---

(١) المراجع : تاريخ الطبري ٥٢٣/٦ - ٥٣٢ - التاريخ الكامل لابن الأثير . وفتوح البلدان البلاذري ، وابن عساكر - مخطوط .

ركز سليمان جهده السياسي وامكاناته الاقتصادية ، وقواتـه العسكرية والبحرية لحصار القسطنطينية منذ لحظة توليه الخلافة .

فدفـع عام ٩٧ هـ ـ ابنه داود بن سليمان لقيادة الصائفة فافتتح حصن المرأة ، كما دفع في السنة ذاتها اخاه مسلمة لغزو ارض الروم وقيادة الشاتية .

الاستعداد للغزو :

حـدد سليمان « مرج دابق » شمال حلب ، منطقة لحشد القوات واصدر اوامره لزج كل الامكانات القتالية وجمع كافة الاسلحة والاعتدة من مجانيق ونفط وعرادات وادوات حصار ونقلها الى منطقة الحشد .

ثم اصـدر اوامره الى امراء دمشق ، حمص ، قنسرين ، الجزيرة ، الاردن ، فلسطين ، جند مصر ، اهل الحجاز ، ، اهل البصرة من اجل توجيه قواتهم الى منطقة الحشد .

تجمع في منطقة الحشد ١٢٠,٠٠٠ مقاتلاً ، وانتهت عملية جمع مواد التموين والامداد والاسلحة ، فاصدر الخليفة سليمان اوامره الى قادته بالاستعداد للتحرك ونظم جهاز القيادة على النحو التالي :

١ ـ اخاه مسلمة بن عبد الملك ـ اميراً على الجماعة براً وبحراً ، القائد العام ـ

٢ ـ ابنه داوود بن سليمان ـ معاوناً للامير ، قائداً ثانياً .

٣ ـ عمرو بن هبيرة الفزاري ـ اميراً للبحر ، وقائداً عاماً لاساطيل الشام ، مصر ، افريقيا .

٤ ـ حظي بن كثير الجذامي ـ اميراً للبحر ، قائداً لاسطول الشام في عكا .

٥ ـ المغيرة بن ابي بردة العبدري ـ اميراً للبحر ، قائداً لاسطول افريقيا وتحت قيادته اهل مصر .

٦ ـ شريح بن ميمون المهري ـ اميراً للبحر ، قائداً لاسطول مصر .

٧ ـ ابو عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري ـ اميراً للبحر ، تحت قيادته اهل المدينة .

وكانت عدد قطع الاسطول ١٠٠٠ ألف قطعة بحرية علاوة عـلى قطع نقل الجند وهي تحمل ٨٠,٠٠٠ ، ثمانين ألف مقاتل .

خرج الخليفة سليمان الى مرج دابق لتفقد الاستعدادات ، وعندما عرف انه اصبح بالأمكان اطلاق القوى اصدر اوامره بالتحرك .

التحرك الأرضي ٩٨ هـ = ٧١٦ م :

قاد مسلمة الجيش الارضي عبر الدروب حتى اقترب من القسطنطينية ، بعد ان أمر كل فارس ان يحمل على عجز فرسه مـدّين (١) من طعـام والا يقربهما الا بأمر .

عندما اشرفت القوات الارضية من اسوار القسطنطينية ، اصدر مسلمة اوامرة بتجميع ما حمله الفرسان من حبوب وقال لهم :

[لا تأكلوا منه شيئاً ، اغيروا في ارضهم وازدرعوا .] فعمل الناس بيوتاً من خشب فشتوا بها وزرعوا ، ومكث ذلك الطعام في الصحراء لا يكنه شيء والناس يأكلون مما اصابوا من الغارات ثم اكلوا الزرع .

التحرك البحري والإنزال :

غادر اسطول الشام ميناء عكا متوجهاً الى مصر حيث انضم اليه اسطولها وتابعت قطع البحرية تحركها الى طرابلس فانضم اليهما اسطول افريقيا وتوجه الاسطول بعد ذلك شمالا فاحتل صقليا ، وتابع تحركه محاذياً للسواحل اليونانية حتى وصل شاطىء القسطنطينية .

توقفت القطع البحرية الحاملة للاسلحة الهجومية ومعدات الحصار ، وعددها الف قطعة لحماية «المواعين» ناقلات الجنود ، وتقدمت الناقلات فانزلت ثمانين الف مقاتل عند الساحل الغربي لحصار القسطنطينية من الغرب .

---

(١) المد : مكيال كبير يستعمله اهل الشام في كيل الحبوب بصورة خاصة .

ثم عملت ناقلات الجند على نقل قسم من القوات البرية من الجهة الشرقية الى الجهة الغربية .

الحصار :

عندما أطبقت القوات العربية ـ الاسلامية على القسطنطينية ، واشتد الحصار استنجد ملك الروم بملك البرجان « بلغاريا » ، فنظم البرجان جيشاً كبيراً هاجموا به مسلمة بن عبد الملك من الخلف ، وصمد مسلمة لهذه الجبهة الجديدة ودارت معارك طاحنة اضعفت قوة المسلمين ولكنها لم تنجح في ارغامهم على رفع الحصار عن القسطنطنية ، وعلم الخليفة سليمان بالموقف الذي يجابهه مسلمة فوجه اليه دعماً بقيادة عمرو بن قيس .

في تلك الفترة توفي الامبراطور تيودوزر الثالث ملك بيزنطة ، وكان ليون الثالث على قيادة القوات ، فعهد اليه قادة بيزنطة مهمة اجلاء العرب المسلمين عن القسطنطينية ووعدوه بتسلميه مقاليد الحكم ان نجح في مهمته .

عندما عرف ليون أنه لن يتمكن من مجابهة قوة العرب المسلمين لجأ الى الحيلة وتظاهر برغبته في عقد صلح مع مسلمة وطلب ارسال مندوب عن العرب للتفاوض معه .

ارسل مسلمة مندوباً عنه لمفاوضة الروم ، عمرو بن هبيرة الفزاري القائد العام للاسطول ، وتظاهر ليون بالحاجة للطعام وطلب من عمرو امداده بالأطعمة حتى يستطيع اقناع اهل القسطنطينية بضرورة الصلح ووافق عمرو ابن هبيرة ، ووافق مسلمة ايضاً ، وارسل ليون قطعاً بحرية كثيرة كان قد جهزها وأعدها لهذه الغاية .

فحملت القطع البحرية كل ما كانت تضمه مستودعات العرب المسلمين من طعام وغذاء .

وعندما اطمأن ليون الى سلب جيش العرب المسلمن جميع طعامه ،

عاد في اليوم الثاني بتشديد ضرباته على امل الافادة من موسم الشتاء وما يصيب المسلمين من جوع لرفع الحصار .

صمد العرب المسلمون للبرد وصمدوا للجوع حتى أصبحوا يقتاتون بأوراق الاشجار .

ومات سليمان بن عبد الملك في مرج دابق بعد أن تعهد ألا يغادره حتى فتح القسطنطينية ، ووفى بعهده فبقي مرابطاً في المرج حتى وافته منيته وقواته تحاصر القسطنطينية .

عندما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة خلفاً لسليمان بن عبد الملك ، اراد متابعة الحصار حتى بلغه ما يلقاه المسلمون من البرد والجوع فأرسل أوامره برفع الحصار والانسحاب ووجه في الوقت ذاته قوة من خمسمائة فارس لحراسة رتل امداد وتموين للقوات . كما ارسل الى الاقاليم تعليماته لمعونة الجيش خلال انسحابه ومساعدة مقاتليه .

في يوم من ايام شهر آب ، اغسطس ٧١٧ = ٩٩ هـ رفع الحصار عن القسطنطينية بعد ان استمر عاماً كاملاً .

مراحل تطور الاسطول العربي الاسلامي :

كان الخليفة عمر بن الخطاب يدرك باحساسه العميق الواجبات الثقيلة الملقاة على عاتق العرب المسلمين . وكان يعرف مدى تفوق خصومهم في العدد والتجهيز والتسليح ، ولهذا كان حريصاً كل الحرص على عدم الزج بهم في مجالات وميادين تبدد قواهم وتستنزف طاقتهم . فركز جهده على العمليات الأرضية وحشد الامكانات كلها لكسب المعارك الارضية ، وعندما سيطرت الجيوش الاسلامية على بلاد الشام وفارس ، وازالت الامبراطورية الفارسية وتقلصت رقعة بيزنطة وتوجهت القوات العربية لفتح مصر ، اخذت ضرورة السيطرة على البحر تتزايد يوماً بعد يوم .

وافق الخليفة عثمان بن عفان على طلب معاوية بركوب البحر ، وقد وضع معاوية مخططاته بتأثير عاملين :

١ ـ الرغبة في الدفاع ضد هجمات بيزنطة باسلوب ناجح وفعال ، ومقابلة تحدياتهم بتحديات مماثلة .

٢ ـ الرغبة في الهجوم على بيزنطة ذاتها ، وتصفيتها بعد تقليص نفوذها البحرى وعزلها .

[لما ولي معاوية الخلافة عني بانشاء السفن الحربية لصد غارات الدولة البيزنطية على البلاد الاسلامية . ورتب لغزوها الشواتي والصوائف ووضع نظاماً يكفل استمرار الحرب بينه وبينهم ــ شتاء وصيفاً ــ وبلغ اسطول الشام ١٧٠٠ سفينة] (١) .

لقد سارت عمليات التوسع البحري في خط مواز لعمليات الفتح في شمال افريقيا واسبانيا . ويمكن ملاحظة ذلك في الجلول الملحق والخاص بسيطرة العرب المسلمين على البحر الابيض المتوسط والجزر الموجودة فيه . وكان الخط البياني لتطور سلاح البحرية يسير في الواقع بصورة غير منتظمة نتيجة لعوامل متعددة منها :

١ ـ عدم وجود سياسة ثابتة لدى الخلفاء الامويين .

٢ ـ وجود احداث واضطرابات داخلية تفرض نفسها على الحكم وتصرفه عن فتوحاته الخارجية .

٣ ـ وجود احداث خارجية تتطلب اعطاء افضليات لتحقيق اهداف لها اهمية اكبر بالنسبة للحكم ، مثل مجابهة هجمات خارجية في فارس وشمال افريقيا ، ومجابهة اغارات برية وبحرية من قبل بيزنطة .

---

(١) خطط المقريزي ٢/١٩٥ .

(٢) الجداول الملحقة في نهاية الكتاب .

كان الروم يغتنمون كل فرصة سانحة يتصورون فيها ضعفاً في موقف العرب المسلمين فيقومون بهجماتهم واغاراتهم ، وكانوا يركزون جهدهم بصورة خاصة في مرحلة انتقال الخلافة من خليفة الى خليفة ، ومن حاكم الى حاكم.

وعلاوة على ذلك فقد كان للاوبئة والامراض ولا سيما الطاعون دور كبير في التأثير على القوة البحرية ومن اهم هذه الأوبئة طاعون الشام ٦٤ هـ و ٧٩ هـ ، وطاعون مصر ٧٠ هـ وطاعون البصرة ٦٩ هـ . وطاعون الشام والعراق ١٠٩ هـ ، و ١١٥ هـ و ١٢٧ هـ .

الانجازات البحرية في عهد معاوية :

اتبع معاوية سياسة ثابتة وواضحة في بناء البحرية حسبما هو واضح من مسيرة العمليات التي قادها او وجهها ، ومن خلال ما تركه من آثار وتتلخص هذه السياسة في النقاط التالية :

١ ــ اختيار عكا مركزاً لبناء السفن وقاعدة لانطلاق القوات البحرية .

٢ ــ تجميع مهرة الصناع في ميناء عكا ، وتوفير الامكانات لهم والافادة في ذلك من بقايا الصناع البيزنطيين ، مع الاعتماد على الصناع الذين لهم خبرة من اهل اليمن .

٣ ــ توفير المواد اللازمة لبناء السفن من غابات الشمال ومن الجزر في بحر ايجه والمناطق المتاخمة لبيزنطة .

٤ ــ اعتماد نماذج من السفن والزوارق تستطيع مجابهة قطع اسطول الروم . وقد تميزت قطع الاسطول العربي الاسلامي بكبر حجمها وقدرتها على الحمل وتنوعها . وقد استخدم في غزو القسطنطينية ١٠٠٠ قطعة حاملة للمنجنيق وادوات الحصار والنار اليونانية + ٧٠٠ سفينة «ماعون» ناقل للجند حمولة الواحدة الف مقاتل + ٥٠٠٠ طرادة خفيفة تحمل الواحدة مائة رجل .

٥ ــ استطلاع النشاط البحري البيزنطي ومعرفة اسلوب عمله وطريقته

في القتال ووضع الاسلوب القتالي المتوافق مع اسلوب العدو .

٦ - عزل « بيزنطة » وذلك بالاستيلاء على الجزر القريبة من سواحل الشام ، والجزر المسيطرة على مداخل بحر إيجه ، وتقليص نفوذها البحري تدريجياً ، واستنزاف قوتها .

٧ - الانتقال الى مرحلة متطورة ، واستخدام القوات الارضية والقوات البحرية في عمليات مشتركة ، وتعتبر عملية حصار القسطنطينية نموذجاً لذلك .

٨ - وفي عام ٥٣ هـ = ٦٧٢ م اغار الاسطول البيزنطي على البرلس في عهد ولاية مسلمة بن مخلد ٤٧ = ٦٢ هـ ، وقتل عدد كبير من المسلمين ، فاصدر معاوية اوامره ببناء السفن فيها ، فانشئت ولاول مرة عام ٥٤ هـ دار الصناعة لبناء السفن في جزيرة الروضة .

سلاح البحرية في عهد عبد الملك بن مروان :

كانت الفترة بين نهاية حكم معاوية بن ابي سفيان وخلافة عبد الملك بن مروان حافلة بالفتن والاضطرابات الداخلية مما استنزف امكانات الدولة وصرفها عن واجباتها الخارجية . وافادت بيزنطة من هذا الوضع المتدهور فنظمت مجموعة من الهجمات والاغارات على المدن الداخلية والساحلية . واغارت اساطيلها على قرطاجة في افريقيا في الوقت الذي وصل فيه الجراجمة بقيادة الروم الى جبل الثلج « الشيخ » وجبال الجولان ، ولبنان باكمله .

ادرك عبد الملك خطورة اهمال السلاح البحري . فعين على اسطول الشام ابا خراسان وسفيان الفارسي واصدر اوامره لبناء دار للسفن في تونس. واخذ الاسطول العربي يستعيد قوته تدريجياً .

كانت عملية اعادة بناء الاسطول في عهد عبد الملك ضمن خطة استراتيجية عامة فقد كان الاسطول البيزنطي يمسك بالتجارة ، ويسيطر بهذه الوسيلة على الموارد المادية التي تساعده على بناء قوته ، ولهذا اتخذ عبد الملك الاجراءات التالية :

١ ــ امر بسك النقود العربية « الدينار العربي » وحرم التعامل في جميع الموانىء بالنقد البيزنطي .

٢ ــ عرب الدواوين ، وفرض اللغة العربية على جميع الاتصالات والمراسلات الرسمية والتجارية .

لقد اغضبت هذه الخطة دولة بيزنطة ، ووجدت فيها قضاء تاماً على نفوذها المادي والمعنوي القائم منذ زمن بعيد فهددت دمشق ، لكن عبد الملك صمم على المسير في مخططه حتى النهاية ، فامر بتحريم التعامل التجاري مع « بيزنطة » ونفذ نظام المقاطعة بشكل صارم ، وكان لهذا الاجراء دور حاسم في نقل النشاط التجاري الى قبضة العرب .

كان اول من تولى امارة البحر في اسطول افريقيا ، عطاء بن نافع ، ونجح زيان بن ابراهيم قائد قاعدة تونس ان ينتج في المرحلة الأولى ٨٠ قطعة بحرية وكانت اول عملياته الهجوم على صقليا ، واخذ يبرز من بين قادته اسماء قامت بدور حاسم في المعارك التالية ومنها اسم موسى بن نصير اللخمي .

اصبح السلاح البحري في عهد عبد الملك يعتمد على قواعد ثلاث ، قاعدة الشام في صور ، وقاعدة مصر في جزيرة الروضة ، وقاعدة تونس ، واصبح للمسلمين ثلاثة اساطيل لها واجبات مستقلة ويقودها امراء مستقلون ، وكان هناك امير للبحر يقود الاساطيل الثلاثة في حالة تنفيذ عمليات مشتركة .

سلاح البحرية في عهد الوليد بن عبد الملك :

انتهت عمليات فتح شمال افريقيا بنجاح ، واخذت الانظار تتطلع الى فتح الاندلس والوصول الى القسطنطينية من الغرب بعد فشل محاولات فتحها من الشرق ثلاث مرات ، فوضع الوليد مخططه عمليات الاسطول كالتالي :

١ ــ تحصين ساحل انطاكية ودعمه بالمقاتلين .

٢ ــ تكليف اسطول الشام بواجب حماية السواحل في شرق البحر .

٣ ـ توجيه ثقل اسطولي مصر وافريقيا لمهاجمة سواحل الاندلس الشرقية والانطلاق من جزر صقليا ، وسردينيا ، وميورقة ، ومينورقة وجزر الباليثار في غرب المتوسط .

تنفيذاً لهذه السياسة اعاد الوليد تنظيم اجهزة القيادة ، فكانت في عهده كالتالي :

١ ـ اسطول الشام بقيادة بشر بن الوليد ، وقد اشترك في فتح سردينيا عام ٩٥ هـ .

٢ ـ اسطول افريقيا بقيادة موسى بن نصير يعاونه ابنه عبدالله .

٣ ـ اسطول مصر بقيادة عبدالله بن مالك الابخر .

٤ ـ امير السواحل : مخرمة بن سليمان . وبقي حتّى عام ١٠٢ هـ .

٥ ـ امرة البحر ـ القيادة العامة ، وجاءت على التتابع :

الامير خالد بن كيسان ، اسره الروم واعادوه الى الوليد ٨٧ ـ ٨٩

الامير سحيم بن المهاجر ٨٩ .

الامير حسان بن النعمان الغساني ٩٠ ـ ٩٦ هـ .

الامير عمرو بن هبيرة للفزاري ٩٧ ـ ٩٩ هـ .

انطلقت القوات البحرية ونجحت في احتلال الجزر الواقعة في غرب المتوسط ، والانطلاق منها الى اسبانيا . « راجع الملحق المرفق » .

سلاح البحرية في عهد سليمان بن عبد الملك :

كان اكبر نشاط قام به سلاح البحرية في عهد سليمان بن عبد الملك هو حصار القسطنطينية ومحاولة فتحها ، ولقد تطلب ذلك العناية بالاساطيل .

سلاح البحرية حتّى نهاية العهد الأموي :

تطور اسطول افريقيا بصورة خاصة في عهد عمر بن عبد العزيز وذلك بفضل والي افريقيا اسماعيل بن المهاجر .

وكسر عمر بن العزيز طوق المقاطعـــة الاقتصادية مع الروم منطلقاً في ذلك من ايمانه بحرية الاقتصاد ، وضرورة التعايش بين الشعوب .

[اما البحر فانما نرى سبيله سبيل البر وارى ان لا يحول بين احد من الناس وبينه ، فان البر والبحر لله جميعاً سخرهما لعباده يبتغون فيهما من فضله فكيف نحول بين عباد الله ومعايشهم] .

وفي عهد يزيد بن عبد الملك : تولى قيادة الاساطيـــل « المغيرة بن عبـــيد الازدي »، وتولى امارة بحر مصر يزيد بن مسروق اليحصبي ثم عمرو بن فاتك الكلبي ، كما تولى امارة اسطول افريقيا محمد بن أوس الانصاري . وتولى حماية الساحل ثابت بن معبد المحاربي ، وبقي فيها حتى نهاية العهد الاموي .

وفي عهد خلافة هشام بن عبد الملك : انتقل مركز ثقل عمليات اساطيل مصر وافريقيا الى غرب المتوسط ، وبذل الخليفة هشام جهده لترسيخ دعائم المجتمع العربي في صقليا وسردينيا وجزر الباليتار والاندلس .

وفي عام ١١٦ هـ ـ انتهى العمل في بناء دار الصناعة في تونس .

وبلغت قوة الاسطول اوجها حتى لم يبق في حوض البحر الابيض المتوسط قوة بحرية تستطيع مجابهته او تحديه .

وقامت في عهد الخليفة هشام ، قوة بحرية مكونة من مئتي قطعة ضخمة بغزو كريت تحت قيادة امير البحر المستنير بن الحارث . لكن هذه العملية انتهت بمأساة عندما جابهت العواصف قطع الاسطول اثناء عودته فاغرقت قسماً كبيراً منها .

وقد تميز عهد هشام بظهور عدد من امراء البحر وكبار القادة في اساطيل مصر وافريقيا ، امثال حفص بن الوليد الحضرمي ، وبشر بن صفوان الكلبي ، وابو عبيدة بن عقبة بن نافع ، وقثم بن عوانة الكلبي ، وعبدالله بن عقبة بن نافع ، وعثمان بن ابي عبيدة بن عقبة بن نافع واخوه حبيب بن ابي عبيدة بن عقبة وثابت بن الهيثم وعبدالله بن قطن وغيرهم .

نتيجة لتركيز الجهد البحري في غرب المتوسط واعطاء اسطول الشام مهمة ثانوية هي حماية السواحل ، تضاءلت قوة هذا الاسطول تدريجياً ثم جاءت الاوبئة فاسهمت في اضعاف اسطول الشام حتى لم يظهر له نشاط يذكر في مجابهة بيزنطة باستثناء بعض العمليات الثانوية في بحر ايجه وسواحل بيزنطة .

افادت بيزنطة من هذا الموقف لاعادة بناء قواتها البرية والبحرية ووضعت نظاماً يشابه النظام الذي وضعه العرب المسلمون في تقسيم المناطق ووضع الحاميات وتوحيد السلطة المدنية والعسكرية في قبضة الحاكم العسكري . كما استفاد البيزنطيون من تجارب العرب المسلمين في نقل الطاقات البشرية لاعمار المناطق المهجورة والمدمرة فاستخدموا الصقالبة وغيرهم لاعمار المناطق التي دمرها العرب المسلمون في عمليات الصوائف والشواتي ومنحوا سكان هذه المناطق ميزات خاصة .

واعاد البيزنطيون تنظيم قواتهم البحرية على نحو يشابه التنظيم عند العرب. فشكلوا اساطيلهم على النحو التالي :

١ ـ الاسطول الامبراطوري ، ومركزه القسطنطينية بمهمة العمليات الكبرى وحماية الخطوط الاستراتيجية .

٢ ـ الاسطول القتالي : ويتشكل من مجموعات قتالية واجبها الاغارة على الجزر البحرية التي احتلها العرب مثل كريت وصقليا وسواحل الشام ومصر . وكان يرافق هذه المجموعات قوات من « مشاة البحرية » وعددهم ٥٠٠٠ مقاتل من المردة .

٣ ـ اسطول المناطق : وواجبه « حراسة الشواطىء » ضد هجمات العرب واغاراتهم ويتم صناعة قطع هذه الاساطيل محلياً ، كما تكون الحاميات التي تتولى استخدام هذه الاساطيل من نفس المنطقة التي يتم العمل فيها .

عمل الروم في الوقت ذاته على وضع مخطط لاستنزاف قوة العرب المسلمين بهدف اضعافهم ، فاثاروا ضدهم شعوب القوقاز والخزر في الوقت الذي

كان فيه الجهد العربي موجهاً الى غرب المتوسط واسبانيا بحيث لم يكن باستطاعة القوات والاساطيل هناك تقديم دعم لشرق المتوسط .

عندما عرفت بيزنطة ان الموقف اصبح جيداً لها بعد بناء قوتها نظمت عملياتها للاغارة على سواحل الشام ومصر ، واستعادوا السيطرة تدريجياً على شرق البحر الابيض المتوسط .

في عهد الوليد بن يزيد – تولى المغيرة بن عمير الازدي القيادة العامة للاساطيل البحرية بعد الاسود بن بلال المحاربي ، فوجه اسطولا الى قبرص وخيّر اهلها بين الانتقال الى الشام او النزوح الى بيزنطة ونقل اليها قبائل عربية .

وفي عام ١٢٦ هـ تولى امارة البحر يحيى بن سعيد الانصاري .

وفي عهد مروان بن محمد – اصبحت اساطيل بيزنطة هي المسيطرة على شرق البحر الابيض المتوسط .

فن الحرب البحري في عهد الامويين .

١ – المدن الساحلية والدفاع عنها :

كانت المدن الساحلية ، باستمرار ، هدفاً لغزوات اسطول الروم وهجماته المباغتة ، بداية من انطاكية وحتى الاسكندرية والسويس « القلزم » ونهاية ببجاية في تونس . وقد ركز الروم البيزنطيون هجماتهم على طرابلس وبيروت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب . وقد نظم الامويون الدفاع عن المدن الساحلية بصورة تدريجية على النحو التالي :

١ – الحماية البعيدة :

أ – عن طريق احتلال الجزر القريبة من السواحل ووضع حاميات فيها تقوم بواجبات الرصد ، والانذار ، والتعرض لأساطيل الروم .

ب ـ بواسطة الاسطول الذي يتجول باستمرار على الشواطىء للتصدي لكل عدوان واحباطه .

١ ـ الحماية القريبة ، وتتكون من :

ا ـ الحاميات المقيمة في المدن الساحلية والمتمركزة قريباً من شواطىء الانزال. وقد نظمت هذه الحاميات كقوة مستقلة تخضع لقيادة واحدة ويقودها امير السواحل .

ب ـ الحماية المباشرة ، وتقوم بها القوات التي تستنفر وتحشد من المناطق الداخلية وتوجه الى المدن والثغور ، وتخضع لقيادة امير السواحل وتبقى هذه القوات متمركزة في المدن الساحلية حتى عودة القوات البحرية من الغزو .

ج ـ الحماية غير المباشرة ، وهي بمثابة القوات الاحتياطية المتمركزة في المناطق الداخلية وهي في حالة استعداد دائم للقتال من اجل دعم المدن الساحلية في حال وقوع عدوان عليها .

فكان جند حمص هو القوة الاحتياطية لدعم حاميات طرطوس وقيه وبانياس وجبلة ومركزه قنسرين .

جند الاردن ومركزه طبريا ، وواجبه دعم حاميات صور وعكا .

جند فلسطين ومركزه الرملة ، وواجبه دعم حاميات قيسارية ، ارسوف يافا ، عسقلان ، غزة ، سواحل مصر ، رفح ، العزما ، العريش ،الاسكندرية

جند دمشق ، ومركزه دمشق ، وواجبه دعم حاميات صيدا وبيروت وجبيل وطرابلس .

٢ ـ الركوب والتجمع البحري والانزال :

بعد ان تكون القوات المكلفة بحماية السواحل قد وصلت من الداخل ، من المدينة والحجاز الى مصر ، ومن الشام وحمص الى عكا والساحل ، تبدأ الاستعدادات للتحرك ، وعندما يعطى الامر بالمسير تتم العملية كالتالي :

١ ـ تندفع القطع البحرية الثقيلة حتّى عرض البحر لحماية عملية الركوب .

٢ ـ تصعد القوات الى المّواعين ، ناقلات الجند .

٣ ـ تنظم الحماية بدفع الزوارق الخفيفة في كل اتجاه .

٤ ـ تتخذ المراكب اماكنها في رتل المسير .

اذا كان التحرك نحو الشمال ، بيزنطة ، واذا كانت العملية كبيرة يتّم تجمع الاسطولين المصري والسوري اما في عكّا أو في الاسكندرية ، على نحو ما حدث في حصار القسطنطينية .

اما اذا كان التحرك غرباً فيتّم الالتقاء عند الهدف ، كما حدث في فتح قبرص . واما ان يتّم التجمع في المياه المصرية .

وعندما تطورت العمليات في غرب المتوسط ، اصبح مقر التجمع في تونس .

ـ عندما تصل قوات الاسطول الى اهدافها تقف القطع البحرية الثقيلة المحملة بالمنجنيق وادوات الحصار على مسافة بعيدة لحماية الإنزال ،وتتقدم ناقلات الجند حتّى الساحل ويتّم الانزال ، واذا تطلب الامر دعم القطع البحرية تبدأ هذه بتقديم دعمها من مواقعها او تتقدم حتّى تصل على ارتفاع وحدات المشاة البحرية .

اما اذا حدث الالتقاء مع قوات العدو البحرية ، فتعمل البحرية العربية على التقرب حتّى مسافة الالتحام وتلقي بالحبال فوق قطع العدو البحرية وتشدها اليها وتربطها بقطعها ويتّم الالتحام فوق قطع الاسطول بعد ان تكون قد استنزفت قوة العدو برميه بواسطة النبال من مسافة بعيدة وضمن حدود الاصابة.

وفي حالات الانزال الكبرى يتّم انزال نصف قوة المشاة الى اليابسة لخوض المعركة الارضية بينما يبقى نصف القوة الآخر فوق قطع الاسطول للالتحام مع العدو ، كما حدث في معركة ذات الصواري .

عند الانتهاء من المعركة او الانزال تعود القطع البحرية الى قاعدتها في

تشكيل القتال ، وتتخذ تدابير الحيطة ، ثم تبدأ بمباشرة دورها في الدفاع القريب عن الساحل بعد انسحاب الحاميات التي كلفت بحماية المدن والساحل اثناء غياب الاسطول .

الاسطول العربي في الميزان الاستراتيجي :

يفصل البحر الابيض المتوسط بين قارات ثلاث : اوربا وآسيا وافريقيا وهو بدوره نقطة التقاء هذه القارات ، ونتيجة لهذا الموقع الاستراتيجي الهام فقد كان محور صراع طويل منذ اقدم العصور وحتى ايامنا وسيبقى كذلك دائماً على الرغم من تطور وسائل المواصلات وتقدمها . وليس الصراع الحالي بين اكبر قوتين في العالم المعاصر الا ظاهرة من ظواهر الصراع الطويل للسيطرة على البحر الابيض المتوسط .

ان من يسيطر سيطرة تامة على البحر الابيض المتوسط يستطيع فرض وجوده على المدن الواقعة على سواحل هذا البحر والانطلاق منها للسيطرة على مراكز الثقل في القارات الثلاثة .

لقد ادرك الخليفة الاموي معاوية بن ابي سفيان هذه الحقيقة ، فركز جهده لبناء القوة البحرية وعرف الامويون بعد ذلك اهمية البحر فمنحوه الافضلية الاولى في مخططات عملياتهم . وسارت عمليات تطور البحرية في خط مواز للعمليات البرية . وامكن بذلك بناء الدولة الاموية القوية .

كان الهدف الأول للامويين تصفية الدولة البيزنطية ، ورغم فشلهم في القضاء عليها على نحو يماثل قضاء العرب المسلمين على الدولة الفارسية ، الا ان بناء قوتهم البحرية ساعدهم على تقليص نفوذ دولة بيزنطة حتى اقتصرت في عهد معاوية وسليمان على مدينة القسطنطينية وحدها .

— كما ان سيطرة الامويين على البحر الابيض المتوسط قد حطمت معنوياً نفوذ بيزنطة ، وجاءت الاجراءات الاقتصادية مثل فرض النقد العربي في

التعامل التجاري واستخدام اللغة العربية لاكمال بناء نفوذ الدولة العربية دولياً على حساب تحطيم سيطرة بيزنطة .

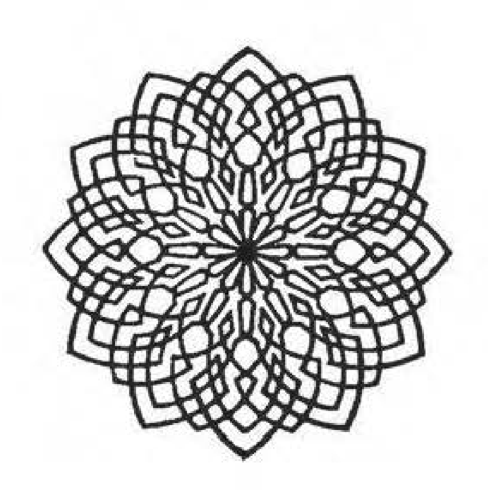
ولقد اسهمت الاساطيل البحرية في غزو ايطاليا وفتح اسبانيا ، وكان التنسيق الكامل بين عمليات القوات البرية والقوات البحرية من المعالم الرائعة في مخطط العرب الاستراتيجي .

نجح الاسطول العربي الاسلامي في تحقيق الاهداف المحددة له .

١ ـ فاستطاع ـ على المستوى التكتيكي ـ حماية السواحل وتحقيق الامن المباشر للدولة العربية .

٢ ـ ونجح ـ على المستوى الاستراتيجي ـ في بناء الدولة العربية الاسلامية، وتحطيم نفوذ بيزنطة بالدرجة الأولى ، واسهم في عمليات فتوح الجزر، وفي فتح اسبانيا .

٣ ـ وحقق في مجال فن الحرب نجاحات رائعة كانت مصدراً من المصادر الهامة في تطوير الاساطيل البحرية عبر التاريخ .



القسم الأول

الفصل الخامس

الثغور - الصوائف والشواتي

[والله لوددت ان الدرب جمرة بيننا وبينهم ، لنا ما دونه وللروم ما وراءه] ..!

الخليفة عمر بن الخطاب ، في تنظيم الثغور وتوجيه الصوائف والشواتي وراء الدروب .

« اليعقوبي ٢ / ١٣٣ »

الموقف العام سنة ١٦ هـ . عندما قدم الخليفة عمر لعقد صلح مع القدس :

حمص وقنسرين .

انهى ابو عبيدة بن الجراح ومعه خالد بن الوليد فتح كافة المناطق الشمالية بداية من انطاكية وحتّى الجزيرة الشامية .

فلسطين والاردن : نجح عمرو بن العاص في تصفية كافة المقاومات بعد معركة اجنادين ، كما نجح شرحبيل بن حسنة بفتح بقية مناطق فلسطين .

وجاء الخليفة عمر فتوج عملية الفتح بعقد صلح مع اهل القدس .

دمشق : استطاع يزيد بن ابي سفيان ومعه معاوية فتح المدن الساحلية ، وانصرف لبناء المجتمع الجديد .

عندما شعر الروم ان الامر قد افلت من ايديهم ، بدأوا باتباع خطة جديدة وهي التحريض على الثورة المضادة ، ودعموها بالقادة والرجال ، وأمدوها بالغذاء والاموال .

تعاريف :

١ـ الثغور ـ هي المدن والمراكز المجاورة لحدود « بيزنطة » وكان يتم في هذه المدن والمراكز حشد الجيوش وتنظيمها والانطلاق بها للغزو او للصوائف والشواتي . ومن هذه الثغور : قنسرين وانطاكية . وقد اطلق عليها هارون الرشيد اسم العواصم .

٢ ـ الدروب ـ هي المحاور التي تخترق سلسلة الجبال الفاصلة بين بلاد

الشام وبيزنطة واشهرهذه الدروب محور انطاكية ــ المصيصة ــ اقليم آيدن ــ القسطنطينية . ومحور الجزيرة ــ مرعش ــ طوانة ــ عمورية ــ القسطنطينية .

٣ ــ **الصوائف** ــ هي القوات الكبيرة التي تنتظم في جيش واجبه غزو بلاد الروم في الصيف . وكانت الصائفة تقوم بالغزو :

[اذا دخل الخريف وطاب الهواء بعد ان يكون الناس قد اربعوا دوابهم وحسنت احوالهم واحوال خيولهم وقوي وسمن الظهر الحامل للناس فيجتمع المجاهدون للدخول في الصائفة الى ارض العدو ، ثم يغزون لعشر تخلو من تموز فيقيمون فيها الى وقت قفولهم منها ستين يوماً او اكثر] (١)

٤ ــ **الشواتي** ــ هي القوات الكبيرة التي تنتظم في جيش واجبه غزو بلاد الروم في الشتاء ما بين اوائل شهر آذار ــ مارس ــ حتى نهايته . وتكون واجبات الشاتية اقل عمقاً واكثر قرباً من الحدود الاسلامية للافادة من فترة ضعف العدو وعدم استعداده ، وتوجيه ضربة قاسية ثم الانسحاب .

٥ ــ **المسالح على الحدود** : المسالح هي مراكز المراقبة المتقدمة واجبها مراقبة العدو ، والانذار ، ثم الانضمام الى الجيش . اما مسالح الحدود فلها واجبات اخرى :

[وينبغي للامام ان تكون له مسالح على المواضع التي تنفذ الى بلاد اهل الشرق من الطرق ، فيفتشون من مر بهم من التجار . فمن كان معه سلاح أخذ منه ورد . ومن كان معه رقيق رد . ومن كانت معه كتب قرئت كتبه مما كان من خير من اخبار . وبعث الى الامام ليرى فيه رأيه . ولا ينبغي للامام ان يدع احداً ممن أمر من اهل الحرب وصار في ايدي المسلمين يخرج الى دار الحرب راجعاً الا ان يفادى به . فاما من غير الفداء فلا] (٢)

---

(١) نبذ الخراج ــ لابن خرداذبة ص ٢٥٩ .

(٢) الخراج لابي يوسف ــ ص ٢٢٦ .

البحر الأسود
القسطنطينية
قزل أحمدلي
البحر الابيض المتوسط
الشام
سيواس
قونية
قرمان
كرميان
صاروخان
المقياس بالاميال الانكليزية

الثغور – او العواصم – في بلاد الروم

الثغور الشامية (١) :

كان الروم قد اقاموا بين الاسكندرونة وطرطوس سلسلة من الحصون والقلاع والمسالح ، وعندما فتح العرب المسلمون بلاد الشام وانسحب الروم الى بلادهم اصطحبوا معهم سكان هذه المنطقة فاصبحت خالية من السكان . وقد استهدف الروم من عملية ترغيب السكان بالجلاء عن مدنهم وقراهم ثلاثة اهداف :

١ - تدمير المنطقة وافقارها من اليد العاملة الزراعية وتحويلها الى منطقة مهجورة .

٢ - زج القوات او مجموعات قتالية صغيرة منها في الحصون والمسالح لقطع طريق العودة على قوات المسلمين عند غزوها ما وراء الدروب .

٣ - نصب الكمائن في المسالح لاصطياد المتخلفين والعناصر المنعزلة من العرب المسلمين لاحباط الروح المعنوية لدى العرب المسلمين .

كان ابو عبيدة بن الجراح اول من وصل بغزواته « الصائفة » الى الحصون فيما وراء الدروب ، فمر بالمصيصة وطرطوس وقام بجولة على الحصون المحيطة بهذه الثغور فوجدها خالية من السكان . ثم دفع ميسرة بن مسروق العبسي فبلغ زنده ثم عاد بصائفته .

عندما تمردت انطاكية بعد فتحها بفترة قصيرة بتأثير من الروم اعاد ابو عبيدة فتحها ووجه قوة عن طريق درب بغرامس بقيادة ميسرة ، والتقى ميسرة بجيش من الروم ومعهم مستعربة غسان وتنوخ واياد يريدون اللحاق بهرقل ، وبعد معركة قاسية وعنيفة وصلت امدادات الى ميسرة ونجح في ابادة قوات كبيرة من مقاتلي الروم ومزقهم ، وكان ميسرة بذلك اول من سار في الدروب .

---

(١) فتوح البلدان . البلاذري ص ١٦٢ .

في عام ٢٥ هـ . قام معاوية بقيادة الصائفة وتوجه بها عبر الدروب الى الثغور المتقدمة ووجد معاوية ان الحصون بين انطاكية وطرطوس خالية . فنقل اليها جماعة من اهل الشام وقنسرين واصبحت انطاكية في زمن الخليفة عمر ومن بعده الخليفة عثمان هي الثغر الرئيسي لانطلاق الصوائف .

ثم قام بعد ذلك يزيد بن الحر العبسي في قيادة الصائفة وفعل مثلما فعله معاوية .

وفي عام ٣١ هـ . قام معاوية بقيادة الصائفة من ناحية المصيصة ووصل حتى درولية وخلال عودته دمر جميع حصون الروم التي في طريقه حتى وصل انطاكية .

وضع معاوية مخططاً لمجابهة مخطط الروم يتلخص بالتالي :

١ - نقل السكان واقطاعهم القطائع من الأرض الموات[١] بهدف تعمير المدن وحراسة الحصون وحماية المسالح .

٢ - عدم السماح للمقاتلين بالسير على شكل مجموعات صغيرة او بشكل افرادي .

٣ - وضع قوة كافية لحراسة الدروب والثغور عند توغل الصائفة في ارض الروم وتبقى هذه القوة حتى عودة الصائفة من غزوتها .

٤ - دفع مفارز كثيرة من عناصر الاستطلاع في كل اتجاه، وعدم تجاوز التحصينات الابعد استطلاعها .

٥ - عدم السماح للعدو بفرض المعركة على المسلمين وذلك عن طريق التزام

---

(١) الأرض الموات هي ارض ليس فيها اثر بناء ولا زرع ولم تكن فيئاً لاهل القرية ولا مسرحاً لهم ولا موضع مقبرة ولا محتطب ولا موضع مرعى دوابهم واغنامهم بملك لاحد ولا في يد احد . الخراج ، لأبي يوسف ٢٣٦ .

المقاتلين باوامر القيادة وعدم الدخول في معركة الا بعد الحصول على موافقة القائد (١) .

في عام ٨٣ هـ . قاد عبد الله بن عبد الملك بن مروان قوة الصائفة وسار بها من درب انطاكية ، ووصل المصيصة ، فبنى فيها حصناً على انقاض حصنها القديم ، ووضع بها قوة من الجند فيهم ثلاثمائة مقاتل اختارهم من بين افضل المقاتلين قوة وعناداً وشجاعة في القتال . ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك فبنى فيها مسجداً فوق تل الحصن ، ثم تقدم حتى وصل « حصن سنان » فحاصره ثم فتحه . ووجه يزيد بن حنين الطائي الانطاكي لتنفيذ اغارات على المنطقة المحيطة بالحصن واصبحت المصيصة المركز المتقدم الذي تتقدم اليه القوات « الطوالع » من انطاكية فتقيم فيه فصل الشتاء ، وكان حجم هذه « الطوالع لا يقل عن ١٥٠٠ ـ ٢٠٠٠ مقاتل .

عندما تولى هشام بن عبد الملك الخلافة كلف حسان بن ماهوية الانطاكي بناء المثقب ، وحصنها وحفر خندقاً عميقاً حولها .

كما أمر هشام بن عبد الملك ببناء حصن « قطر غائس » وكلّف عبد العزيز ابن حيان الانطاكي ببنائه وتحصينه .

وفي عهد هشام تم بناء حصن « بوقا » .

عندما جاء الوليد بن يزيد بن عبد الملك امر ببناء جسر المصيصة ، بعد تسعة اميال عنها وذلك لعبور قوات الصوائف .

---

(١) لا تسري سرية الا باذن الامام « الخليفة » او من يوليه على الجيش ولا يحمل رجل من عسكر المسلمين على رجل من المشركين ولا يبارزه الا باذن امير الجيش . الخراج ، لابي يوسف ٢٣٦ .

الثغور الجزرية (١) :

١ ـ شمشاط : طلب الخليفة عثمان بن عفان من واليه في الشام معاوية بن ابي سفيان ان يوجه قوة لفتح شمشاط في ارمينيا الرابعة ، فوجه معاوية حبيب ابن مسلمة الفهري وصفوان بن معطل السلمي ففتحاها بعد حصارها بضعة ايام ، وحصناها .

٢ ـ ملطية : وجه عياض بن غنم قوة قتالية من شمشاط الى ملطية بقيادة حبيب بن مسلمة الفهري . نجح حبيب بن مسلمة في فتح ملطية ، ثم تمردت واعلنت الثورة. وعندما اصبح معاوية بن ابي سفيان والياً على الشام والجزيرة وجه من جديد قوة بقيادة حبيب بن مسلمة ، ففتحها عنوة ، ووضع بها قوة مرابطة من العرب المسلمين . وعندما مر بها معاوية اثناء غزوه لبلاد الروم ترك فيها قوة من اهل الشام والجزيرة وغيرهما ، واصبحت ملطية منطلق الصوائف وفي ايام ثورة عبدالله بن الزبير انسحب المقاتلون منها وجاء الروم فلمروها ثم اخلوها ، فنزل بها قوم من النصارى ، الارمن ، والنبط .

٣ ـ طرنده : في عام ٨٣ هـ . تقدم عبدالله بن عبد الملك بن مروان في غزواته حتّى وصل طرندة التّي تبعد ثلاثة مراحل عن ملطية ، فعمرها العرب المسلمون وشيدوا فيها منازل السكن . وكانت طلائع الصائفة تتقدم حتّى ملطية وتقيم فيها حتّى هطول الثلج وقدوم فصل الشتاء . وعند ذلك يعود جند الجزيرة الى معسكراتهم . عندما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ، اشفق على اهل طرندة من غزوات الروم فطلب الى سكان طرندة الجلاء عنها ، ففعلوا وهم كارهون وحملوا معهم جميع متاعهم وانتقلوا الى ملطية بعد ان دمروا طرندة ، وولى عمر على ملطية والياً هو حجونة بن الحارث احد بني عامر بن صعصعة . وفي

(١) نسبة الى الجزيرة الشامية ـ فتوح البلدان ـ البلاذري « الثغور » ص ١٦٢ وما بعدها .

عام ١٣٣ هـ . افاد الروم من الاضطراب بين انهيار الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية فهاجموا ملطية ودمروها ، وعندما جاء المنصور اعاد بناءها .

٤ – **مرعش** – فتح خالد بن الوليد مرعش عام ١٧ هـ ، ثم غزاها سفيان ابن عوف الغامدي سنة ٣٠ هـ ، وتوغل في بلاد الروم .

عندما جاء معاوية اعاد تحصينها ونقل اليها جنداً للمرابطة فيها . وتزايدت اغارات الروم عليها في عهد يزيد بن معاوية ، فرحل عنها العرب المسلمون .

وعندما تولى عبد الملك بن مروان وحدث خلاف في البيت الاموي قام الروم باغارات على الثغور فصالحهم عبد الملك واتفق معهم على دفع مبلغ من المال اسبوعياً . وفي عام ٧٢ هـ قام محمد بن مروان بقيادة الصائفة وتصدى له الروم في شهر جمادى الأولى فاندفع المسلمون لقتالهم بقيادة ابان بن الوليد ابن ابي معيط ، وبعد معركة عنيدة وحاسمة نجح ابان في ابادة مجموعات كبيرة من جيش الروم وأسر اعداداً كبرى عند مرعش .

ثم تقدم دينار بن دينار مولى عبد الملك بن مروان فالتقى بمجموعة قتالية من الروم عند جسر يغزا في شمشاط ، فالحق بهم الهزيمة ومزق تجمعهم .

بعد المعركة اقام العباس بن الوليد بن عبد الملك في مرعش فشيدها واقام التحصينات فيها ونقل اليها جماعات من العرب المسلمين وبنى فيها مسجداً ، وكلف اهل قنسرين بتجهيز قوة سنوياً للتمركز في مرعش .

عندما تولى مروان بن محمد الخلافة واعلن اهل حمص تمردهم ضده افاد الروم من التمزق الداخلي وتقدمت قواتهم وحاصرت مرعش وارغمت اهلها على الصلح ، والجلاء عنها . وعقد الصلح عامل مروان على مرعش الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي ، فخرج الجند الى قاعدتهم في قنسرين ورجع اهل الجزيرة الى مناطقهم في الجزيرة وهدم ملك الروم قسطنطين بن اليون المدينة وتحصيناتها .

عندما انتهى مروان من تصفية الثورة المضادة في حمص ، وجه جيشاً الى مرعش وأمر باعادة بنائها وتحصينها .
عاد الروم فدمروها عند انتقال الحكم الى العباسيين وعندما تولى ابو جعفر المنصور الخلافة كلف صالح بن علي باعادة بنائها .

٥ ـ **الحدث** ـ غزا عبدالله الخثعمي من اهل فلسطين بلاد الروم مرات عديدة ، وكان يسمى ملك الصوائف وقد جعل من الحدث قاعدة له وحصنها ، وفي غزوته عام ٣٦ غنم غنائم كثيرة ثم رجع حتى وصل درب الحدث وقبل ان يصل المدينة بخمسة عشر ميلا توقف عند رهوة لفترة ثلاثة ايام فباع الغنائم وقسم الفيء على المقاتلين فسميت تلك الرهوة رهوة ملك .

٦ ـ **زبطره** ـ كانت زبطرة حصناً قديماً للروم فتحها حبيب بن مسلمة عندما فتح حصن الحدث . وفي ايام الوليد بن يزيد نظم الروم هجوماً قوياً ونجحوا في تدمير زبطرة . وأعيد بناؤها بعد ذلك ، لكن البناء لم يكن قوياً ومحكماً ، فعاود الروم هجومهم ايام حكم مروان بن محمد ودمروها واعاد المنصور بناءها .

تطور الصوائف والشواتي :

انتزع العرب المسلمون من بيزنطة مجالها الحيوي عندما انتصروا عليها واجلوا قواتها عن بلاد الشام ، ووجد الروم انفسهم ضمن حدود ضيقة وفي مواقع الخطر من التهديد الدائم بالغزو مما حفزهم على متابعة الحرب وخوض المعارك باستمرار لتحقيق هدفين :

١ ـ الدفاع عن وجودهم واستنزاف قوة العرب المسلمين بحروب مستمرة .
٢ ـ الهجوم في كل مرة تسمح لهم الظروف بذلك على أمل معاودة فرض سيطرتهم

وأخذت حروب بيزنطة ضد العرب المسلمين شكل هجمات مباغتة واغارات خاطفة دون فكرة الاستيطان الدائم او الاقامة المستمرة ، وكان الهدف الأول لهذه الهجمات والاغارات تدمير المدن الساحلية بداية من انطاكية وحتى الاسكندرية وتونس علاوة على المدن الداخلية المتاخمة لحدود بيزنطة . وقد تركت هذه الاعمال رواسب سيئة في نفوس قادة العرب المسلمين نظراً لتناقض هذه الاعمال مع تطلعاتهم في تحقيق الامن والاستقرار خلال مرحلة بناء المجتمع الجديد .

كان الخليفة عمر بن الخطاب يعرف الاعباء الثقيلة الملقاة على عاتق جند العرب المسلمين ، وكان يدرك التفوق العددي الساحق لاعداء الأمة العربية الاسلامية . ولهذا كان يرغب في عدم زج قواته في معارك تستنزف قدراتهم القتالية دون تحقيق نصر حاسم . ولما تكررت هجمات الروم واغاراتهم قال :

[والله لوددت ان الدرب جمرة بيننا وبينهم . لنا ما دونه وللروم ما وراءه] (١)

قام الروم بهجوم مضاد كبير عام ١٧ هـ وحشدوا انصارهم من الجزيرة ووصلت قواتهم الى حمص ، فتصدى لهم ابو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد ، ووضع الخليفة عمر مخططه لاحباط هذا الهجوم – راجع معارك الشام– ثم انتقل الى الجابية لمعالجة الموقف . وعندما تمت تصفية قوات الهجوم ، قسم البلاد الى اربعة مناطق عسكرية ، واصدر اوامره بتوجيه الصوائف من الثغور الجزرية والثغور الشامية ووضع اساس هذه العمليات الدائمة واصبح والي حمص هو المسؤول عن توجيه قوة الصائفة عبر الدروب الى الثغور الشامية كما اصبح والي الجزيزة هو المسؤول عن توجيه قوة الصائفة عبر الدروب الى الثغور الجزرية .

---

(١) اليعقوبي ١٣٣/٢ .

عندما تولى الخليفة عثمان بن عفان مقاليد الأمة وتوحدت الشام في قيادة سياسية وعسكرية واحدة بولاية معاوية بن ابي سفيان . اخذت عمليات الصوائف والشواتي اهمية خاصة ، واصبحت ذات اهداف واضحة اهمها :

١ – وقاية الحدود والاقاليم المتاخمة لبلاد الروم .

٢ – ردع بيزنطة وارغامها على توزيع قواتها بحيث لا تستطيع القيام بهجمات حاسمة وقوية ضد الاقاليم العربية .

لقد توضحت في ذهن معاوية معالم استراتيجية الردع فعبر عنها بقوله :

[شدوا خناق الروم فبها تضبطون بقية الامم] (١)

وتنفيذاً لهذه الاستراتيجية عمد معاوية الى تكثيف الصوائف والشواتي وزيادة قوتها ، مع تنظيم عملياتها في مخطط واحد مع عمليات القوات البحرية على نحو ما حدث في حصار القسطنطينية الأول والثاني .

نتيجة لذلك لم تعد اعمال الصوائف والشواتي مجرد اداة تعبوية لحماية الحدود بل تحولت الى اداة استراتيجية هدفها استنزاف قوة الروم وتدمير قدرتهم العسكرية وارغامهم على اتباع الاسلوب الدفاعي لحماية مدنهم وحدودهم وانتزاع المبادأة من ايديهم .

تابع الخلفاء الامويون تنفيذ هذه السياسة واستمرت عمليات الصوائف والشواتي في تصاعد حتى وصلت ذروتها ايام الوليد وسليمان بن عبد الملك بحيث اصبح يخرج في العام اكثر من صائفتين وشاتيتين . ونظراً لما كانت عليه هذه العمليات من الأهمية فقد كان يتولى قيادتها الخلفاء او ابناؤهم واخوانهم او كبار القادة وقد ظهر خلال هذه المعارك ابطال خالدون امثال حبيب بن مسلمة الفهري وبسر بن ارطأة وسفيان بن عوف الغامدي « اليمني » ومالك بن عبدالله

---

(١) ابن عساكر ، ترجمة عبدالله البطال .

الخثعمي «اليمني » ، وعبدالله البطال ، وخلدت اعمالهم ومعاركهم الاساطير الشعبية التي تناقلتها الاجيال مثل قصص عبدالله البطال في « ذات الهمة » . كما برز مقابل ذلك ابطال من الروم خلدتهم اساطيرهم من امثال « جانيس اكريتا » .

اخذت اهمية الصوائف والشواتي تتناقص بعد ايام سليمان بن عبد الملك بسبب استنزاف قوة العرب في الفتوحات الخارجية والحروب الاهلية ، علاوة على الامراض والأوبئة . فعادت هذه الصوائف مجرد اداة تعبوية هدفها حماية الحدود . وبقي امرها كذلك حتى نهاية العصر الاموي (١) .



(١) لمطالعة المزيد عن الصوائف والشواتي – مقال امين التفوري في العدد ٨ من المجلة العسكرية اذار ١٩٧٣ .